ا انا مسيحي

كراين

230
C89wA
c.1

- 7 JUN [redacted]

DAT DUE

JAFET LIB.
30 SEP 1977

JAFET LIB.
1 - FEB 1998
Circulation Dept. 1

تقدمة من الناشر الى مجلة الكلية الغراء
من المخلص
راجيًا تقريظه وكثير الفضل

230
C89wA
Gift. Cat. May 1928

لماذا أنا مسيحي

« ان كل مالى من الدين استخدمه في حياتي اليومية . فانني لا أريد أن أحمل أثقالا أنا فى غنى عنها . ولا أود أن أثقل كاهلي بالنظريات التى لا طائل تحتها . لان الديانة التي أدين بها هي مئة بالمئة عملية »

تأليف

الدكتور فرانك كرايه

عربه بتصرف قليل

الارشمندريت انطونيوس بشير

28277

وعنى بنشره

يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

« جميع الحقوق محفوظة للمعرب »

المطبعة العربية بمصر

١٩٢٦

فهرس الكتاب

صفحة

١ كلمة المعرب

٨ توطئـة

٩ من اعتراف المؤلف

١٠ الديانة العملية

١٥ مدينة سكانها حفاة

٢١ لماذا أنا مسيحي

٢٦ لماذ أنا مسيحي ، من الوجهة الشخصية

٣٢ ان ولادتي في محيط مسيحي لهـا بعض التأثير على مسيحيتي .

٣٦ لا أثر للرجاء بالسماء أو الخوف من الجحيم في مسيحيتي

٣٩ ان ايماني بالمسيح غير مبني على شهاداته الرسمية

٤٥ أنا مسيحي لان يسوع قد أظهر لي بكمال ما يوجب القناعة والرضى حقيقة الشخصية الالهية

٥٦ أنا مسيحي لأن المسيحية تلائم غرائزي

صفحة

٦٤ أنا مسيحي لأن مبادىء المسيحية تزيد الحياة عزماً ونشاطاً

٧١ «كما لو» : لستُ مسيحياً لانى أعرف أن تاريخ المسيح حقيقي ، بل لان هذا التاريخ يأتى بأثمار نافعة لحياتى عند ما انصرف ناظراً اليه «كما لو» كان حقيقياً .

٨١ أنا مسيحي لأن دعوة المسيح موجهة إلى الانسانية عامة وليس إلى جنس واحد أو أمة واحدة

٨٦ أنا مسيحي لأن تعاليم يسوع صالحة لجميع الأمم والشعوب .

٩٢ أنا مسيحي لان المسيحية هي القوة الوحيدة في الارض التى تعدنا بوحدة العالم في مملكة واحدة

١٠٤ أنا مسيحي لانى أعتقد بأن يسوع هو أنضجُ فكراً من جميع معلمي الانسانية

١١٠ انى باقتفائى لخطوات يسوع إنما انقذ نفسى من الاوهام العظيمة التى ذهبت ببصر الانسانية وبصيرتها

صفحة

١١١ الوهم في ان الطبيعة البشرية شريرة

١١٩ الوهم في ضرورة العقاب

١٢٨ الوهم في ان التنازع ضرورى للرُقي

١٣٥ الوهم فى أن السعادة ميسورٌ نوالها

١٣٩ الوهم في ان الخير سلبي

١٤٤ الوهم في منفعة القوة

١٥٠ الوهم فى ان العقل أساس الاداب

١٥٩ الوهم فى السلامة

١٦٨ الوهم في تفوق الكسل على العمل

١٧٥ الوهم فى منفعة الانفراد في العمل

١٧٨ الوهم في ان الكفر حرية

١٨٣ الوهم في تقسيم الناس إلى طبقات

١٩٠ أنا مسيحي لانى أجد في المسيحية أفضل الآمال في الخلود.

١٩٥ ان المسيحية افضل طريق إلى الابدية

١٩٩ ماذا أقصد عند ما أقول أنا مسيحي

صفحة

٢٠١ كيف أفهم الدين

٢٠٦ ان المسيحية في عقيدتى طريق تؤدي الى الحياة وليس الى الهرب من الحياة

٢١١ السيادة الحقيقية التى أجدُها في يسوع

٢١٤ ماذا أقصد بالتجدد الروحي

٢١٧ ماذا أقصد باتباع يسوع

٢٢٧ ماذا أقصد عند ما ادعو المسيح مخلصى

٢٣١ كيف انظر الى الصلاة

٢٣٦ كيف انظر إلى الروح القدس

٢٣٩ ما لا اقصده عند ما أقول أنا مسيحي

٢٤٠ اننى لا اخص بمسيحيتي عقيدة من العقائد المقررة

٢٤٧ اننى لا أخص بمسيحيتى الخضوع لأى نظام من النظم دون غيره

٢٤٩ اننى لا اقصد بمسيحيتي أننى قديس طاهر

٢٥٣ ان مسيحيتي لا تضطرنى الى اتباع تعاليم يسوع بتذلل أو الاقتداء بحياته بخنوع

صفحة

٢٥٦ ليست المسيحية في عقيدتي نظام محرمات ومقدسات

٢٦٤ الجوهر الحقيقي الذى أنظر اليه في المسيحية

٢٦٨ ماهى القوة المجددة فى المسيحية ؟ ماذا يغير فكرك
من مبادئها ؟

٢٧٥ ماذا أرجو من مسيحيتي

٢٨٠ المسيحية في الشرق

٢٨٦ لماذا انتمي إلى الكنيسة

٢٩٥ أنا هو لا تخافوا

٣٠٦ محاضرة المعرب ، « هل نموت ؟ »

كلمة المعرب

الدين جزؤ من الوجدان وأكبر تعزية لبنى الانسان . ولذلك نرى الامم على تعاقب أدوار التاريخ تبنى آدابها وأخلاقها وتصرفاتها على أصوله الأولية ومبادئه الأساسية. وهذه الاصول والمبادىء قريبة بعضها من بعض ، إن لم نقُلْ واحدة ، فى جميع أنحاء المعمور . فهي كالأنهار والجداول التى تحيي العمران وتنعش قلب الانسان ، يسير كلٌّ منها في جهة تختلف عن الجهة التى يسير فيها الآخر ولكنها تنبُعُ كلها من قلب واحد هو قلب الارض ، وتسير الى عمق واحد هو البحر . أما الاختلاف الظاهر في استعمالها والانتفاع بها فغير كائن في طبيعتها ، بل هو نتيجة التباين الطبيعي في رغبات الناس الذين يستخدمونها وفي حاجاتهم وأميالهم وغاياتهم . وفي عقيدتى أن جُلّ ما يقوم بين ذوي الأديان من الخصومات والعادات لا أثر للأديان فيه ، بل هو ثمرة الاختلاف فى

مقاصد الزعماء ومطامع الرؤساء . لأن أتباع كل دين ، كمجاوري كل نهر ، تتوقف منفعتهم من دينهم أو نهرهم على مقدار استخدامه في حياتهم ، وليس على التعصب للراغبين في اتخاذه وسيلة لاشباع أنانيتهم والبلوغ به الى قنة المجد الباطل والفخر الزائل .

فالمشترعون الحكماء جاءوا بشرائعهم هدى للضالين من الناس عن السراط المستقيم . ولكن هذه الشرائع كانت ولا تزال في حاجة إلى من يوصلها إلى أذهان الناس ، ويغرس أصولها في أعماق قلوبهم ويتعهدها بالعناية لكي تنمو وتثمر في حياة الانسان بعيدة عن كل ما يقيد نموها أو يقف فى سبيل حريتها وإثمارها . ولذلك ما برحت من أقدم الازمنة إلى اليوم عرضة لطموح ذوى الغايات من المؤتمنين على تنفيذها ، يتخذونها سلماً يصعدون بواسطتها الى قنن غطرستهم وكبريائهم ، ضاربين بروحها عرض الحائط ومحوّطينها بطائفة من التقاليد البلهاء التى تحولها إلى أوهام وقشور تتبرّأ منها روح المشترع المقدّسة وتأبى أن تطيعها أية النفوس الحرة العازمة في الارض . وقد نتج من جميع ذلك أنْ فقدَ الدين

غايتهُ الجوهرية كدين فصار في الناس مذهباً أو طائفة أو حزباً أو غير ذلك من مصنوعات البشر ، ينتسب اليه الانسان لمجرد التقليد ، ويمارس طقوسه وفرائضه كالآلة الصماء وهو في عمله مُسيَّر في الغالب غير مخيَّر .

فهذا مسيحي ، وذلك مسلم ، وذاك يهودي لان والده كل منهم أو جده أو المحيط الذى ولد فيه مسيحي أو مسلم أو يهودى . ولكنه ، هو ، الذات الكائنة في أعماقه ، قلما وقف يفكر في قلبه قائلا : لماذا أنا مسيحي أومسلم أويهودي؟ لماذا أنا كاثوليكي أو سنى أو بروتستنتى أو شيعيّ ؟ يذهب الى الكنيسة أو إلى الجامع أو إلى الكنيس ، ويردد الصلاة مع المصلين ، غير أنه كثيراً ما يفعل ذلك وهو لا يدرى لماذا يفعله ، غير ان أباه وأمه وجاره وأهله يفعلون ذلك .

وماذا عساه يسمع ويتعلم هنالك ؟

يسمع ويتعلم ان دينه مُنزلُ السماوات ، وان جميع الأديان الاخرى كاذبة لا حقيقة دونها ، وأنه وأتباعه وحدهم سيسيرون الى الفردوس ويتنعمون في جنات السموات ، وان جميع الناس الذين لا ينضمون الى دينه ، وان شئت فقل

حزبه أو طائفته ، سينحدرون الى الجحيم ، الى النار المؤبدة المعدة لابليس وملائكته . يتعلم ان مجرد الانتساب الى حزبه يجعله أكمل وأفضل من الخارجين عن طاعة رؤسائه ، فلا يلبث أن يشعر بنفور وكراهية لهم . وكثيراً ما كان ويكون هذا النفور أصل جميع الحروب التى قامت وتقوم فى العالم .

هذه حقيقه يؤلمنا أن ندونها في مقدمة هذا الكتاب ، ولكن متي كانت الحقيقة غير مؤلمة، وخصوصا لذوى الغايات المارقة عن طريقها القويمة؟

فالدين في حاجة الى المخلصين الذين يدركون جوهره ويحفرونَهُ على صفحات قلوبهم قبل ان يبنوا مساكنه على شفاههم وفي زوايا شوارعهم . الدين فى حاجة الى المخلصين الذين يجعلون تعاليمه حقائق واضحة في جميع أعمالهم قبل أن يحتفظوا بها في صدور هياكلهم وعلى رفوف مكاتبهم . الدين في حاجة الى المخلصين الذين يحبون الله لأنه تعالى أبوهم الرؤوف العطوف ، ويحبون الانسان قريباً كان أم بعيداً لانه أخوهم الرفيق أمام وجه الشمس. الدين في حاجة الى الذين يعملون الخير لاجل ما في الخير من اللذة والطمأنينة وليس خوفاً

من العقاب أو طمعاً في الثواب كما كان يفعل المراؤون الذين وبخهم المصلح الاكبر بقوله: «انهم قد استوفوا أجرهم» الدين يحتاج الى العمل الكثير فى حقل الفضيلة والخير. «لان الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون» الدين يحتاج الى المخلصين الذين لهم غيرة على لبابه ولكن عن ادراك ومعرفة. الدين في جميع فروعه، وسائر طوائفه يحتاج الى ان يكثر بين أبنائه القائلون مع الدكتور فرانك كراين، مؤلف هذا الكتاب، فيلسوف اميركا وانضج فكر في هذا العصر «ان كل مالي من الدين استخدمه في حياتى اليومية. فاني لا أريد ان أحمل اثقالاً انا في غنى عنها. ولا اود ان اثقل كاهلي بالنظريات العقيمة التى لاطائل تحتها. لان الديانة التي ادين بها هى مئة بالمئة عملية»

هذا هو الرجل الذى أقدمه الى قراء العربية الاحباء بهذا الكتاب الذى يضم بين دفتيه خلاصة درس حكيم في الدين العملي القويم الذى هو محجة كل دين وكل شريعة على الارض.

ولي رجاء الى القارىء الأديب أن يمعن النظر في كلمات المؤلف التالية قبل أن يشرع فى مطالعة الكتاب: «ليس

هذا الكتاب بحثاً لاهوتياً ، بل هو ترجمة حياة صاحبه الذى يكره المباحثات النظرية البعيدة عن الحياة . وهو لا يرغب في أن يغيّر عقائد أحد من الناس لكي يصبغها بصبغة فكره وعقائده ، بل كل ما يرمي اليه ايضاح بعض النتائج التى وصل اليها فى ما مر به من الاختبارات رجاء أن تكون ذات فائدة للذين يطالعونها .... فكل ما أقوله في هذا الكتاب ليس من باب الجدل والمماحكة لاظهار تفوقي أو أنانيتى ، بل هو اعتراف بسيط أود أن أظهر فيه حقيقة عقيدتي بطريقة أحافظ بها على الصراحة والامانة والاستقلال الذاتى .... وانى أرجو من القراء أن يتذكروا دائماً في قراءة هذا الكتاب اننى انما أكتب عن نفسي فقط بملء الصراحة ، ولست بما أكتب أنتقد أحداً من الناس لانه يعتقد غير ما اعتقد

وقد رأيت ان اضيف الى الكتاب اكمالا للفائدة خلاصة محاضرة القيتها في اواخر السنة الماضية على المهاجرين من ابناء الوطن الكرام في عاصمة الجمهورية المكسيكية ، موضوعها : « هـل نموت ؟ » — «ورائدى في كل ذلك رأي الحكيم الصينى القائل : لئن حملت فرداً واحداً على البحث

في موضوع يرفع نفسه ، ويرهف اخلاقه ، ويتعـدى فيه حدود شخصيته المألوفة ، فذلك خير لي الف مرة من أن أخضع ملايين الشخصيات لرأي واحد ومذهب فرد. لان اخضاع الالوف عبودية ، اما كسر قيود الفردية فثروة وعظمة وحرية ! »

الارشمندريت انطونيوس

بشير

أميركا الشمالية سنة ١٩٢٦

توطئة

كم هو مقدار مسيحيتي ؟

ان كل مسيحيتي تنحصر في ما استطيع ان استخدمه في حياتي ، وما زاد على ذلك فقد القيت به في سلة المهملات .

من اعتراف المؤلف

قد وضعت هذا الكتاب اجابة لاقتراح صديقي جون . م . سيدال رئيس تحرير المجلة الاميركية . فقد قال لي مرة : « ان هنالك كتاباً اودّ لو تؤلفه يوماً ما، كتابا تسميه « لماذا انا مسيحي » . وانني لواثق بانك لو بسطت الحقيقة المجردة في مثل هذا الكتاب فانه يكون كتابا ممتعاً . »

وإنني على ثقة بأن قد بسطت الحقيقة المجردة في كتابي هذا . اما إذا كان هذا الكتاب ممتعا ام لا فذلك ما يجدر بالقارىء ان يحكم فيه لنفسه .

الديانة العملية

«ان كل مالى من الدين استخدمه فى حياتى اليومية. فاننى لا أريد أن أحمل أثقالا أنا في غنى عنها . ولا أود أن أثقل كاهلي بالنظريات التى لا طائل تحتها . لان الديانة التى أدين بها هى مئة بالمئة عملية . »

لستُ متطرفاً في تفاؤلى فاعتقد بأن ما أسطره في هذا الكتاب معصومٌ عن النقد الحاد ، لاننى أعرف اننى أتكلم عن الدين ، واكثر ما يعتقد الناس في الدين أنه موضوع قد أُغلقَ البحث فيه وليس من المواضيع المفتوحة أبواب البحث فيها لكل راغب بحّاثة . فان أغلب الناس قد وطّدوا أفكارهم على الديانة التى يدينون بها ، أو أنهم قبلوا نظريات سواهم من الناس على علاتها ، فباتوا لا يُعملون فكرتهم في بحث ما اذا كانت تلك النظريات صحيحة أم لا ، بل هم يجهدون عقولهم ويقضون أعمارهم في السعى وراء البراهين التى تثبت تلك النظريات وتؤيد صحتها

على أن الدين لسوء الحظ يُرافقـه في الغالب التعصُّبُ الأعمى أكثر من أى موضوع آخر سواه . لانه لا يدعو الناس الى التنقيب عن حقيقة لا يعرفونهـا ، بل انما يدعوهم الي الايمان بما يبسطه أمامهم . فالانسان يكون كاثوليكياً أو بروتستانتياً كما يكون جمهورياً أو ديموقراطياً ، أو كما يكون أماريكياً أو المانياً أو فرنساوياً . وكثيراً ما يكون الدين ارثا يرثه الانسان عن جدوده كما يرث كل ما هو في ملكهم وتحت مطلق تصرفهم . ومن هنا نشأت العقيدة السائدة في العالم أن الذى يغير دينه خائن مائن

وما لا شك فيه أن هذه العقيدة لها الفضل الاكبر في حفظ الملايين من البشر في طاعة الكنيسة ، ولكنها في الوقت ذاته تبعد عشرات الملايين عن الكنيسة

غير انى اعتقد بالعكس من ذلك ان الدين أرفع وأسمى من أن يكون دعوة الى الحرب أو الى التحزب والكبرياء والافتخـار ببلاد دون أخري أو بحزب دون حزب أو ما شاكل ذلك .

فالدين في عقيدتى هو الحياة . هو جوهرٌ تقديري للحياة حق قدرها، والصلة الفضلى التى تصل بيني وبين قوات الحياة . ولذلك فهو قضية يجبُ عليَّ درسها ، قضية تنمو بنموى وتتقدم بتقدمي . أجل ، وليس الدين صخرة صلدة قاسية مستقرة على حالة واحدة ، بل هو شجرة جبارة تنمو وتخرج براعمها وتتعالى أغصانها «وتعطي أثمارها في أوقاتها»

لذلك آمل أن ينظر القارىء الى هذا الكتاب نظرته الى تقرير بسيط للموضوع الذى نحن في صدده كما يبدو لى ، لا الى كتاب جدل عقيم

واننا اذا نظرنا الى الدين كما ينظر اليه الكثيرون فربما لا تكون ديانتى مستحقة للاعتبار . لانى واثق بأن فريقاً من الناس يقول انى ضال، وفريق آخر يقول انى لا أدين بدين البتة . ولكننى لن أبحث في ما يقوله هذا أو ذاك الفريق بل سأحصر بحثى في نقطة واحدة وهي : أن كل ما لي من الدين أستخدمه في حياتى اليومية . فانى لا أريد أن أحمل أثقالا أنا في غنى عنها . ولا أودّ أن أثقل كاهلى بالنظريات التى لا طائل تحتها . ولكننى على الاقل أستميح العاذلين

عذراً وأقول ، ان الديانة التى أدين بها هي مئة بالمئة عملية

فقد طالما أدهشنى أن أرى الناس يتبجحون بإيمانهم ، ويفتخرون بديانتهم ، مرددين عقائدها ومترنمين بصلواتها وأناشيدها ، ولكنهم لا يعملون بما يعرفون بل يحسبون العاملين مرائين دجالين. لان كل انسان يدعي أنه يعيش على وفق ما تتطلبه كنيسته منه وانه عامل بكل ما يفرضه عليه ايمانه يعدُّهُ الناس متطرفاً متعصباً .

أما أنا فانى لا أتردد في الاعتراف بأنى أستخدم في حياتى اليومية كل الديانة التى أؤمن بها. واما ما تبقى مما يؤمن به غيري فقد طرحته فى سلة المهملات .

بيد أنى لستُ أدعي العصمة والكمال. ولا أعتقد بأن الله ينتظر مني أن أكون كاملاً نظيره تعالى ، كما أنه لا يريد ولا يتوقع من النبتة الصغيرة أن تصير في الحال شجرة كبيرة وكل خطيئة ارتكبها هي نقصان فيّ. وعليَّ أن أسعى جهدى الى البحث عن هذه الخطيئة والتخلص منها لكي أتقدم في معراج الكمال في هذا العالم وفي العالم الثانى

أما قسمة الانسانية الى صفين ، صَفُّ الأبرار وصف الاشرار ، صف الخالصين وصف الهالكين، وكل ذلك بقوة المقدر المقدور ، فهي في رأيي قسمة خرافية كاذبة ، ونتيجة منطقية لعبودية النظام القديم الجائر فان الحياة كثيرة العُقَد والعقبات فلا تستطيع أن تستخرج منها شيئاً بالمجادلات والمماحكات العقيمة .

انى لست بالسعيد لانى قد وصلتُ الى محجتى ، بل أنا سعيد لانى لا أزال مسافراً اليها

ولستُ براض مطمئن البال الى حياتى لاني بارٌ قديس، بل انما تقوم طمأنينتي في اعتقادى بأن في وسعي أن أتقدم أبداً الى حالة أفضل وأكمل من حالتى

مدينة سكانها حفاة

منذ بضع سنوات كتب أحدهم مقالة تحت عنوان : « في كل مكان » ، أوردها في قالب حكاية يريد ان ينتقد بها تصرفات الذين يسمون أنفسهم مسيحيين .

وخلاصة الحكاية أن رجلا قدّر له ان يسافر للمرة الاولى في شغل له الى مدينة « يوبيك » (وهي كلمة لاتينية معناها في كل مكان) . فوصل في أحد أيام كانون الاول الى محطة السكة الحديدية . وكانت الرياح شديدة باردة والثلوج تملأ ساحات المدينة وطرقها . وعندما خرج من المحطة ومشى بضعة اقدام رأى نساء يمشين وهن مرتديات افخر الملابس وأثمن الحلى والى جانبهن رجال عليهم ثياب ثقيلة من الجوخ المبطن بالفرو ولكنهم يسيرون مع النساء حفاة الاقدام . وكانت أمائر الهيبة ودلائل الثروة والرخاء تبدو على جميع من

رأى من سكان المدينة، ولكنهم كانوا حفاة باسرهم لا أحذية في أقدامهم . وكانوا يسيرون أمامه في الشوارع متعرجين على الجانبين متألمين متوجعين من شدة البرد والرضوض التي أحدثها الجليد والحجارة في أقدامهم .

وعندما ذهب الى الفندق ليستأجر لنفسه غرفة يبيت ليلته فيها رأى ان الكاتب والخدام وجميع من في الفندق من رجال ونساء حفاة . وفي صباح اليوم التالى جلس الى مائدة أنيقة ليتناول فطوره وكان الى جانبه شيخ جليل تدل مظاهره على انه من اهل الفضل واليسار فشرع يجاذبه اطراف الحديث . وكان الشيخ يجيبه عن كل سؤال يسأله بملء الرقة واللطف ولذلك تشجع المسافر وسأله قائلا :

« عفوك ياسيدى عن تطفلي ، فقد لاحظت فى هذه المدينة ان جميع الرجال والنساء يسيرون في الشوارع حفاة ، وكل منهم يتألم متوجعا من رضوض قدميه وشدة البرد والجليد. فهل لك ان تخبرني عما يدعوهم الى ذلك ؟ »

فرفع الشيخ عينيه واجابه مشفقاً عليه ، « عجيب سؤالك ياصاح ، فهكذا يجب أن يفعلوا . »

أما المسافر فانه لم يكتف بهذا الجواب بل عاد الى محادثة رفيقه ، ولكنه لم يستطع ان يأخذ منه جوابا يصح السكوت عنده . لان الشيخ اظهر له ان الاحذية ضرورية جداً لحفظ القدمين من البرد والاذية ، وانه يجب على كل انسان ان يلبس حذاء فى رجليه ، ولكنه لم يستطع أن يخبره لماذا لم يكن أهل تلك المدينة يفعلون ذلك .

ثم نزل المسافر الى المدينة يتجول في أزقتها وشوارعها وكان يجد في سيره بنايات عظيمة غاية فى الزينة والزخرفة ، تفوق بعظمتها وعلوها جميع أبنية المدينة . فوقف أمام واحدة منها وإذا بالخادم يكنس أدراجها بعناية ومهارة فوقف به وسأله قائلا :

« ما هذه البناية ياصاح ؟ فانني رجل غريب في هذه المدينة وقد لاحظت أن فيها غير واحدة من هذه البنايات الفخمة . »

فأجابه الخادم قائلا : « هذه معمل أحذية . »

فقال له الغريب : « وهل يصنعون أحذية ههنا ؟ »

فأجاب الخادم : « كلا ! بل هم يخطبون في كيفية صنع

الاحذية ، ويترنمون بذكر الاحذية ، ويصلون لاجل الحصول على الاحذية . »

ثم نظر الغريب الى الحائط فرأى اعلاناً مكتوبا باحرف كبيرة خلاصته ان رئيس المعمل الاعلى للاحذية سيلقي محاضرة في كل أسبوع موضوعها «الاحذية» . وفي جملة المواضيع التى كان الرئيس مزمعاً أن يطرقها : « أصل الاحذية» ، و« تاريخ صنع الاحذية » . و « أجناس الجلد » ، الخ ، ثم أخبره الخادم أن كل الاشغال والحرف كانت تقفل أبوابها في كل أسبوع بأمر الحكومة ، ولم يكن يؤذن لاحد أن يفتح حانوته أومعمله في ذلك اليوم ما عدا أصحاب معامل الاحذية التي كان يجتمع اليها الشعب من سائر أنحاء المدينة ليترنموا بذكر الاحذية ويصلوا لاجل الحصول عليها ويسمعوا الخطب والمواعظ التى تلقى في شأنها . ولكن لم يكن فى تلك المعامل من حذاء واحد ، وكان جميع القادمين اليها والعاملين فيها « حفاة »

وأخيراً وجد المسافر في أحد الازقة الضيقة حانوتا صغيراً وفيه رجل الماني اسكافي يصنع زوجاً من الأحذية .

فاشتراه في الحال ورجع به إلى الفندق وقدمه هدية للشيخ الذي تعرف اليه في وقت الفطور .

وشد ما كانت دهشته عندما رفض الشيخ ان يقبل هديته مؤكداً له انه لم يسبق من ذي قبل ان شريفا من أشراف المدينة قبل مثل هذه الهدية ، وان من كان يجرأ على لبس الاحذية كان يحسب متهوراً متعصبا ومداجيا مراغيا .

. . .

وما أجمل انطباق هذه القصة على الحالة التي وضعت لأجلها . فأنه لما تتفطر له القلوب ان يمتهن الدين ، وهو القوة المثلى الفعالة في العالم لتكوين الاخلاق وتعميم السعادة والغبطة ، ويحتقر حتى يستحى الانسان أن يدعي بأنه يؤمن به ويطبق حياته وأعماله عليه .

فقد امسى البحث فى الدين مستحيلا في الاجتماعات العمومية ، لان الناس ينظرون الى الدين نظرهم الى حزب من الاحزاب السياسية او مبدأ من المبادىء الشخصية . وماذلك إلا لأن زعماء الاديان قد زادوا عليها فى كل زمان ومكان

زوائد فارغة عمياء وحوطوها بالتقاليد الرثة البلهاء حتى صار يعسر ادراك جوهرها والبلوغ الى غايتها

واذا كان هذا الكتاب الذى أبسط فيه اعترافي الصريح واجعل نفسى فيه عبرة لغيري سيولد في من سيقرأه ثقة بذاته ، ويبعث في قلبه حرارة الايمان بالله ويحرضه على اتباع تعاليم المعلم الصالح يسوع ومبادئه الاولية واقتفاء مثاله في الحياة فذلك حسبى وبه اكتفى .

على انى اعتقد بان اكثر الناس مسيحيون اكثر مما يخيل اليهم .

اعتقد بأن الناس أفضل من افضل النظم التى يضعونها ليقيسوا بها فضائلهم .

اعتقد بأن الطبيعة البشرية صالحة سليمة بذاتها وأن غاية يسوع من تعاليمه انما كانت لاجل استثمار هذه الطبيعة استثماراً تدريجيا فطريا

لماذا أنا مسيحي ؟

« ان الخلافات المستحكمة على ممر الاجيال بين الطوائف المسيحية لا أثر لها فى ذهني البتة. فاذا سالتنى ما اذا كنت مؤمنا بالتثليث أو موحداً ، فكأنما أنت تسالني اذا كنت بابوياً أو ضد البابا »

انى أودّ من صميم قلبى أن أبسط الاسباب التى تدعونى الى أن أسمي نفسي مسيحياً بملْء الصراحة والوضوح وبكمال الاخلاص والامانة . وانى لواثق بأن هـذا الاعتراف سيساعد الكثيرين من المسيحيين على فهم مسيحيتهم . لانى عوضاً عن أن أعتقد بأن هنالك كثيرين ممن يسمون أنفسهم مسيحيين ولكنهم يتصرفون على عكس ما تتطلبـه منهم المسيحية فانا اعتقـد بأن هنالك اكثر من الكثيرين ممن هم بالحقيقة مسيحيون بتصرفاتهم وأعمالهم ولكنهم لا يسمون ذواتهم مسيحيين . فكم هنالك من المسيحية الحقة الكامنة في ضمائر الالوف العديدة ممن لا يهتمون بتعصُّبات الكنائس ،

ولا يُعنَون بما تفرضه عليهم من الزواجر والنواهى. ففي أثناء خدمتي الروحية قد خبرتُ أخلاق الكثيرين من الناس الذين لم يكونوا أعضاءً لا في كنيستي ولا في غيرها من الكنائس، ولكنهم «لم يكونوا بعيدين عن الملكوت»، بل ربما كانوا أقرب الى الملكوت من أبنائه الواهمين انهم قريبون منه. وقد عرفتهم بحياتهم العملية قواداً مخلصين يتفانون في سبيل تأييد مبادىء المعلم الصالح في حياة البشر

أما المشاحنات والمجادلات التى قامت في الكنيسة على ممر الاجيال فانى أعترف أن لا شأن لى فيها البتة. لانى اعتقد بأنها جميعها لم تأت بثمرة صالحة واحدة. ويمكننا أن نسميها حروبا عظيمة استمرّت أجيالاً طويلة، ولكن كلاً منها في نظرى هجومٌ قبيح بعيدٌ عن روح المسيح. وانى استطيع ان أقول ان جميع المجادلات والمباحثات النظرية التي انتهت الى نتيجة واحدة، هي سكوت القائمين بها، لم تبلغ ما بلغت اليه الا عن طريق النسيان وتقادم الزمان. أما اذا كان الناس لا يبحثون اليوم في القضايا اللاهوتية القديمة من مثل ما اذا كان الروح القدس ينبثق من الاب وحده أو من

الاب والابن معاً ، أو في شروط المعمودية ومادة العماد ، أوَ في حقيقة الاختيار السابق والمقدر ، أو في الخمير والفطير — فان ذلك لم ينتج عن ان أحـد الفريقين المتناظرين قد اثبت عقيدته بالدليل والبرهان فاقنع خصمه وافحمه بل لان الناس قلما يعبأون اليوم بمثل هذه المناظرات . فكلا الخصمين قد سئما الخصام ولم يربح احدٌ منهما على رفيقه ، ولذلك ترك كل واحد من المتفرجين مقعده وسار في طريقه

واننا اذا اعملنا النظر في جميع القضايا اللاهوتيـة التي كان يقوم عليها الجـدال في سـابق الايام نرى انه ما من واحدة منها نستطيع ان نعدّها من جواهر الحياة الضرورية وقد ادرك الناس هذه الحقيقة بعد اختبارات متواصلة ولذلك اعرضوا عن البحث فيهـا . وفى عقيدتى ان المسيحية قسمٌ جوهرى لا تقوم الحياة بدونه . والمسيحية التى اؤمن بهـا اليوم هي كل ما يدخل في حياتى اليومية . فأنا لا استحي ان اقول انى افرح بالرب لانى استطيع ان انتفع به في حياتى كما اقول انى افرح بالشمس لانى اقدر ان انتفع بها في حياتى كل يوم . وان اعظم الاناشيد التى استطيع ان اقدم بها شكرى

لله إنما هى في استثمار ما له تعالى من السلطة عليَّ لما فيه ازدياد نموى واكتمال تقدمى الى ملءْ قامته ، واقبح تجديف يمكن ان اقترفه ضد الله عزَّت قدرته انما هو في ان انخرط في عبادته بشفتيَّ بتمتمة الالفاظ فقط ثم لا البث ان اسير مع رغبات نفسى الامارة بالسوء متناسياً امره

ولذلك اوضح بما استطيع من الايجاز الاسباب الجوهرية التي لاجلها اسمي ذاتي مسيحياً. ويسرنى انى على اتمّ الاستعداد لايضاح هذه الاسباب الآن لانى قد تنحَّيتُ من عهد عن المركز الذى كنت اشغله من ذى قبل كخادم من رجال الدين . واشتغل اليوم بشغل عالمى ، واسمي معروف من الملايين من الناس بواسطة مقالاتى التى اسطرها في الجرائد اليومية وقليلون منهم الذين يعرفون اذا كنت عضواً فى الكنيسة أم لا .

وانى امحض شكرى مقدّماً للقارىء العزيز الذى ينظر فى كلامى الى بساطته والحقيقة التى يرمى اليها من غير ان يشغل فكره فى اصلى وفصلي ومذهبى ودياناتى . لاني اريد

ان اتكلم ببساطة كمخلوق بشري له حق الكلام في هذا الوجود . اما الحقيقة الناصعة فهي ان الخلافات المستحكمة على ممرّ الاجيال بين الطوائف المسيحية لا اثر لها في ذهني البتة . فان سألتني اذا كنت مؤمناً بالتثليث أم موحداً ، كاثوليكياً او بروتستنتياً ، مثوديستا او معمدانياً ، فكأنما انت تسألني اذا كنت باباوياً او ضد البابا .

لماذا أنا مسيحى

من الوجهة الشخصية

« ليس هذا الكتاب بحثا لاهوتيا ، بل هو ترجمة حيـاة . لانى لا أريد أن أجادل وأناظر بل أنامورد فيه حقائق اختباراتي »

ليس هذا الكتاب بحثا لاهوتيا ، بل هو ترجمة حياة صاحبه الذي يكره المباحثات النظرية البعيدةعن الحياة ، وهو لا يرغب في ان يغير عقائد احـد من الناس لكى يصبغها بصبغة عقائده بل كل ما يرمي اليه إيضاح بعض النتائج التي وصل اليها في ما مر به من الاختبارات رجاء أن تكون ذات فائدة للذين يطالعونها .

قد جزت الستين من العمر وأنا اكتب هذه السطور . وقد قضيت القسم الاكبر من حياتي ، وهو ما بين الخامسة والعشرين والخمسين ، خادماً للانجيـل ومبشراً بالكلمة . وعند ما بلغت الخمسين تركت وظيفتى في الكنيسة ووقفت نفسى على الكتابة فى الصحف اليومية والمجلات الشهرية .

ولذلك فان حياتى قد اصبحت منذ عشر سنوات حياة عامية ولم تبق لى علاقة ما بالدوائر الاكليريكية .

على انى لا أزال اسمي نفسى مسيحياً . وكما افهم هذه الدعوة اعتقد بان مسيحيتي اليوم هى افضل جداً من مسيحيتى عند ما كنت متجنداً في خدمة كنيستى متخذاً الوعظ مهنة لى . لانه يلوح لى انه يصعب على الانسان الذي يتخذ المسيحية حرفة له ان يكون مسيحياً حقيقياً . لان الحرفة من ألد اعداء التضحية والاخلاص . ولذلك فالكهنوت محك صادق للراغب في المسيحية ، لا يلبث ان يظهر حقيقته في وقت قصير وما اقل ذوى الكهنوت الذين يستحقون الاعتبار لعبقرية مسيحيتهم وانى اؤمن بأن افضل الوسائل لتكوين الاخلاق المسيحية كائن حيثما يرغم الانسان الى تحصيل معاشه بعرق جبينه . وأفضل الطرائق المعاشية للانسان انما هى في العمل النافع لذاتك ولغيرك . لان المسيحية ليست عملا يجب عليك انجازه بل هى طريق تؤدى بك الى القيام بذلك العمل . ولا تقوم المسيحية بالأقوال المنمقة والترانيم المزوقة بل قوامها الروح التى توحى اليك كيف تتكلم وكيف تترنم . واكثر ما نرى

ان الذين يجهدون عقولهم في اختيار الألفاظ يخسرون في الغالب جمال الروح.

على اني لا اقصد بهذا التعريض بأحد البتة ، ولا التنقص من كرامة إنسان او انتقاد افكاره ، سواء كان من ذوى الكهنوت ام من غيرهم من المبشرين والزعماء. فان لهم ملء الحرية في التبشير والتذييع ما استطاعوا لاقتياد الناس الى طرقهم ومبادئهم . بل ربما دخلت معهم في مباحثاتهم ومناقشاتهم إذا رأيت لى من ذلك خدمة اقوم بها للعالم . ولكنني لا اريد ذلك الآن . لان كل رغبتي في هذا الكتاب تنحصر في ان أظهر بكمال الاخلاص والامانة الاسباب التى تدعونى الى ان اكون مسيحياً في الوقت الحاضر . فابسط اختباراتى الماضية من الجهة الواحدة ثم اصحبها بآرائي ونظراتى الحاضرة

فقد اسعدتُ بأن عشتُ الى اكثر من السن الاعتيادى ومرت بى ادوار متعددة في جميع فروع الحياة . فعاشرت الفقراء والاغنياء على السواء ، الجهال والعلماء ، الفلاسفة والحكماء ، الاذكياء والاغبياء . واتيح لى ان اقرأ كتباً عديدة

في المذاهب والاديان ، فمنها من يؤمن ويمدح ومنها من يكفر ويقدح ، ومنهـا من يحتقر ويضحك ساخراً من كل مذهب ودين . وقدر لى ان أصغى الى مشاهير الوعاظ المؤمنين كما كان لى ان اسمع نوابغ الزنادقة والمعطلين . وقد جربت تجارب عديدة وخبرت جماً من الدروس المفيـدة ، وكانت مجاعى تشتدُّ في كل يوم لمعرفة كل ما في الوجود . فكنت تارة احترق غيرة وطوراً تتأجج في قلبي نيران الشك والكفر فى عهدَي الفتوّة والشباب . وبالاجمال فقد رأيت نفسى فى مقدمة السابقين كما رأيتنى فى مقدمة المتوانين

وها قد بلغت الى السن الذي أصبحت فيه كل عقائدى ومبادئي راسخة ثابتة في ذهنى ، وتقررت فيه جميع علاقاتي بالحياة ، وقد استقرت عقيدتى في الوجود ولن يتغير شيء جوهري بعد من مذاهبي في الانسانية او في مركزى منها . غير انى بعد كل ما مر بى من الحوادث ورأيت من العجائب والغرائب المتناقضة ، مابرحت اسمى نفسي مسيحياً . وربما كانت للبعض لذة فى معرفة ما يدعونى الى ذلك

ولكي لا يسيء القارىء فهمى لجهله الأسباب التي حملتنى

على ترك وظيفتي في الكنيسة اوضح ما يأتى بكل صراحة :
فأنا لم اترك خدمة كنيستى لخلاف بيني وبين رعيتي قط ، كلا ،
ولم اترك شعبي ومركزى بسبب هرطقة او تعليم غريب مناف
لعقائد كنيستى ، بل انما تركت الخدمة في الكنيسة لانى
رأيت في الكتابة العمومية قوة تجذب قلبي الي العمل ، قوة
تستلذها روحي اكثر من أن اكون خطيباً مستأجراً
لطائفة واحدة من الناس .

كثيراً ما نقرأ عن افراد من رجال الدين يتركون خدمة
كنائسهم لاجل راحة ضمائرهم المشككة في عقائد الكنيسة
التي يخدمونها . غير انى لست من هؤلاء لانى كنت وما
برحت انظر نظرة غير المكترث لمثل هذه القضايا والشكوك .
ولم يحدث أقل انزعاج مثل هذا في حياتى . لانى ما زلت
اعتقد بأن الكنيسة كرمة فسيحة الارجاء ، ولا بد أن يكون
فيها كثير من العيدان اليابسة والفروع الذابلة ، غير انها تحتوى
على الكثير من الدوالى اليانعة الآتية بأثمار الحق النافعة .
وقد وقفت حياتى سحابة خدمتى الروحية على هذا القسم
الثانى من محتويات كرمة الكنيسة . وأننى ، ولا شك ، لو

اتيح لى ان أصنع كنيسة جديدة لصنعتها من المواد والاساسات الضرورية الثابتة دون غيرها، ولكن الكنائس لا تصنع صنعاً، بل هى تنمو نماء، والنمو لا يكون بدون نقصان وعيوب . ولكن إذا أزعجت العيوب فريقاً من النـاس ، وثبطت هممهم ، فهل نسي أمثال هؤلاء أنه حيث لا يوجد العيب والنقص لا توجد الحياة ، وأنا أعنى بالحياة النمو من الادنأ إلى الافضل

أنا صحافي اليوم ياصاح ، فاذكر هذا ولا تدعه يندّ عن ذهنك . واعلم أن هـذا الكتاب لم يسطره كاهن دفاعاً عن دعوته أو تأييداً لطائفته ، بل انما كتبه رجل عامى ايضاحاً لحالته ولرأيه الخاص في ديانته . وانى وأنا بحالتى الحاضرة قلما يهم أحداً من الناس إذا كنت مسيحياً تقياً أم لا . بل أنا قادر أن أعيش ولو خيل إلى الناس انى بوذى أو يهودى أو كافر زنديق . ولذلك فأنا مسـيحي لانى أحب ان اكون مسيحياً حباً مجرداً عن أية غاية أو مصلحة ، ولانى اعتقد بان المسيحية أفضل طريق تؤدي بى الى السعادة والغبطة في حياتى.

إن ولادتي في محيط مسيحي

لها بعض التأثير على مسيحيتي

«انني أحترم الماضي لان منه نشأ الحاضر،
واحترم الحاضر لانه يحتوى على المستقبل»

ان للعائلة المسيحية التى ُولدت فيها، وللامة المسيحية التى انا واحد منها، وللمدنيّة المسيحية التى رضعت لبانها، وللعصر المسيحى الذي اعيش فيه تأثيراً بيّناً في مسيحيتي. اعترف بهذا بملءِ الصراحة ولا استحى باعترافي

غير ان هذا لا يعنى بتة انى اقبل بأية عقيدة لمجرد ان أبى قبلها، او انى اؤمن بأيّ مذهب كان لانى ورثته عن تقاليد جدودي. ولكنه يظهر بكمال الايضاح انى قد وجدت في عائلتى وفي محيطى عاملا قوياً شجّع ما في قلبى من الاستعداد للسير على الطريق المسيحية. وقد كان عليّ ان اجاهد اضعاف ما جاهدتُ للبلوغ الى مسيحيتي لو انني ولدتُ بين برابرة افريقيا او غيرها من البلاد الهمجية. ولكننى

سعيد لانى ولدت في عصر النور وورثت مدنية عظيمة عن اسلافي اعترف بما قدمته لى شاكراً ممتناً

فقد وصلت الى المسيحية بعد جهاد كبير في العالم، وتقبلتها بعد اختبارات نحو الفي سنة . ومع ان هذا التاريخ سلسلة من الاغلاط فان الأغلاط في الغالب لمن اوفر مظاهر الاختبار تهذيباً وتعليما.

بيد انى أرى ان اسلافي كانوا يخنقون طهارة تعاليم يسوع في اثناء الالفين سنة الأخيرة بخلطها مع مظاهر الوثنية الغاشمة ، فكانوا يضحون طهارة تعاليم المسيح على مذابح أنانيتهم واهوائهم ورغبات جهالتهم . ولكن يلوح لى أيضا انهم عرفوا على ممر الزمان انهم قد ضلوا عن السراط المستقيم الذي رسمه لهم المعلم الحكيم فاستحوا من ضلالهم وحزنوا على تمرغهم في حمأته . فان كل الجرائم التى ارتكبتها الكنائس ، والاستبداد الذى تسرب الى قلوب قادتها ، والاضطهادات التى لحقت بالابرياء من اجلها ، والتعديات التى اصابت نبالها كبد الانسانية بسببها ، انما نتجت جميعها عن نقصان في افهام الزعماء الذين تبعوا يسوع من غير ان يفهموا

روح يسوع ، ولكن هذا النقصان قد زال برجوع الذين اصيبوا به الى المبادىء المسيحية الاولية .

انى احترم الماضي ، ولكننى لاغمض عينى عن عيوبه . احترم الماضي لان منه نشأ الحاضر ، ولاننا اذا درسنا الماضى واختباراته ، وعرفنا ما جرى فيه من التقدم والتقهقر نستطيع ان نجنى مستقبلا أفضل وأجل من مستقبلنا .

وأؤمن بالنشوء التدريجى والارتقاء المتواصل ، لان كل راغب في الدرس والمعرفة يجب أن يؤمن بهما . فكل ذى علاقة بالحياة نام غير مصنوع . والمسيحية نفسها انما نشأت عن اليهودية التى كانت أفضل الطرق الأدبية التى بلغ اليها العالم قبل مجيء المسيح . ويسوع نفسه انما جاء ، كما قال : « عند ملء الزمان » . ولذلك فهو ثمرة الكمال فى شجرة الزمان . وقد كان على المسيحية أن تنمو بعده لكي تجتاز عواصف الشبيبة وتكبح الجامح فيها فتتأصل فى القلوب البشرية إلى الابد .

أجل ، ان المسيحية لا تثبت او تسقط لمجرد انها نظام نظرى فائق الطبيعة ، وغير منظور ، بل لأنها نظام عملي

منظور وقد خبره الوف الالوف من ابناء المعمور وعرفوا فوائده في كل فرع من فروع الحياة .

والعالم مع شروره الحاضرة هو أفضل بما لا يقاس مما كان فيما مضى من الزمان . فان الشعور ضد القادة ، والنفور من الظلم والمعيشة البهيمية ، والحرب والخصام ينموان عاماً فعاماً في الصدور . وأهم ما يسبب هذا النمو انما هو تأثير ذلك الناصرى المسكين ومثاله وتعليمه

لا أثر للرجاء بالسماء
أو الخوف من الجحيم في مسيحيتي

« ان للمجازاة والمكافأة بعض التاثير على سلوك الانسان ولكنهما لا تبنيان حجراً واحداً في بنيان أخلاقه »

لست من الناظرين الى نظام الثواب والعقاب كما يفهمه وينظر اليه اكثر الناس . لانني لا أعتقد بأن حكومة الله أو شرائع الطبيعة ترغبان في مثل هذا النظام . ولا أنكر اننا بطبائعنا نتأثر بما نتوق اليه من الاشياء المستحبة وما نخافه من الاشياء المستكرهة ، ولكن مثل هذه التأثيرات تتسلط في الغالب على صغار الاولاد وتزول كلما تقدمنا نحو البلوغ . ففي سن البلوغ تتمّ السيادة للضمير والارادة التي ترفض مالا ينطبق على الوجدان في سبيل ما هو اكثر منه انطباقا واقناعا . وكلما تقدم الانسان في الايام تتذلل أمامه المصاعب وتزول من ذهنه المخاوف التي كانت تخطر له في سن الصباء فيحتقر الخوف ويحترم الشجاعة والجرأة حيثما وجدهما . وربما

كانت هذه الشجاعة وهذه الجرأة من الحاجات اللازمة لكيانه كرجل بالغ لزوم الرغبة والخوف له كولد صغير

أما أنا فلست ُمسيحياً لمجرد اعتقادى بان المسيحية تساعدنى على البلوغ الى السماء ، لان معرفتى لما سيحدث بعد الموت ضيقة محدودة ولا تستطيع أن تكون قوة فعالة تميل بحياتى كيفما ارادت . كلا ، ولا للخوف من الجحيم أقل تأثير على مسيحيتى ، لانى اعتقد بأن الرأى القائل بالعذاب الجهنمى والنار الابدية غريب عن طبيعة الاله الذى أؤمن به

على انى لا أنكر البتة أن اتباع خطوات يسوع يؤدى بى الى الغبطة والسعادة وأن الابتعاد عنه يؤدى الى الشقاء والتعاسة . ولكن هذا لا يتعدى الظروف التى تحيط بشكل الحياة . فقد رتبت الحكمة الالهية الكائنة في الطبيعة ان جميع العائشين عيشة معتدلة على مقتضى الشرائع الطبيعية يكونون فى الغالب سعداء ، وان الذين ينقضون هذه الشرائع ترافقهم الآلام والمصائب . أما الاهتداء الى معرفة هذه الشرائع فمن خصائص تهذيب الغرائز الطبيعية وهو يساعدنا على تكييف ذواتنا للحياة على وفق شرائع الوجود وان لم نفهمها

في اكثر الاحيان . ولكن انْ أبني اختيارى لنوع الحياة التي أحياها على كل شكل معين من البركة اناله في الآخرة ، أو نوع هائل من التهذيب يحل بى في الجحيم ، فذلك بعيدٌ جداً عن ان يكون حقيقة في ذهني أو ملائماً لرجولتي

اننى اكون سعيداً ههنا ، في هـذه الحياة ، اذا تبعت مبادىء يسوع ، واكون تعيساً ههنا ، في هـذه الحياة ، اذا رفضت هذه المبادىء أو شككت في صحتها . ولما كان هذا الوجود مزيناً بالنظام ، وكانت الشريعة التى فيـه واحدة كما على الارض كذلك في الكواكب والنجوم كما في هذه السنة كذلك بعد مليون سنة ، فان الافتراض الذى يتبادر الى ذهنى هو هذا : اذا كنت سأظل حياً بعد الموت فانني سأظل سعيداً بايمانى بيسوع واقتفـاء خطواته ، وبالعكس سأكون تعيسا شقيا ان ضللت عن السير وراءه . هذه عقيدتي بكاملها وليس للسماء أو للجحيم دخلٌ فيها البتة

ان ايماني بالمسيح

غير مبني على شهاداته الرسمية

« ان يسوع هو اسمى مثال للعظمة الحقيقية في تاريخ الجنس البشري. ولا احتاج في مسيحيتي الى شهادة أو برهان على هذه الحقيقة. لانه لا يهمني من أي جهة من الاحراج جاء الى العالم. »

اني أؤمن بيسوع واتخذه معلماً لي ، وبملء اختياري اسمي ذاتي تلميذاً له ، ولكن القوة التي تدفعني الى ذلك انما هي مستمدة من أقواله وأفعاله المدونة على صفحات الانجيل .

فانا لا أومن بيسوع ، مثلا ، لانه ابن الله فحسب، لان فريقاً من الناس يقول انه كان الهاً حقيقياً ، وغيرهم من يقول انه لم يكن سوى رجل عظيم ، غير ان لي رأيا في هذا الموضوع مثل غيري من الناس ، ولكن ليس لهذا الرأي أقل تأثير على عقيدتي بزعامة يسوع ، فأنا اعتقد بأنه معلمي الوحيد ولا فرق عندي أكان الها هبط من السماء وقضى بضع سنوات على الارض ، ام كان اماما من كبار الحكماء وقد عاش عمره

كما يعيش جميع الاحياء ، ففى الحالتين أرى ان ما قاله وما عمله كاف لتعليمى وسعادتى .

ان ايمانى بيسوع غير مبنى على انه حُبِلَ به وولد بدون معرفة رجل ، فان هذه العقيدة قد طالما حمى وطيس الجدال بين الناس بسببها ، فمنهم من آمن بها ومنهم من أنكرها ، غير انها لا تؤثر البتة في مسيحيتى

ان مسيحيتى لا أثر لوحى الكتاب فيها بتة ، فسواء كان الكتاب موحى به من الله أم لم يكن ، وسواء كانت الفاظه ومعانيه منزلة كلها أو كانت المعانى منزلة دون الالفاظ والعبارات ، فان معلمى يسوع هو هو فى عقيدتى مهما اظهرت لى من المقدمات والنتائج لتأييد الوحى او لنفيه

ان سلطة يسوع كائنة في تعاليمه المكملة لحاجات الناس وليس في عجائبه ، فان العجائب يمكن ان تقدم بعض البراهين لكثيرين من الناس عن عظمة يسوع كزعيم ، غير انها لا تؤثر بى من هذا القبيل ، لان الحقيقة القائلة ان رجلا يستطيع ان يحول الماء الى خمر ، ويشفى الايدى اليابسة ويقيم الاموات يمكن ان تدهشنى وتقنعنى بانه كان ذا قوة فائقة ليس لى قوة

مثلها ، ولكنها لا تظهر لى الصفات التي تؤهله لان يكون مرشداً روحيا لى

اكثر الناس لا يصدقون بأحدمن الزعماء ما لم يعرفوا القوة التي وراءه ، أما انا فكل ما اود ان أعرفه من الزعيم القوة الكائنة في شخصيته ، فاذا جاءنى أحد بحقيقة ما ، فانه سواء عندي كان ذلك الرجل ملكا او اسكافا، وانه لأسهل على ان اعرف اذا كان قوله حقا أم لا بتطبيقه وتجربته في حياتى وليس بالبحث والفحص اذا كان يحق له ان يقول مثله قولا

انى اجد في تعاليم يسوع وحيا عميقا ساميا يكشف لى اسرار الحياة البشرية ومكنونات القلوب الانسانية ، واهتدى بها الى مفاتيح المعرفة العظيمة التى تربط الناس بعضهم ببعض ممالا أجده في أية تعاليم اخرى من تعاليم المعلمين والمصلحين وانك لعاجز عن ان تجرده من الصفة التى تجعله ربا ومعلما لى ببرهانك النظرى انه لم يصنع عجيبة قط من العجائب المنسوبة اليه او انه لم يولد من امرأة عذراء ، بل انك لا تقدر ان تجرده من هذه الصفة حتى تقدم لى سيداً افضل منه ، فاذا قدمت لى معلماً اغزر حكمة وأوفر عطفاً واكثر تأثيراً وجاذبية

للقلوب من معلمى فحينئذ اترك يسوع ، ولكننى لن اتركه قبل ذلك الحين ،

على انى استطيع ان اقول اليوم نفس ما قاله احد تلاميذه الاولين : « يامعلم ، الى من نذهب وكلام الحياة الابدية هو عندك ؟ »

اما البرهان على حقيقة وجود يسوع وحياته فليس ضروريا في مسيحيتى ، فان فكتور هيجو او يوسيفوس او شكسبير يمكن ان يكتبوا الى تاريخه . ويسوع لا يثبت او يسقط فى عقيدتى بناء على شهادة المؤرخين الذين دونوا ترجمة حياته فان هؤلاء كانوا اتباعا ليسوع ولم يكن يسوع لهم تابعا.

ولا يهمنى من اى جهة من الاحراج والجبال جاء الى العالم . لان بلاده وجدوده واصل ذريته قلما تؤثر فى مسيحيي وكل المجادلات والمحادثات في حوادث تاريخ حياته هى حشو فارغ فى نظرى . فهو بالرغم من جميع هذه المباحثات الكائن الاسمى الذي عرفته البشرية حتى الساعة ، والمثال الاعلى للحكمة واللاهوت والمحبة في تاريخ هذا الجنس

البشري . ولا احتاج فى مسيحيتى الى شهادة أو برهان على هذه الحقيقة الواضحة في ذهنى .

فان الديانة التى أدين بها ليست ديانة سلطة أو قوة تحتاج إلى دعامة وتثبيت . وربما أكون أكثر صراحة إذا قلت ان سلطة يسوع كلها على قلبي مستمدة من حقانية تعليمه وليس من المصدر الذى جاء منه هذا التعليم .

فهو يخبرنى أفضل من كل معلمي العالم ، كيف يجب أن أعيش على هذه الارض ، وما هي الطريق الفضلى التى استطيع أن أمشى عليها في عواصف هذه الحياة المضطربة ، وكيف يجدر بى أن أعامل عائلتي ، وأصدقائي وأعدائي وأقربائى . ولذلك فهو أنقى ينبوع أستقي منه مياه تهذيبى ، لانه كما قال جوبرت : « ان التهذيب يقوم فى كل شيء يساعدنا على البلوغ الى القناعة في حاجات أجسادنا وأفكارنا »

ان يسوع هو مأمور الاجراء الروحي الذى أنا في حاجة ماسة اليه لقضاء حاجاتى الروحية ، ولا أسأله أكثر مما أسأل أى مأمور اجراء آخر من القائمين بقضاء حوائجي الجسدية « هل تقدر ان تقوم بعملك ؟ »

واني أرجو من القراء ان يتذكروا دائماً في قراءة هذا الكتاب اني انما اكتب عن نفسي فقط بملء الصراحة، ولست بما اكتب أنتقد أحداً من الناس لانه يعتقد غير ما أعتقد. فان في العالم كثيراً من الافكار التي لاتستطيع ان تقبل الحقيقة ما لم تدعمها قوة خارجية. ويمكن ان تكون لهذه الافكار من الطمأنينة والراحة ما لفكري وأزود. بيد أنها ليست أفكاري.

أجل، ولا يتحكم بي يسوع ويأمرني بمقدار ما يخاطبني ويعلمني. ولا يقودني كما يقود الانسان رجلا أعمى بمقدار ما يفتح عيني ويطلقني لاسير وحدي. وكالمعلم الصالح لايثقل كاهلي بالفرائض والرسوم بمقدار ما يوقظ في اعماقي الرغبة في اقتباس الحكمة والفهم. وليست الاقوال التي قالها حقيقية لمجرد انه هو قالها، بل انما قالها لانه عرف أنها حقيقية. واني لا أصدق كل ما قاله لانه كان ذا صلاحية لان يقول مثله قولا، بل انما أؤمن به عن قناعة وتسليم في أعماق قلبي بان كل كلمة منه حقيقة خالدة، وأما المجادلات والمشاحنات في الاصول الشرعية والتفاسير القانونية والصلاحية للسيادة والرئاسة والنيابة فانها قلما تهمني.

أنا مسيحي

لان يسوع قد أظهر لي بكمال ما يوجب القناعة والرضى ، حقيقة الشخصية الالهية

« إن خادم الجميع هو أعظم من ملك الملوك »

اننا كيف نظرنا الى طبيعة يسوع ، سواء اعتبرناه الهاً أم معلما عظيما أم زعيما متطرفا ضالا ، فاننا لا نستطيع ان نشك فى ان خلاصة رسالته قد انحصرت في ان يعلن لنا طبيعة الله. ففى سائر اعماله وجميع أقواله نراه يضرب على وتيرة واحدة خلاصتها قوله ، « من رآنى فقد رأى الاب » وانه لسواء عندي مغلوطا كان ام محقا فاننى اعتقد بأنه ما من معلم آخر فى العالم استطاع ان يصور لنا الله عز جلاله بصورة أفضل واكمل من صورة يسوع. فلو اتيح لى ان اتخيل صورة لله لما كان في وسعي ان أرى صورة تستحق اعتبارى وتستدعى عبادتى واحترامي مثل صورة يسوع المسيح.

وقد ميز يسوع صورة الاله التى قدمها للعالم بصفتين خاصتين. فاظهر الله أولا كصديق، ثم اظهره كخادم الوجود وليس كمالكه الجبار

وهاتان الصفتان قد كان لهما، اكثر من أية حكمة أو تعليم كان فى العالم، الفضل الاكبر في اصلاح العادات والتقاليد وتهذيب النظم وترقية الاخلاق في سائر انحاء الارض

اولا، اظهر الله كصديق عطوف. فعزز بذلك العقيدة الجليلة التى ظهرت اولا فى بلاد اليهودية ثم كادت تضمحل تحت تأثيرات الامواج الوثنية التى غطت بتيارها جمال الايمان اليهودى عند ما جاء يسوع الى العالم. وقد كان ظهور هذه العقيدة للمرة الاولى في الاشعار المنسوبة لداود. فان كان داود قد كتب المزمور الثانى والعشرين أم لا فانه ولا شك قد كتبه أحد اليهود الذي كان من غير اقل معارضة في مقتبل الشباب. وانني أتمثل امامى، الراعي الصغير داود، يرعى قطعان ابيه، ويراقب الخرفان المتجمعة حواليه عند حلول المساء :وقد طالما فكر، كما يفكر كل منا، بالالغاز

العظيمة والقضايا الهامة المحيطة بالوجود وما فيه من الكائنات الحية وغير الحية ، وتاه فى صحاري الحيرة يسائل نفسه كيف يكون الشخص الذى يقطن في السماوات ويحرك بكلمته جميع الكائنات . ولا شك ان ذلك الراعى الشاب كان شاعراً ، وللشعراء طريقة مختصة بهم يوضحون بها حقيقة غير المنظور وغير المعبر عنه بأمور تنظرها وتشعر بها ، « فيطلقون على اللاشيء الاثيرى اسما ويقيمون له مسكناً » أجل ، انني اتمثل ذلك الراعي الشاعر واكاد أراه الآن بعيني وان لم يكن حاضراً ، ينظر الى الخرفان المجتمعة حواليه طلباً للحماية والوقاية فتشرق فى قلبه أشعة علوية تُشعره أن في هذا الكون وفي هذا الحقل الجميل الذى انت فيه توجد صورة واضحة للخالق العظيم الذى تنشد صورته . فيترنم في الحال بتلك الانشودة الخالدة ، التى هى أشد أشعار العالم وقعاً في القلوب وتاثيراً على النفوس ، الانشودة التى عزت من القلوب وأزالت من مخاوف بنى الانسان اكثر مما فعلت جميع أشعار الارض ، بل انها بالحقيقة قد أنارت مشاعل الحياة في قلب مغاور الموت :

« الرب راعيّ فلا يعوزني شيء

« في مراع خصيبة يقبلني ، ومياهَ الراحة يوردني

« يرد نفسي ويهديني الى سبل البر من اجل اسمه

« اني ولو سلكت في وادي ظلال الموت ، فلا أخاف سوءاً .

« لانك معي .

« عصاك وعكازك هما يعزيانني »

هنا يجد العالم ميزة اليهودية البارزة . ولاجل هذه الانشودة قيلت الآية ، « لان الخلاص هو من اليهود » فان هذه الفكرة لمن أفضل ما عرفه العالم في الفداء : الله صديق عطوف . انك لا تستطيع ان تجد عقيدة مثل هذه في كتب هوميروس واكيلا ، ولا في كتب أي عاقل عالم أو حكيم من حكماء اليونان ، كلا ولا في تعاليم كنفوشيوس وبوذا وحمورابي . ولذلك فانها فريدة قلائد اليهودية .

وقد كانت هذه الفكرة الالف والياء في جميع تعاليم يسوع في الخالق العظيم

فقد علمنا ان نصلي قائلين ، « أبانا » . وهذه الكلمة قد بعثت حرارة المحبة في جميع أنحاء العالم . وظلت هذه الفكرة سائرة في طريقها المحفوفة بالاخطار وثبتت حتى الآن بالرغم من جميع المقاومات والتحريفات ، في وسط جميع العقائد العقيمة والنظم السقيمة ، والمنطق الناعم والسفسطة الفارغة . ولا تزال حتى الساعة نقيـه قوية متجملة بجمال الشباب . واني مدين ليسوع ولداود بما عندي من القوة التي استطيع ان اقاوم بها جميع المتغطرسين من ذوى السيادة والعجرفة في التاريخ واصرخ بهم قائلا ، « ليس الله ملكي الجبار بل هو صديقي الحميم »

أما الصفة الثانية التى وصف لنا بها يسوع العزة الالهية ، فهى ان الله ليس بسلطان الوجود المتجبر بل هو خادمه الوضيع .

وكما سبقت فاوضحت في كتابى «الله والديموقراطية»(١) اكرر الآن ، ان العالم كان يعتقد فيما مضى ان السيد المطلق

---

(١) كتاب « الله والديموقراطية » من خيرة مؤلفات المؤلف وقد فرغنا من تعريبه مؤخراً وسنقدمه للطبع في أول فرصة ملائمة ان شاء الله — المعرب

للكون هو ملك جبار مثل ملوك الارض واسيادها . وقد نتج ذلك كله لان النـاس لم يكونوا يفهمون معنى العظمة الحقيقية. فكانوا يقولون ان الله يجب ان يكون اعظم شخص فى الوجود . ولما كان الملك المثال الاعلى للعظمة فى ذلك الزمان ، لذلك وجب ان يكون الله ملكا مثل سائر الملوك . ولاجل هذا عم الاعتقاد بين المتقدمين بان الله ملك بجميع مظاهر الملك . ولذلك كانوا يتوهمون انه بالغ الانانية، معجب، متصلف ، غيور ، ظالم . رهيب . لا يستطيع احد ان يدنو من عرشه. ولكن يسوع لم يكن على شيء من صفات هذا الاله .

فهو لم يجلس على عرش ، ولم يسعَ الى كرامة او شرف لذاته ، وكان يخدم الناس سحابة حياته لاجل منفعتهم عوضاً عن ان يحكم عليهم بالعمل لاجل منفعته الخاصـة . وقد فعل ذلك لانه كان يعتقـد بأن عمل الخدمة هو افضل كثيراً من عمل السيادة . وعلى ذلك قوله : « من اراد ان يكون فيكم عظيما فليكن للكل خادما »

وقد حدث لى من مدة حادث قاد هذه العقيدة مرغمة الى منزلى ثم الى فكرى . فقد افقت من نومي فى احدى

الليالى مفتكراً ان هنالك قارعا يقرع باب غرفتي . وكانت الساعة الثانية صباحاً وهي ساعة الظلمة الساكنة . وبعد بضع ثوان ثبت عندى ان ما سمعته لم يكن قارعا غريباً يطرق باب غرفتى بل انما كان قارع قلبي يقرع في العروق الضوارب في عنقى على وسادتى . وفي تلك اللحظة سمعت قاطرة القطار تنفخ وتصفر وهي تسير على الخطوط الحديدية قرب منزلى . فقلت على الفور للقاطرة ولقلبي : « سيرا ولا تبطئا فانتما حرّان فى سيركما ولا سلطة لى عليكما . اننى لا ادرى من يسير هذه القاطرة ، كما اننى لا ادرى ممن يجعل قلبي خافقا نابضاً . فاننى ولا شك لا سلطة لى على ادارة حركته او على تكييف نبضاته . ومع اننى استطيع ان اوقفه عن الحركة بسكين حاد او بقليل من السم ، ولكننى ان اوقفته لا استطيع ان احركه ثانية . »

فقلت إذ ذاك في نفسى ، ان الرب هو الذي يتحرك في قلبي . وظللت أراه سحابة تلك الليلة عاملا نشيطا يحرك المضخة المركزية فى قلبي التي ترسل دم الحياة الى سائر أنحاء جسدى ، وهو يشتغل بصبر وثبات غافلا كنت أم مستيقظا .

فجاءت الى ذهنى فى تلك اللحظة الآية القديمة ، « إن حافظ اسرائيل لا ينام ولا يَوْسن »

فخطر لى اذ ذاك انه سبحانه وتعالى ، هو الذى يدير رحى رئتي ، وينقى مجارى دمي ، منتصبا كأنه كيماوي ماهر في مصنع معدتى ، محولا الغذاء بطرائق الكيماء العضوية الغامضة الى مادة تمتزج باللحم والدم ، وقائداً كل ذرة من دمي في طريقها المتعرجة في الشرايين والاوعية الشعرية ، وهو لا يفعل ذلك لى دون غيرى من الناس بل لكل مخلوق بشرى على وجه الغبراء ، ولسائر المخلوقات الحيوانية الحية في العالم ، للمواشى المنتشرة على الوف التلال ولجميع طيور السماء وحيتان البحار ، ويراقب النمو والاضمحلال وألوف الطوارىء الخارجية التى تطرأ على حياة العالم النباتى ، وفوق كل ذلك فهو يقود السيارات فى سيرها ويدير حركة المجرات اللامعة في مسالكها الغريبة

وخيل الي فى تلك الساعة انه قد اتيح لى ان أتمتع بنظرة جديدة من الله ، وانى كموسى كدت أرى ما أخفي عنا من إلهنا ، وان هذه هي العظمة الغير المتناهة بكمالها التى لا يستطيع

انسان ان يدركها ، وهذا هو الجلال اللامع الذى لا يحيط به وصف، الذى لا ينظره امرؤ ويعيش. بل وثقت باننى قد لقيت الخادم العظيم لجميع الانام وهو مكب على عمله

أجل، ان مثل هذه العظمة الحقيقية تفوق ببارق انوارها جلال رب الجنود وسلطان الوجود الذى يمثله ابناء المسارح جالسا على عرش من الجواهر تحيط به السارافيم والشاروبيم ، كما تفوق اشعة الشمس اللامعة بانوارها فوق قنن الجبال أنوار الشموع الضئيلة فى المسارح المزدحمة بالجموع

هـذا هو التعليم الذى أعطاناه يسوع ، ان الله ليس بالسلطان القاسي بل هو أب رؤوف وان جميع الناس هم أبناء متساوون أمامه، وهذا التعليم هو اساس الديموقراطية الحرة التى دكت الصروح القائمة على أسس الاستبداد والاستعباد بعضها وراء بعض

وانى لست بالمسيحي لاجل ماصنعه يسوع معى فحسب، بل انا مسيحى لما يصنعه مع العالم الذى اعيش فيه والامة التي انا فرد منها

على ان القوة المتأتية من معلم اجمع العـالم على اكرامه

واحناء الرأس لاخلاقه ومبادئه كيسوع - انما هي في الحقيقة بعيدة الغور ولا يدركها الا الثاقبوا النظر من الصادقى الايمان لان امراء الكنائس المستبدين العميان فى تعصبهم وكبريائهم لايشعرون الا وقد هبطت قصور تشامخهم ومحبتهم للتفريق والتحزب كل لطائفته عند ما يتذكر التابعون لهم ما كان عليه رئيس الكنيسة الاعظم من التواضع والمسكنة. والملوك والسلاطين وغيرهم من ذوى السيادة وارباب السلطة لم تقمع شهواتهم وطموحهم للسيادة والصدارة قوة فى العالم كما فعلت بهم قوة يسوع الحقير المسكين الذى لم يستطع احد ان ينزع صورته من اذهان العالم بل ان البلوطوقراطى فى هذه الايام التى نعيش فيها يشعر بانه يجب عليه أن يبرر ذاته بأن يفعل شيئا تكون فيه مصلحة عامة وقوة مُفحمة لاعتراضات الرأي العام، لانه لا يقدر أن يهرب من امام الخيال الذى يتهدده، خيال ذلك الفقير المسكين الذى جاء الى العالم ودعى ابن الله وقضى عمره يصنع خيراً ويحسن الى جميع المحتاجين. ولذلك نرى روكفلر يضطر الى انشاء الكليات لمقاومة الامراض ولتعميم وسائل التهذيب. وكارنجى يُرغم على بناء المكاتب العمومية

والبذل في السبل السلامية. وهنري فورد يشعر باضطرار الى تبرئة ذاته فيستخدم الالوف في مصانعه . والنقطة الرئيسية هنا ليست ان هؤلاء الثلاثة هم رجال أفاضل ونماذج صالحة لغيرهم من الناس، بل النقطة الهامة ان هؤلاء الثلاثة وأمثالهم من الفاعلين فعلهم في العالم انما هم مضطرون الى ان يقيسوا ذواتهم وافكارهم بمقياس حياة يسوع . لانه ليس في العالم من طريقة للتخلص من مقاييس هذا الانسان . فنحن نستطيع ان نطبق حياتنا عليها أو أن نرفضها . ولكننا لا نستطيع أن ننكر وجودها ، ولا ان نتناسى أمرها

أنا مسيحي

لأن المسيحية تلائم غرائزي

« ليس فى المسيحية ما يناقض الانسانية »

إن البرهان الاسمى على أية حقيقة كانت في الوجود انما هو كائن في الغرائز . ومن اقوال أمَرْسُون ، انه عند ما تكون لدى الله قضية يريد ان يبحث فيها مع الجنس البشري فانه يغرس براهينه ويأتي بادلته عن طريق الغرائز الفطرية

كلما فكرت برجاحة فكرى وغزارة ذكائي وفطنتى ، أرى ذاتى أوفر شكا بفكري واكثر ترددا في احترام فطنتى لان الاختبار قد علمنى ان المنطق كثيراً ما تغلبه الشهوة وتغشاه امواج الرغبة ، وان البرهان على ما نريد أن نؤمن به كثيراً ما يكون سلماً غاشة للاقناع . لذلك فان حجج المتشرعين وبراهين المنطقيين لا تؤثر بي البتة في القضايا الحيوية الهامة التى جل اعتمادي فيها على غرائزي . لان المشاحنات والمباحثات يربحها في الغالب الفريق البارع فى

التعبير عن أفكاره بالالفاظ البراقة والماهر في ميادين المنطق واستخدام سيوف السفسطة الفارغة

فانا أحب امرأتي ، مثلا ، وأحب اولادى واصدقائى وبلادى ، ليس لانني قد طرحت قضيـة محبتهم أو عدمها على بساط البحث في فكرى لـكي أرى ما يتأتى لى من المحبة أم عدمها ، بل انما أحبهم لانني أسير وراء رغبة خفية في نفس قد عرفت بالاختبار انها اكثر من المنطق قوة ، وانها مثله يمكن ان يعتمد عليها في أية ساعة لتأتي بأشهى الاثمار وخير النتائج

غير انني اذا تكلمت عن الغرائز فانا اتكلم عن جميع انواعها العاملة في اعماقي . ففى كياني غريزة العطش ، والجوع والدفاع عن الذات ، والحرب ، والطمع ، والحب الجنسي ، والرغبة في حفظ النوع ، والعدالة ، والانتقام ، ومحبة الجمال ، والخوف ، والشجاعة ، والتقوى وامثالها . ومن مجموع هذه الغرائز تتكون انسانيتي

وانني لا أعتقد بأن بعضاً من هذه الغرائز شرير ويجب عليّ أن استأصله من كياني . بل أثق بأنهـا جميعها صالحة ، لان الله قد وضعها فيّ ، « وما قدسه الله لا تنجسه أنت »

وكل ما احتاج اليه ان ارتب هـذه الغرائز كلاً في موضعها واضبطها وأقرر لكل منهـا عملها حفظا لصحتى وسعياً الى الاعتدال في طبيعتي . لانى احتاج الى ان اكون انساناً بكل ما في الانسانية من القوة

واذا خرجت واحدة من هذه الغرائز ، اما عن اهمال أمر العناية بتدريبها ، أو عن اعطائها اكثر مما يحق لهـا من العناية ، عن اعتدالها وعملت على الخراب والدمار فان ذلك لا يعنى انها غريزة شريرة ، بل انما يظهر انهـا خرجت عما رُسِمَ لهـا من العمل . لان غرائزي هى بطبائعها كالخيول الجامحة . وأنا لا اعتقد بأنه يجب عليّ ان أقتل امثال هـذه الخيول لمجرد انها جامحة ، بل يجـدر بي ان أطبّعها واروضها حتى انتفع منها لتحملنى وتحمل اثقالى

وقد وجدت بعد الدرس والاختبار ان المسيحية افضل نظام لترويض هذه الغرائز وتدريبها فى المسالك الصالحة . لان الانسان أشبه بالآلة البخارية التي تجرّ القطار والغرائز التى فيه هى البخار ، لان كل ما فيـه من القوة مستمدٌ من غرائزه . أما الارادة والذكاء فليس فيهما شيء من القوة

الجسدية ، ولكنهما مُديران منظمان . ولذلك فانني اعتقد بأن غرائزي هي البخار ، وجسدي هو حديد الآلة البخارية ، وعقلي هو الخادم الذي يشعل النار ويسوع المسيح هو المهندس البالغ الدراية في تسيير هذا القطار حيثما شاء

غير ان بعضاً من هذه الغرائز هي حيوانية محضة وقد ورثتها على ممرّ الوف السنين من الحياة الحيوانية التي ترجع الى عهد الانسان الاول المنحط والى الهمجية والبهيمية الاولى ولهذه الغرائز مركز خاص في جسمي ، وهو مركز طبيعي نافع لا بدَّ منه لكياني . ولكن اذا لم تتسلط ارادتي على هذه الغرائز وتحكم عليها في جميع حركاتها وسكناتها لكي تتجه أبداً في السراط المستقيم فانها تقودني الى الموت والهلاك

فالمحبة الزوجية مثلا ، التي هي واحدة في الانسان والحيوان ، انما تحفظ من ان تنحط وتتسفل الى درجة تؤذي وتضر في المجتمع الانساني باخضاعها للغرائز المتهذبة على مرور الايام كالاعتدال ، والامانة والتضحية ونكران الذات في سبيل خير الآخرين وسعادتهم

بيد انني اذا قلت ان المسيحية خير مُرَوِّض وافضل

مُدرب للغرائز البشرية فانا لا أعنى بالمسيحية مجموع الموضوعات التى أمرَ بها نفرٌ من ذوي الانانية والتعصبات الطائفية التى لا غاية دونها سوى السيادة والعجرفة بل أنا ارجع دائماً الى المباديء المسيحية الاساسية التى يسلّم العقل الصحيح بأنها قد أعلنت وأظهرت فى حياة يسوع وفى تعاليمه

واذا شاء أحد أن يُصرّ على أن المسيحية والكنيسة واحد ، وان تعاليم يسوع هى نفس التعاليم التى وضعتها بعض الكنائس المسيحية في أزمنة مختلفة ، فاننى أصارحه القول أن أى بحث يجرى بينى وبينه انما هو عقيم وبغير فائدة . لاننا اذا لم نرجع الى نصوص الانجيل البسيطة ونستخرج منها خلاصة مقاصد يسوع ومبادئه، ونميز بينها وبين جميع الزوائد الغير الضرورية فانه ليس من فائدة ترجى من ابحاثنا ولا من جميع أعمالنا وأقوالنا في هذا الموضوع

على انى لا أقصد بهذا أن أجرّد الكنيسة من فضلها لان الكنيسة محقة في جميع عقائدها الاولية . والتأثير الصالح الذى تحدثه جميع الكنائس المسيحية هو أفضل عامل في الهيئة

الاجتماعية على ترقية الاخلاق وزرع بذور الفضيلة في أفكار الرجال والنساء على السواء

ولكن اذا أمعنا النظر في تعاليم يسوع نرى أنه قد حصر القوة الكبرى في ثقته بغريزة واحدة، هى غريزة المحبة. والمحبة ليست ثمرة من ثمار الفكر أو نتيجة من نتائج المنطق بل هى غريزة طبيعية لا تقوم الحياة بدونها. وقد قال يسوع: انها، أى المحبة «كمال الشريعة»، وهي الآية الذهبية لتصرف البشر بعضهم مع بعض

وانى لا أجد في حياة يسوع ما ينافي المبادىء الانسانية، ولا أعرف أن في المسيحية تعليما يأمرنى بأية طريقة كانت على تقييد عواطفي وتخنيقي أو ينزع من الحياة البشرية شيئاً من حرارتها وكهربائيتها وجمالها وعزمها. ولكن هنالك عدداً كثيراً من الطوائف وأصحاب الاوهام في المسيحية الذين يقترفون أمثال هذه الجرائم باسم المسيحية. ولاشك عندى أن القارىء الاديب يدرك هذه النتيجة لذاته

أما أنا فانى أعتقد بأنه ليس فى اتباع يسوع ما ينزع ولو جزءاً قليلا من انسانيتى. وأما ما يفرضه البعض من

وجوب الابتعاد عن جميع رغبات هـذه الحياة ، ونكران الذات ، والاعراض عن جميع طيبات هـذه الارض ، وقهر الذات بأنواع التعذيبات المختلفة ، وانه يجب ان نقضي الحياة بالتأملات الروحية — فانه قلما يهمني

فان كلمة « طهارة » اكثر ما يستعملها الناس في غير محلها، بل كثيراً ما يستعملونها بصورة تدعو الى الهزء والسخرية . لان الانسان يكون طاهراً بالحقيقة اذا تسلطت مبادئه السامية على ما في جسده من القوات والرغبات تسلطا قانونياً . أما اذا لم تكن له رغبات جامحة ليكبحها ويتسلط عليها فانني لا أستطيع أن أدعوه طاهراً . وقد قال ريتشارد جرانت هوَيت، أن العفة كلمة كثيراً ما يسيء الناس استعمالها ، فانها لا تعني العذراوية دون غيرها ، فان أمهاتنا عفيفات كاخواتنا ، بل ربما كانت الأم المتزوجة اكثر عفة من ابنتها غير المتزوجة

ومن شرّ اللعنات التي علقت بأفكارنا من العالم القديم أن الصلاح فضيلة سلبية . ولذلك وجب على المسيحي أن يحتفظ بملء الصرامة على القيام بمضمون الوصايا التي لا أول لها يُعرف ولا آخر يوصف وفي أول كل منها « لا تفعل .... »

ولكن المسيحية الحقيقية هى عكس ذلك ، هى تنشيط جميع القوى العقلية ، والعمل على جعل الحياة أوفر اثماراً واكثر خصباً . والمسيحيون يجب أن يكونوا «ملح الارض» و «اذا فسد الملح فبما ذا تملح الارض ؟» وأما الدافع الذي يدفع بعض الناس الي تسمية المسيحيين بالمستخنثين الجبناء ، ويجرئهم على الاعتقاد بأن الطريقة الوحيدة للوصول الى وجود مزدحم ممتلىء من الغبطة والسعادة انما هى طريق الرذيلة والتطرف فى كل شىء — فانما هو خَبَلٌ في عقولهم . لان الكتاب المقدس يصيب من الوجهة العلمية عند ما يصف الخاطيء بالمجنون . وقد قال يسوع انه جاء لكي نكون فرحين به ولكي يكون فرحنا كاملاً » ولذلك فانني مسيحى لان اقتفاء خطوات المسيح هو أفضل نظام رأيته حتى الساعة لجعل حياتى غنية كاملة بالفرح الكامل

أنا مسيحي

لان مبادىء المسيحية تزيد الحياة عزماً ونشاطاً

« الايمان بالحياة عقيدة أولية »

شارل واغنار

قال شارل واغنار المشهور ، « الايمان بالحياة عقيدة أولية » . واني أؤمن بهذه العقيدة الاولية من اعماق قلبي . لان أول ما أؤمن به في هذه الارض هو الحياة . وهذا الايمان بالحياة هو أصل لجميع أنواع إيماني . فهو أعمق من النهى ومن جميع أوليات العقل وما يبلغ اليه الادراك من النتائج والحقائق . فالايمان بالحياة سابق للايمان بالحقيقة أو الايمان بالصلاح بل هو سابق للايمان بالله . لاننا اذا أمعنا النظر في الموضوع نرى أن الحقيقة والصلاح والله نفسه يتوقف الايمان بهم على علاقتهم بالحياة ، بحياتي كما بحياة كل انسان على وجه الارض

هذا هو حجر الزاوية لكل شيء في الحياة . لان كل عقيدة تسقط أو تثبت بالنسبة الى تأثيرها في الحياة . وليس

هذا الايمان ضرباً من ضروب الانانيـة ، لانه حالة بسيطة عليها تتوقف سلامة العقل وطمأنينتهُ . فلا أهمية للتاريخ في نظرى ولا لما مضى من الازمنة والحوادث ، ولا لما سيأتى في مستقبل الايام ، ولا لسائر أنحاء المعمور المتفرقة حوالي في جميع الارض ، إلا بالنسبة لعلاقتها بي

فان نظرت الى الوجود ، مع صرف النظر عن كل ما فيه سواي ، فاننى أري أن الوجود بدأ حين ولادتى ، وأن نهاية العالم ستحل حين موتي. لان القيصر أو شارلمان لم يكونا شيئاً في نظرى حتى أتيت الى العالم ، وكل ما سيحدث فى العالم بعد مئة أو الف سنة من موتى قلما يهمني إلا من الجهة النظريه .

لاجل هذا فان جميع المسيحية التى عندى والتى أبذل حياتي في سبيلها وأودّ أن أدرس عنها في كل فرصة ، إنما هى ما يُثمر بى بطريقة من الطرق . وهنالك كثير من المواضيع الدينية التى يملأ البحث فيها مجلدات ضخمة ويستغرق حياة المئات من الاساقفة والكهنة ولكنه في عقيدتى قلما يهمنى اكثر

من البحث عن حدود كامتشاتكا أو في هل الدجاجة أصل للبيضة ام البيضة أصل للدجاجة

انني أعتبر المسيحية لانها ترفع طبيعة الحياة وتزيدها عمقاً وصلاحاً . ولذلك فقد غلط القائل أن مبادىء يسوع تقيد الحياة وتذلها . لان البعض من مبادئه التى يخيل الى الناس أنها تقيّد الحياة إنما يكون الواهمون ذلك قد أساؤا فهمها ولم يدركوا الغاية منها . فعند ما يعلمنا يسوع بتضحية الذات مثلاً ، أو بحمل الصليب ، فانما هو يقصد بذلك أن يجعلنا اكثر قوة وأشد عزيمة . وقد رأيت هذه النتيجة واضحة فى حياتى . فقد بذلت جهدي وكل ما في قوتى لكبح الجامح والاناني الوحشي من عواطفي وذلك باخضاعها لناموس التضحية فى سبيل منفعة الآخرين فكانت النتيجة أنْ ازدادت سعادتى وتوفرت لديّ وسائل القناعة والطمأنينة

على أن المسيحية لاتريد أن تخلصنا من الجهاد في سبيل الحياة ، لان ما في الحياة من العزيمة والطموح لا يتجدد بدون الجهاد ، والمسيحية ليست وسيلة للتخلص من المسؤولية والواجب ، بل هى تأمرنا بحمل المسئولية الواجبة . ولا هى

بالوعد الذى يؤكد لنا انه سنحظى بمن يعتني بنا ، ولكنها بالاحرى تساعد كل واحد منا ان يعتني بذاته

وقد قال يسوع مرة : «تعالوا الىّ ياجميع المتعبين والثقيلي الاحمال . احملوا نيري وتعلموا مني .» فالغاية من النير ليست مساعدة الثور على التخلص من حمله بل هى اختراع يستطيع بواسطته على القيام بواجباته . وأنا لا أريد ان أتخلص مما يفرض علي في الوجود من الواجب والمسؤولية مهما كان نوعهما لان الحياة لامعنى لها بدونهما . غير انني في أشد الحاجة الى معرفة ما يساعدني على اجتياز العقبات التى تقوم في طريق حياتى مكللا باكاليل الفخر والانتصار .

أما الفروض والتحديدات التى يجدها كل انسان في المسيحية فهى أشبه بالمناجل التى تُقضبُ بها الاغصان اليابسة في اشجارنا لكي تنمو الشجرة أوفر قوة وأكثر اثماراً .

فالمسيحية في نظرى ليست عقبة في طريق الحياة .

وأما الرأى القائل ، باننا يجب ان نتألم ونشقى في هذه الحياة ونقهر ذواتنا بسائر انواع التعذيبات ، وان مخلصنا سينظر إلى إماتتنا ويعوض علينا في العالم الآتى بالخيرات والبركات فرأي

بعيد عن فكرتي لانه أقرب الى الوثنية منه الى المسيحية

وغاية ما أطمح اليه في مسيحيتى أن أجد ما ينهض بوجودى وينقي ينابيع حياتى ويسمو بعواطفي وافكارى يوما فيوما هنا على هذه الارض . وأنا مسيحى لان المسيحية وحدها تستطيع ان تقدم لى هذه الخدمة . على انى لا أقول ان المسيحية لا تنقل المؤمنين الى السماء بعد موتهم ، بل كل ما اقوله انه اذا لم تكن المسيحية صفة أخرى غير هذه الصفة فانها قلما تؤثر بحياتى إذ ذاك .

ان الكنيسة القائمة فى قلب الجبانة (المقبرة) تحيط بها القبور من كل جهة هي رمز لكنائس الاجيال المتوسطة المظلمة ، اما كنيستى التى اطمح اليها فيجدر بها ان تكون في مركز الاعمال من المدينة ، في قلب جدول المصالح الانسانية . لان الغاية الاولى من الكنيسة انما هى فى ان تزيد مياه الجدول نقاء وعذوبة وصفاء .

غير ان اكثر التأثيرات غموضاً في المسيحية كقوة اجتماعية انما هى تأثيراتها في تكييف حياة الامم والشعوب فقد اخبرنى احد المسافرين القادمين حديثا من الشرق انه في

اثناء اقامته في بلاد الصين لم يسمع عن حركة قامت في البلاد لاجل ترقية اسباب الرفاهية لعامة الشعب إلا وكان منشأها بين المرسلين المسيحيين .

اجل ان يسوع المسيح هو القائد ، الغير المنظور الهادي ، الذى قلما يشعر به احد ، لحركة العمال ، او على الاقل لذلك القسم من حركة العمال الذي هو ذو فائدة دائمة للانسانية . لان منه قد صدرت العقيدة القائلة ، بان كل نفس انسانية لها مقامها الضروري في الوجود . ذلك لان تعاليمه قد طهرت العالم واستأصلت من عقولهم جرثومة العبودية ، وقضت على الاستبداد واستعباد الاسياد لعبيدهم ، واضطرت ذوى السيادة من الحكام والسلاطين ان يحسنوا احوال السجون ، وطردت من هيكل الحياة غربان القساوه والهمجية التى قد طالما عاشت وسمنت على لحوم البؤساء من المساكين والفقراء .

وانا اذا نظرنا الى الحياة الانسانية على ما هى اليوم من الكرامة والاعتبار ، اذا نظرنا الي الايدى العطوفة تمتد الى العميان ، والمقعدين ، والعرج ، واذا نظرنا إلى الهمجية التى سادت على بني الانسان فيما مضى من الازمان تزول رويداً

رويداً ندرك ولا شك ان القوة الفعالة التى احدثت كل هذا التقدم العجيب في العالم انما تفيض من قلب هذا الرجل المسكين يسوع ٠

فهو الذى جعل للحياة وجهاً جميلا يبعث في قلب الناظر اليه رجاء سعادة وأمل ، وحل بنسمة من روحه القدسية في قلب كل انسان ، فصار الجميع ينظرون بفارغ الصبر الى الزمن السعيد الذى يصبح فيه العالم فردوساً علوياً تسود فيه المحبة ، وارضاً مقدسة اجدر من هذه الارض المنجسة لسكنى ابناء الانسان ،

وفي تلك السنين البعيدة السعيدة ،
تزهر الزهور معطرة الفضاء بعبيرها ،
ولا يبكي الاولاد سوى دموع قليلة عند موت آبائهم ٠

كما لَوْ

لستُ مسيحياً لاننى أعرف أن تاريخ المسيح حقيقي
بل أنا مسيحي لان هذا التاريخ يأتى بأثمار نافعة لحياتي عند ما
أتصرف ناظراً اليه « كما لَوْ » كان حقيقياً

« الحقيقة بنت العمل »

وليم جايمس

أقول بملء الصراحة اننى لا أستطيع أن أدعي اننى قد بحثت ونقبتُ عن حقيقة حياة يسوع المسيح فكانت نتيجة أبحاثى القناعة بصحة المكتوبات عنه والايمان به من صميم قلبى. ولا شك أن القراء الكرام اذا عمدوا الى الصراحة المجردة فهم مثلي يعترفون بأنه يندر ان يكون بينهم من درس الكتب القديمة، وقرأ الشهادات الرسمية عن يسوع ثم جاء إيمانه بعد ذلك نتيجة لدروسه وبلوغه الى الحقيقة. ولكن المسيحية قوة عظيمة فى العالم، والمسيح قائم في قلب الانسانية نوراً مُشعشعاً بالايمان والرجاء والمحبة. أما كيف جاء المسيح الى العالم، أو كيف نشأت المسيحية على التدقيق: فانه ليس فى

الالف واحد يعرف ذلك . لاننا اذا قلنا اننا واثقون بأن المسيح قد وُجد في العالم حقاً ، فاننا نعنى ان لنا إيماناً عظيما بما جاءت به الكتب والتقاليد ودونه المؤرخون والشهود وغيرهم ممن وصلت الينا هـذه المعرفة بواسطتهم . وان تأملنا بعين مجردة في الحقيقة الواحدة لرأينا أن هـذا المثل ينطبق على كل واحد منا .

وربما آلمَ قولى هـذا الكثيرين من الناس ، ولكننى كمسيحي قلما يهمنى حدثت حياة المسيح كما دوّنت في الكتب أم لا فللناس حريتهم أن يصرحوا بأنهم لا يستطيعون أن يخلصوا من خطاياهم ما لم يكن هنالك مخلص حقيقى يخلصهم من غير أن يزعجوا نفوسهم بالجهاد وراء خلاصهم ، وانهم اذا لم يثقوا بأن يسوع شخص حقيقى وأن قصتهُ ليست خرافة من خرافات الاقدمين ، فانهم يشعرون انهم واهمون عبثاً وخادعون لذواتهم

غير انني وأمثال هؤلاء لدى الحقيقة سواء نعمل العمل بعينه . فكل واحـد منا يتصرّف « كما لو » كانت القصة

حقيقية. فنحن واضعون أمامنا تاريخ يسوع قياساً لنا، وبهذا القياس يقيس كل منا حياته وأعماله

ولذلك فاننا لا نعيش في عالم أحلام، ولا نحن ساعون الى بناء صرح شاهق على لا شيء البتة، بل بالعكس من ذلك فنحن نعمل عن فكر وصواب وشعور على نفس الطريقة التي نسير عليها في تصرفاتنا في جميع شؤون الحياة وأنواع الفكر الانساني.

فالمسيحية إذن قوة عظيمة، قوة تلطف الاخلاق، وترتب الافكار وتكبح جماح العواطف. وما كان الانسان في زمن من الازمان ليستطيع على إدراك جوهر قوة قط من قوات الوجود.

والمسيحية شريعة مثل سائر شرائع الطبيعة المقدسة. وكل ما نستطيع أن نعمله ازاء أية شريعة من شرائع الطبيعة إنما هو التسليم بمضمونها والخضوع لها «كما لو» كانت حقيقة منزلة، والفحص الدقيق عن تأثيرها وعملها في حياتنا

فنحن لا نعرف ما هى الكهربائية، وكل ما نعلم عنها اننا نستخدمها في حياتنا ونلاحظ عملها وتأثيرها. فنعرف كيف

نفتح لها الطريق للظهور وكيف نغلق الابواب دونها . ونعرف كيف نسيّرها على الاسلاك ونبعثها في الفضاء لكي نستخرج منها النور ونولّد منها القوة . وقد ظهر حتى الآن كثيرٌ من الآراء فى حقيقتها ، والناس بظنونهم وتصرفاتهم « كما لو » كانت هذه الآراء حقيقية قد تمّ لهم أن ينيروا بيوتهم بنورها ، ويسخروا بها الهواء لحمل رسائلهم ، ونقل مخاطباتهم واحاديثهم . وها قد مضى علينا زمن ونحن نتصرّف بهذه القوة في جميع فروعها ومظاهرها حتى صرنا نستطيع أن نصرّح بملء الثقة بأنها تنفع اذا استعملت كذا وكذا . ولكن لم يعرف أحدٌ منا من ذى قبل جميع ما نعرفه الآن عن هذه القوة الخفية ، غير اننا بلغنا الى ما نعرفه اليوم عنها منذ شرعنا في عملنا « كما لو » كانت حقيقية ، ملاحظين النتائج المتعددة الناجمة عنها ومقرّرين بهذه الطريقة دون غيرها الحقيقة التى بلغنا اليها في شأن الكهرباء

وليس فى العالم مَن يعرف ماهية الجاذبية . غير أن أحد حكماء القرن السابع عشر قد قرر بعد البحث الدقيق أن اجزاء المادة يجذبُ بعضها بعضاً ، وهكذا تعلم الناس على مرور الزمان

وتعدد الاختبارات أن يستخدموا هـذه القوة ويقيسوها بالموازين .

وفى كتب العلم الشيء الكثير عن شرائع القرابة الكيماوية وعن مزيج الاوكسيجين والهيدروجين وغيرهما ، وعن وجود الجوهر الفرد والالكترون ، وعن أنواع أصغر أجزاء المادة التي يكاد لا يوجـد مجهرٌ (ميكروسكوب) يستطيع أن يهتدى اليها ، وعن حركاتها ومواطنها . وجلُّ الاذكياء من العلماء ، ان لم نقل كلهم ، يصدقون ويؤمنون بأن جميع هذه القرارات حقائق راهنة لا تنقض . ولكن الطريقة الوحيـدة التي أدَّت بهؤلاء العلماء الى الاقتناع بأن هذه المواد كائنة في الوجود على النحو المرقوم إنما هى افتراضهم وتسليمهم بأنها حقائق راهنة ومن ثمّ مراقبة مظاهرها وما تأتى به من الثمرات في الحياة

فاذا قلت والحالة هـذه انى أتصرف « كما لو » كانت الرواية عن يسوع حقيقية وان إيمانى يستقرُّ في النتائج الحاصلة من هـذا التصرُّف فانما أدقق وأبحث كأعظم الكيماويين وأكابر المتخصصين من علماء الكهرباء . لانى لا أبنى إيمانى

على أساس من الوهم بل أنا أبنيه على الصخرة الوحيدة التي عليها يثبت هيكل الايمان راسخاً لا تؤثر فيه العواصف والارياح، على صخرة الاختبار والتعرّف الى حقيقة الاشجار من حقيقة الأثمار .

على أن كل عقيدة تبنى على مجرد المعرفة السابقة يمكن أن تثبت صحتها أو يظهر بطلانها. لان دعائم منطقنا واهية فلا نستطيع أن نعتمد عليها في أية قضية من القضايا الهامة في الحياة . ولو أن كل ما يُثبت صحة الدعوة المسيحية منحصر في المستندات التاريخية التي ورثناها عن الآباء وبينات المنطق التي جاءنا بها علماء الكلام لكان إيماننا بناء متزعزعا متقلقلا . ولكنه لا يستند الى شيء من ذلك . لانه يستند على أساس من الصوان الصلد المدعو « كما لو ». وليس هنالك من طريقة للمعارض يفسد علينا بها رأينا هذا إلا أن يؤتينا بمثل هذه الـ « كما لو » التي نستند نحن عليها ويظهر لنا انها تأتي بأثمار أفضل وأشهى من أثمارنا .

وقد أصاب وليم جايمس كبد الصواب في تعريفه للحقيقة بقوله ، « الحقيقة بنت العمل ». وأوضح ذلك بأوفر صراحة

جون ديوى فى كتابه « تجدّد الفلسفة » ، وهو من خيرة الكتب الفلسفية التى ظهرت في الخمسين سنة الاخيرة . وخلاصة ايضاحه أن جميع الفلاسفة الذين عاشوا قبل باكون قد وقعوا فى غلطة واحدة هي افتراضهم أن الحقيقة شىء ذو هيئة ملموسة محدودة ، كقطعة من حجر أو خشب أو غير ذلك ، ولذلك كانوا يعتقدون بأنه كان على جميع العقول البشرية أن تفتش عن هذه الحقيقة الملموسة ، وكم قضى من مئات الفلاسفة والحكماء وهم يبحثون وينقبون علهم يهتدون اليها فتبرهن حقيقة حجج الفلاسفة وتحلّ جميع مشاكلهم وقضاياهم . ولكن ما نسميه بالحقيقة انما هو نتيجة من نتائج اختبار الانسان لما في الوجود والتوفيق بين اجزائه المتباعدة

أما قضية القضايا فى حياتى فهى اننى أريد أن أصلح شخصيتى واستخرج أثمارها . وأشعر بأنه يجب عليّ أن أجد النوع الافضل من الحياة واهتدى اذا أمكنني الى القوة التى تهذب الحياة وتجعلها صحيحة قوية . وقد جاءت اليّ المسيحية كمقياس عظيم للحضارة قد خبرَتْهُ أجيال عظيمة قبلى مدة تقرب من الالفين سنة ، وهي تُقرّب الىّ اليوم فخورة

بانتصاراتها على الناقدين والمعترضين، غنية بدروسها المستفادة من سقطاتها وأغلاطها المدونة في تواريخهـا . فنهضت من غفلتي اجرّبها فى حياتي بعد ان كانت لى أغلاط الماضى مرشداً ونذيراً فقلبت النتائج الحسنة المدونة في كتب كيانى رأساً على عقب، وبعد التجارب العديدة خبرت بذاتى منافعها وتذوقت حلاوة أثمارها . وانى بعملى هذا أشبه ذلك الذي يرغب في أن ينير بيته بالكهرباء ، فيهيء أولا المعدات اللازمة على نحو ما رأى غيره من معارفه يعملون في بيوتهم ، وبعد الفراغ من جميع الاستعدادات الضرورية يفتح مفتاح النور فتبدد أنوار الكهرباء الظلمة السائدة في بيته

غير أنك اذا قلت لى ان المسيحية تؤثر في حياتك لانك تؤمن بأن يسوع قد عاش وهو حيٌّ الآن فى العالم وان هذا الايمان يبعث فيك قوة على الحياة ، وصبراً في احتمال مصيبة الموت ، فاننى اجيبك على الفور أن لى من عقيـدتى نفس النتائج التى لك من عقيدتك وان خالفتك فى رأيك . غـير أن الفرق الوحيد بيني وبينك ان ايمانك يدل دلالة خفية على أنه اذا أظهر لك أحدٌ فساد مقدماتك فانك تتنازل فى الحال

عن التمسك بصحة النتيجة التي تؤمن بها ، لانك تقول ان مسيحيتك مبنية على الحقائق التاريخيـة التي تسلمتها ممن سبقك من المؤرخين والمؤمنين . ولكن الحقيقة العظيمة التي ابني عليها مسيحيتي هي ، بالعكس من ذلك ، تنحصر في أن حياة يسوع واحدة في العالم منذ لبس فيه جسده حتى اليوم ، وانه ما من علم أو فلسفة أو انتقاد للتواريخ التي دونت هذه الحياة أو الشهود الذين شهدوا بصحتها يستطيع ان يزحزح هذه الحقيقة من مركزها الثابت في فكري ، وان هذه الحقيقة تسلحني بافتراض عجيب ، وكل ايماني كائن في انني جربت هذا الافتراض في حياتي فجاءني بخير النتائج وأشهى الاثمار . ولذلك لا أجد وجهاً للجدال والخلاف بيني وبينك لان الفرق الرئيسي بين رأيك ورأيي انك أنت تضطرب وتتألم اذا رأيت أحـداً من غير المؤمنين يسعى الى تقويض أركان إيمانك ، ولكن أساس إيماني لا يستطيع أحدٌ لا من المؤمنين ولا من الكافرين أن يحرك حجراً من أساسه ، وربما خيل اليك أن هنالك من يقدر أن يبرهن أن حيـاة المسيح كلها أو جلها خرافة ملفقة لا أصل لها ، ولكن ما من أحد

خارج عن بيت لحم يسوع يستطع أن يبرهن ان حياة المسيح قصة كاذبة ، أو أنه ليس لصاحبها من نفوذ في العالم ، مسدلا الحجاب على التأثير العجيب الذي أحدثته حياة هذا الرجل في العالم ولا تزال تحدثه في كل يوم مسهّلة وسائل السعادة والعمل الصالح لأبناء الانسان ، وواضعة أفضل النظم والترتيبات للتعليم والتهذيب ، ومولّدة القوة الرئيسية في جميع التطورات والانقلابات الاجتماعية ، وقائمة كمنارة متألقة بالنور على شواطىء بحر الموت والظلمة حيث لا تستطيع حقيقة أو فرض ما أن يظهرا لعيوننا غير ضباب الشك والريبة ، أو أن يجعلا آذاننا تسمع غير هدير الامواج يحطم بعضها بعضاً في الظلمة الابدية.

أنا مسيحي

لان دعوة المسيح موجهة إلى الانسانية عامة
وليس الى جنس واحد أو أمة واحدة

« إن يسوع هو المعلم الوحيد الذي تناهى في طول قامته حتى استطاع أن ينظر الى ما فوق الجدران المقسمة البشرية الى أقسام متعددة » .

إن يسوع لم يعرف معنى الوطنية التي يتعبد لهـا الناس اليوم . ومع أن العالم ستمرُّ به الوف من السنين بعدُ قبل أن يتخلص من خرافة القوميـة فان عقل يسوع كان نقياً من أوهامها بعيداً عن الوقوع فى فخاخها واشراكها

ان لكل من الامم مركزها الخاص فى تطورات الحياة الاجتماعية. فالوطنية أو القومية ضرب من الضروب المصلحة لنظام الاقطاع القديم . وفكرة الامة المنفردة أشبه بالبيت المؤلف من أربعة جدران ولكن لا سقف لهُ. لان الانسانية لن تنظم أمورها بما يؤول الى سعادتهـا الكاملة حتى يصير

العالم كله مملكة واحدة لا هم لها سوى توفير أسباب الراحة لجميع أبناء الانسان .

أما الحروب المتواصلة التى تقوم في العالم بين الآونة والاخرى فهي نتيجة لعبوديتنا المرة لخرافة القومية والوطنية القتّالة ، ولن تزول هذه الحروب من الارض حتى نؤلف من مجموعة الامم التى فيها أمةً واحدة . لان العالم المتألف من أمم مستقلة بعضها عن بعض إنما هو وكرٌ لزنابير الحروب اللداغة وأما العالم الذى تتحد فيه جميع الامم في عصبة واحدة وتحصرُ قوته في هيئة واحدة منتخبة من الجميع لهذه الغاية فهو وجود سماوى سعيد تزول منه جميع الحروب وتسود فيه المحبة والسلام .

وليس في جميع ما يدور فى الاندية السياسية والاجتماعية من الابحاث والمناقشات في جمعية الامم اكثر اقناعاً بحقيقتها من التأثير الهادىء الذى لم يفُهْ به أحدٌ بعدُ ، الكائن في اعماق روح ومبادىء يسوع المسيح . وانى لواثق بأن هذا التأثير سيكون له فعله فى حينه

فان يسوع هو المعلم الوحيد الذى تناهى في طول قامته حتى استطاع أن ينظر الى ما فوق الجـدران التى قسمت الجنس البشري الى أقسام متعـددة . فقد ادرك أنه ما من نظام أدبى يستطيع أن يثبت في العالم مالم يكن شاملا لجميع أفراد الجنس البشرى . ولذلك لم يقيد ديانته بقيد من القيود قط ، فهي انكلوسكسونية كما هي يابانية ، وافرنسية أو المانية كما هي أفريقية أو عربية . وبعبـارة بسيطة فهى ديانة انسانية جامعـة .

وانى كلما تقدمت في الايام واكثرتُ من الاسفار وتعرفت الى سائر أمم الارض ، وأمعنت النظر في ما يبذلونه من الجهود وما تقوم بينهم من المنـازعات والخصومات ، وخبرتُ حياتهم وأفكارهم ، ازددت ثقة بأن شر هرطقة بين جميع الهرطقات انما هى هرطقة القائلين بتقسيم الارض الى ولايات ومقاطعات مستقلة بعضها عن بعض

لان كل أمة أو طائفة أو جمعية من الناس تعتقد بأنها هى الامة أو الطائفة أو الجمعية المختارة للسيادة على جميع الناس

وان كل من في العالم من الامم انما خلقوا ليكونوا لها عبيداً أرقاء يأتمرون بأوامرها ويخضعون لذات سلطانها - انما تقضى بيدها على السلام والمحبة وتزرع بغطرستها بذور الشقاق والحرب في العالم. والنتيجة التى لا بدَّ منها لمثل هذه الغطرسة الفكرية ظاهرة أمام المعتبرين من المفكرين في الثورة الفرنسية وفي جنون الامة الالمانية الذى أدى الى الحرب العالمية، وفي سقوط القيصر الروسى وظهور البلشفية التى طغت أمواجها الحمراء فقضت على الامة الروسية، وفي أمثال ذلك من الحوادث المزعجة لراحة العالم

بيد ان المسيحية حيثما انتشرت قد اندسَّت فيها شياطين التحزب والتفريق فجعلتها ويا للاسف هزءً وسخرية فالمسيحية التى انتشرت في أوروبا وعمَّت جميع أنحائها لم تبق ثمت من فرق قط بين طقوسها وطقوس البوذية فى أسيا. والمسيحية التى تدين بها الكنيسة الاسقفية فى انكلترا وما فيها من الادعاء بالتقدم والصدارة والروح الرومانية المفرّقة قلما تلد إلا الذين ترعرعوا في مبادئها الخصوصية النامة عن أنانية وصلف وغرور. والحياة الدينية فى الكنائس البروتستانتية في

الولايات المتحدة الاميركية ممتلئة من الغرابة والسخرية في فروضها وطقوسها . والبصائر اليوم متجهة كلها شطر الشرق الاقصى لترى ماذا سيكون من أمر المسيحية اذا سادت فيه ولعلها تقتبس منه شيئاً من التجدّد في حياتها يحتفظ بالبقية الباقية منها بعد ما ألمَّ بها من طلائع الاختناق في فضاء الغرب السام . وجل ما أودُّ ان أقوله فى هذا الموضوع ان المسيحية لا تستطيع ان تحافظ على عبقريتها ويكون لها التأثير الفعال في قيادة الانسانية الى فردوس السعادة والطمأنينة ما لم تكن عامة جامعة ، واحدة بمبادئها الاساسية للعبد وللابيض على السواء ، لهذه الامة أو لتلك المدينة كما هي لغيرهما ، وأى نوع كان من الانفراد بطائفة أو الاختصاص بجنس دون غيره انما يقيد المسيحية ويفسد الغاية الطاهرة منها. ولذلك فالمسيحية لا تستطيع أن تظل صحيحة كما وضعها يسوع ما لم تكن واحدة جامعة لسائر أبناء الانسان في جميع أنحاء هذا الكيان

أنا مسيحي

لان تعاليم يسوع صالحة لجميع الأمم

« ان يسوع هو المعلم الاعظم في صناعة تقدم العالم وراحته . وهو وحده من بين جميع المعلمين قد رأى الشرائع العظيمة التي يجدر بالناس أن يحفظوها فى المجتمع الانساني . »

أنا مسيحي لان تعاليم يسوع هى تعاليم المعلم الوحيد في العالم الذي يقدم بالنظام الذي رسَمهُ للحياة سبيلا عاماً يستطيع كل من يسير عليه ان يبلغ الى النجاح كائنامن كان . فهو لايعلمني كيف انتفع على حساب غيري من الناس ، بل يوضح لى كيف استفيد في حياتى بصورة تتساوى فيها المنفعة بيني وبين جميع البشر على السواء ، فيكون لي ما ارغب فيه ويكونوا جميعهم راضين فرحين .

وقد أوضح الفيلسوف كانْتْ ماينطبق على عقيدة يسوع عما ملخصه ، اننا يجب ان نتصرف في حياتنا كما يخيل الينا ان جميع الناس لو كانوا في مركزنا يتصرفون مثلنا . يعنى ان

الامتحان الادبي الذى يظهر برّنا في ايّ شأن من شؤون الحياة انما يتم بالتصور ان جميع الناس يعملون نفس مانعمله نحن .

وما لاشك فيه انه لو اقتفى كل انسان مثل يسوع في حياته وتبع تعاليمه لزالت جميع متاعب الانسانية ولم يبق من أثر لاوجاعها ومصائبها . بل لو اتبع تعاليم يسوع السامية نفر قليل من اية امة او جمعية كانت لكان ذلك النفر خميرة تخمر عجين الامة كلها .

ولو اتخذت ممالك العالم تعاليم يسوع ومبادئهُ نبراسا يضيء ظلمتها وقائدا يقودها الى مراعي الأمن والطمأنينة لما رأينا حربا تقوم في الارض لشقاء ابناء الارض ، ولارتفعت اثقال الديون والضرائب عن كواهل الافراد والجماعات ولعمّت السعادة والرفاهية سائر ابناء الانسان . اجل ، ليس في العالم من ينكر هذه الحقيقة الناصعة. ولكن ما من امة من الأمم اليوم قد جعلت تعاليم يسوع اساسا لبنيانها . لانها بجماعها مبنية على الغرور والانخداع بالقوة العمياء . غير ان السبب الوحيد الذى لاجله لم تتخذ أمة من الامم مبادىء يسوع قاعدة لاعمالها هو أن جميع الامم الاخرى لم تفعل

ذلك . ولم تسعدْ أمة ما بقدر من الحكمة والفطنة لتقدم بجرأة على هذا العمل الحيوي. وقلَّ في العالم من ينظر في أن المبادىء المضادة المسيحية التى تبنى عليها صروح جميع الامم والشعوب قد ظهرت بأسرها مشومة ولم تنتج سوى الخراب والدمار في جميع ادوار التاريخ، فاننا ما برحنا نؤمن بالشرير ونلحق به لاننا أطفال فى فكرتنا نرتجف خوفا من الشرير وصنائعه فنتبعه مُرغمين. ولكن متى بلغ العالم رشده ونضجت فكرته الى حدٍّ تدرك معه الحكمة البالغة في المبادىء المسيحية فحينئذ سينظر بعين حزينة الى جيلنا الحاضر وتأخذ الدهشة بمجامع قلبه إذ يرى طول العهد الذى مضى على الامم والشعوب وهم يتمرَّغون في حمأة الهمجية .

وهل هنالك من يشك أو تعتريه أقل ريبة فى أنه لو اتُخِذَتْ مبادىء يسوع نظاماً في بيوت الصناعة الحديثة لما كان العالم يسمع بما نسمع به من الاعتصابات والاضراب عن العمل الذي نشاهده بين جماعات العمال فى عصرنا الحاضر . وانه لمن غريب الامور أن نلاحظ التشويش والاضطراب سائدين فى اعمالنا لاننا قد رفضنا الانقياد للنظام المسيحي فيها ، في

حين أن خضوعنا لهذا النظام هو الطريق لحياتنا وسلامتنا .

ولو نظر أحد أبناء المرّيخ الى أرضنا هـذه لساءل نفسه مستغرباً ، لماذا لا يجرّب أبناء هـذا العالم النظام الذى قدمه لهم يسوع لمدة خمس سنوات على الاقل ويحكمون عليه من نتائجه . فان صلحت به حالهم ، وهذه حقيقـة ما سيكون ، تبعوه ، والا عادوا الى ما كانوا عليه

أجل ، ولو اتخذت العائلة برنامج يسوع دستوراً لها ، لزالت فى الحال انقساماتها واضمحلّت خصوماتها ، وانزوت فاجعاتها في زاوية النسيان ، ولطويَتْ خيام الاهتمامات العالمية التي تكدر صفو راحتها ، كما تطوى خيام البدو فى الصحراء ، وانسلّت خلسةً من هيكل العائلة

ولو اقتفى كل انسان خطوات المعـلم الصالح لتعالت أناشيد السعادة من أفواه الجميع ، ولاندثرت أشواك العقوبات بل ولاندكّتْ أساسات السجون ولم يبق من أثر حتى ولا لتوبيخ الضمير .

إن يسوع هو الامام الاكبر في صناعة تقدم العالم وراحته وهو وحده بين جميع المعلمين قد رأى الشرائع العظيمـة التى

يجدر بأبناء آدم أن يحتفظوا بها في المجتمع الانسانى . ولكن حكمته البالغة سواءٌ عندها عمل الناس بها أم رفضوها ، لان كل من يعمل بها انما تعود المنفعة منها له فتصلح بها حاله وحال المحيط الذى يعيش فيه

وها قد مرّ على العالم نحو من ألفي سنة بعد أن أشرقت فيه انوار المبادىء المسيحية وهو يجاهد ويدرس ما ورثه عن العالم القديم من النُظم والشرائع رجاء أن يكون له منها التقدم والراحة في علاقة أفراده بعضهم ببعض ، وقد رأى أن جميع المبادىء التى جربها قد ظهرت عقيمة باطلة . وان ما من تعليم يبلغ به الى ضالته المنشودة سوى تعليم المعلم الصالح

فقد جربت الانسانية نظام السيد والعبد ، ولكن العبودية لم تنتج سوى الدماء المهراقة ظلماً . وقد جربت نظام الحاكم والمحكوم ، ولكن حكام الارض قد تدحرجت تيجانهم وثلّتْ عروشهم بعضهم وراء بعض . وجربت نظام رب المال والعامل بالاجرة ، ولكنها فشلت وذهبت اتعابها أدراج الرياح ، لان هذا النظام تتوقف سلامته على ايجاد موازنة بين قوتين هائلتين من قوات محبة الذات ، الموازنة التي هى

أمنع من عقاب الجو . ثم جربت النظريات الاشتراكية المتضاربة ، فدعتها بالاشتراكية ، والبلشفية ، والكومسيونية وأمثالها مما لم يأت بحلٍّ مرضٍ للقضايا الانسانية الا في بعض أجزاء المادة التافهة .

ولم تكن في نظام من هذه النُظُم قوة مهما كانت حقيرة للاصلاح الا وكانت مستمدة من نظام يسوع . وحيثما عمد الناس الى تجربة نظام يسوع بأمانة واخلاص فقد حصدوا منه أثماراً صالحة وما أبسط هـذا النظام : ان البشر لا يمكن ان تصلح حالهم وتستقيم أمورهم ما لم ينظروا بعضهم الى بعض كأخوة اشقّاء لاب واحد وهو الله

وهل في العالم معلمٌ أجدر بان يكون معلماً لنا من هذا المعلم البالغ الحكمة والمعرفة

أنا مسيحي

لان المسيحية هي القوة الوحيدة في الارض اليوم التي تَعِدُنا بوحدة العالم في مملكة واحدة

« انني أوضح بملء الاخلاص انني لا أرى من رجاء للانسانية الا بانتشار مبادىء يسوع بين جميع الناس »

ان وحدة العالم في مملكة واحدة ضرورية جداً لحفظه من الزوال والاضمحلال فان النظام الحاضر نظام الوطنية الفردية ، إن لم يتحول الى نظام دولي عام يشمل الامم بأسرها سيولد ولاشك حرباً ضروساً أشدَّ هولا ورعباً من الحرب الكبرى بما لاحد له .

وأفضل ما استطيع أن أقدمه من الأدلة على صدق قولي كتاب بعث به شارل وود الى جريدة نيويورك وارلد المشهورة

فقد قامت في نيويورك مباحثة عامة في عمل المرسلين المسيحيين في الشرق على اثر تمثيل فصول مجونية على مسارح

نيويورك تحت عنوان «رابن» ، بقصد الهزء والسخرية من المرسلين . فتناولت اقلام الكتاب من دينيّين وغير دينيّين البحث فى الموضوع من جميع ابوابه . وفي تلك الاثناء ظهرت الرسالة التالية التي ننقلها للقراء كشاهد في موضوعنا الحاضر . قال الكاتب :

« ان الدفاع عن المرسلين هو أشبه بالدفاع عن الاشتراكيين او الاميركيين او النساء . فكلما قلت كلمة فيهم ينبرى لك معارض بحجة انه يعرف واحداً منهم لا ينطبق عليه كلامك . ولذلك فاننى لا اقصد ان اقدم دفاعاً عن المرسلين بهذا المقال . ولكننى اعرف نحو مئة مرسل معرفة حقيقية : واكثر هؤلاء أميركيون بروتستانت وكلهم يعملون في بلاد الصين .

« أنا لست مسيحيا ، بل أنا بعيد عن الكنيسة بمقدار مايستطيع الانسان أن يبتعد عنها ، ولكننى أستطيع أن أقول ان هؤلاء المئة مرسل الذين عرفتُهم هم في عقيدتى أفضل جماعة من البشر العاملين على نفع الانسانية وترقية شؤونها — الذين عرفتهم فى جميع أدوار حياتى .

« بيد انهم ليسوا كلهم متساوين في العمل . فان فريقاً منهم يعتقدون بأن واجب رسالتهم في هذه الحياة يقضى عليهم بأن يعلموا الصينيين طريقة جديدة يستطيعون بواسطتها أن يحصلوا على مغفرة خطاياهم .

« وفريق آخر آثروا على نفوسهم أن يعلموا أبناء الصين ماهو فى عقيدتهم المثال الاعلى للآداب . غير ان الاكثرية الساحقة من هؤلاء المرسلين قلما يعيرون التفاتاً للاهوت النظري أو لفروع الفلسفة الادبية ، ولكنهم يعتقدون بأنهم يقيمون في الصين لانه هنالك قد توفرت لهم الفرصة ليعيشوا حياة مملوءة بالخدمة والتضحية في سبيل منفعة الآخرين ، وهم ، الرجال منهم والنساء ، لايشربون مسكراً ولايدخنون ولايعرفون المقاهي ولاالمقاصف ، ولكنهم لايحسبون لانفسهم أقل فضيلة في أمثال هذه الامانات التى يقومون بها .

« فهم يحبون الصينيين : وأعظم ملذة يتلذذون بها ، بل هي افضل في عقيدتهم من جميع ملايين العالم ، انما تتم لهم عندما يستطيعون أن يحضروا ولداً يتيما الى مدارسهم ليعلموه ،

أو عند مايتاح لهم أن يساعدوا عائلة صينية فقيرة على كسوة أولادها واطعامهم لكى يسيروا فى الساحات ويلعبوا مع رفقائهم ويرقصوا اذا شاؤا فرحين .

« أما السياح الذين يقصدون الصين والغرباء الذين لاعمل لهم فيها ، وهم ينظرون الى الوقت كعدو لدود يودون قتله كيفما تقلبت الظروف ، فانهم قلما يدركون حقيقة اعمال هؤلاء المرسلين ، وكثيراً ماينظرون اليهم نظرة هزؤ واحتقار بل قد طالما حدثنى الكثيرون منهم بأنهم لم يقدروا أن يحادثوا واحداً منهم . وليس هذا بالغريب على من له أقل إلمام بما يلذ للسياح أن يتحدثوا به .

« على اننى لااستغرب ان ارى سهام النقد موجهة الى المرسلين من ذوي السيادة على مصالح العالم كما هى بحالتها الحاضرة فان المرسل مضطر بواجب الخضوع للمبادىء التى يُبَشّر بها ان يكون اول الثائرين . فهو لايؤمن بالوطنية الضيقة او القومية المحدودة لانه واحد من المؤمنين بملكوت السماء على الارض . كلا ، ولايستطيع المرسل المسيحى ان يتقيد بنظمنا وشرائعنا ، لانه يؤمن بأن عالم المال سيندثر مع

ربه ممون ولا يستطيع أن ينادى بأعلى صوته بالثورة على شرائعنا احتراماً لايمان آبائنا .

« وبعبارة أخرى ، إن المرسل الحق هو مشاغب أجنبى وليس غريباً أن يضطهد ويحكم عليه كما يحكم على كل أجنبى مشاغب في هذه البلاد — ويحمل عليه المتهوسون للوطنية والتعصبات الدينية والغايات الذاتية لكى يكموا افواهنا عن اقتفاء مثاله فى انتقاد النظامات التي رسمها لنا جدودنا الاطهار

« ولى كلمة أخرى أود أن أقولها في هذا الموضوع ولو أطلت الشرح على القراء . ان العالم اليوم فى أقصى حالات الاضطراب . لان الحرب التى ثارت نيرانها في العالم رجاء أن تضع حداً معقولا ينتهي عنده كل شيء في العالم أضرت أضعاف أضعاف مانفعت . فقد زاد شر التعصب فى الناس كلٌّ لوطنه ، وتعاظم التزاحم على الاسواق التجارية في العالم . وكل أمة تبذل اليوم جهدها لكي تضع العراقيل في طريق تجارة غيرها من الامم بالرسوم الجمركية الباهظة والاتفاقات الخصوصية الخ . وبكلمة وجيزة ، ان الحرب لاتزال مشتعلة نارها حتى الآن . ولذلك فاننا لم نلجأ الى برنامج جديد أصلح

لنا من البرنامج الذي عندنا لتوحيد رغبات العالم في كتلة واحدة فاننا عاجلا أو آجلا سيفنى بعضنا بعضاً .

« أما البرنامج العملي الوحيد الذى أعرفه فهو ذلك البرنامج الذي يُعمل به في بلاد الصين . لان الصين هى أقل جميع الامم الكبيرة في الارض اهتماماً بالتعصب لوطنيتها أو قوميتها . وربما كانت هذه البلاد في مقدمة أمم الارض رقياً حقيقياً فليس فيها من أثر لغول الصناعة الحديثة ولا للمدنية الحديثة . وفي مثل هذا المحيط يبشر المرسلون الاميركيون ببشارة الاتحاد لاجل الخدمة عوضاً من الاتحاد لاجل المنافع التجارية . وهم لا يبشرون بهذه الحقيقة فحسبُ ، بل يمارسونها بأعمالهم . وما أجمل النتائج التى تأتي بها .

« لأجل ذلك . فان هؤلاء المرسلين هم أقرب الى الشعب الصيني من جميع الغرباء القاطنين فى بلاد الصين ، وهم لم يحصلوا على هذا المركز بتبشيرهم فقط ، بل انما حصلوا عليه بمثالهم وسيرتهم . أجل ، قد حصلوا عليه بخدماتهم — بوضعهم تعاليم يسوع الاجتماعية في موضع العمل بقطع النظر عن الطريقة التى يفضل هذا أن يتخذها له واسطة لمغفرة خطاياه

دون ذلك . وهم يبشرون بهذه البشارة جاعلينها دستوراً للوحدة العالمية المنشودة .

« أنا لست مسيحياً من الوجهة اللاهوتية أو التقليدية والطائفية . ولكنني لواثق بأن العالم يجب أن يتحد بأسره على هذا المبدأ ، وانني أعتقد بأن المرسلين الاميركيين في الصين يحملون بأيديهم مفاتيح الفداء الوحيد للعالم . وحبذا لو تفهم أميركا هذه الحقيقة فتعضد هؤلاء المرسلين ليكون لها الفضل في ازالة جميع الحروب . »

انني عضو في المجتمع الانساني ، وأحد أبناء هذا العالم ، وفرد من سكان الولايات المتحدة الاميركية . ولذلك يهمني مستقبل الثلاثة معا . وأوضح بكل مافي قلبي من الاخلاص انه ليس للانسانية رجاء إلا في انتشار مبادىء يسوع المسيح .

ان وُدرو ويلسون ، ووارِنْ هاردينغ ، قد كان كل منهما رئيسا للولايات المتحدة ، وهما شاهدان عظيمان قد صرّحا على رؤوس الاشهاد بما ملخصه ، ان أعظم قوة عاملة على تهذيب الامم ونجاحها ، وسعادة الجنس البشري وراحته انما هى كائنة في انتشار الايمان والعمل بمبادىء يسوع المسيح .

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

بيد ان هذا الموضوع الذي نحن في صدده ليس من المواضيع التي تفصل بنقل أقوال الثقات فحسبُ ، بل ان البصيرة العامة في جميع الناس تدلنا على ان كل قوة عظيمة هي ضارّة اذا لم يصحبها ما يتسلط عليها ويكبح جماحها من قوى الفكر المدركة المميزة غثها من سمينها وجميلها من دميمها .

وان قوة الانسانية تتضاعف في كل يوم بطريقة عجيبة لاننا قد قوينا ساعدَي الانسان الى درجة هائلة بخطواتنا الواسعة في السبُل العلمية ، وبما أضفناه الى عالم الاختراع ونضيفه في كل يوم من مئات الاختراعات .

ولذلك يجدر بنا أن نقوي في الوقت ذاته القوة العقلية التي تتسلط على هذين الساعدين وتديرهما في السبل القويمة وإلا فاننا نكون قد جنينا على أنفسنا بخلقنا جباراً يعمل على خرابنا وهلاكنا .

وقد قال الدكتور كولدوُال في كتابه الحديث ، « العلم يجدد بناءَ العالم ، » ما يأتي :

« ان المعرفة العلمية ، والمناهج والاختصاصات العلمية الحديثة قد بلغت الى درجة صارت الجهالة معها خطراً على

صاحبها بل خراباً وموتاً في اكثر الاحيان . فالطيارات التى ربحت الحرب قد اختطفت حياة الكثيرين من الذين كانوا يواظبون على العمل فيها. والغاز السام وغيره من الاختراعات الحربية لنا من مجرد ذكر اسمها ما يرعبنا ويكفينا مؤونة الايضاح عما بلغ اليه الانسان من الاكتشافات الجهنمية المهلكة . لانه لو قدر لاحد المتخصصين في الكيمياء التحليلية أن يكتشف كيف يمكن أن تحلل قوات كهربائية فوق أرض مساحتها عشرون ميلا مربعاً بصورة تتفجر معها جميع الالكترونات المحتوية على البروتوبلاسم الانسانية، فانه ليس من مصلحة أمة من الامم أن تأذن باستعمال مثل هذا الاختراع الشيطانى . ولذلك أقول ان الجاهل لاسرار العلم في هذا العصر من الامم لن تقوم له قائمة فى مستقبل الايام . بيد أن المعرفة الحقيقية تحمل صاحبها مسؤوليات كبرى . وفي مقدمة هذه المسؤوليات أهمية — وهي المسؤولية التى يكون العلم الحديث خطراً على الانسانية بدونها — ان المبادىء الادبية والسيادة الفكرية يجب أن تنمو جنباً الى جنب وأن تكون قائدة للمعرفة العلمية »

وخلاصة ما تقدم أن الرقي الانساني هو سباق بين التهذيب والمصائب . والجنس البشري سائر ولا شك الى الاضمحلال اذا لم تتسلط فيه القوى الادبية على القوى المادية والعقلية ،

وليس هذا بخيال أو وهم لانني كما أنا واثق بان ستشرق الشمس فى صباح الغد كذلك أقول ان حربا أخرى أشد هؤلاء من الحرب الماضية قادمة على الانسانية بخيلها ورجلها وستفوق بأهوالها وفظائعها جميع ما تقدمها من الحروب

لاننا جميعنا نصدق أن الشمس ستشرق في الغد لانها منذ أبصرنا نورها وهى تشرق فى كل صباح من غير تغيير قط . وكل من له أقل المام بالتاريخ يعرف ان النظام السائد في الحكومات الحاضرة قد كان ينتج الحرب بعد الحرب فى أوقات مختلفة كلما سنحت له الفرصة ، وانما أعنى بذلك ان الحرب كانت تقوم كلما توفر لدى الامم من المال والرجال قدر كاف لاشعال نيرانها .

ولا أعرف في العالم قوة أدبية تستطيع ان ترغم الامم

على تأليف عصبة واحدة لاستئصال الحروب مثل القوة المسيحية

غير أن التاريخ لم يشهد من كنائس يسوع المسيح اعراضا عن القيام بالواجب ، وضعفا ممتلئا من روح الجريمة الكبرى كما شاهد في خيبتهن وعدم اتفاق كلمتهن على عضد جمعيـة الامم بكل ما أوتوه من شجاعة وقوة لمنع الحروب بالطريقة الوحيدة الممكنة في العالم اليوم ، وليس في الوجود من قوة تستطيع على ايجاد الشعور العام وتدريبه في الصدور بطريقة تضطر الامم ان تعدل عن نظامها الحاضر الذى يدور على محور الاستعداد للحرب ، والتنظيم في المملكة لاجل الحرب ، واثارة نيران الحرب ـ غير روح يسوع المسيح وانتشار الايمان بالحق الذي جاء به الى العالم في جميع الاقطار والامصار

ان الحياة معلمٌ لا تعرف الرأفة سبيلا الى قلبه . وكل ما أراه في العالم اليوم يدلنى على أن الحياة قد أرغمها سلوكنا فعزمت مضطرة ان تمحو عن وجـه الارض القسم الاكبر مما نسميه مدنية لكى تعلم العالم الدرس الذى لم يقدر أن يتعلموه بغير هذه الطريقة : وهو ان النهاية التى لا بد منهـا للاعتماد على القوة الغشومة انما هى فى الدمار والفوضى

لانه في الحرب القادمة لن تتحارب الجيوش على الحدود كما كانت العادة فيما مضى من الحروب ، بل ستكون الحرب ساحة عراك هائلة بين الطيارات والغازات السامة ، ولن تكتفي بأن ينتصر فريق على فريق فيحتل أرضه ويمتلك أملاكه بل ستؤول الى استئصال الملايين من أبناء الانسان وخصوصاً القاطنين في المدن الكبيرة .

ان بشارة يسوع تبدو للناظر اليها رقيقة لذيذة ، ولكن حلاوتها الحقيقية كائنة في انها تحجب شراسة الانياب والمخالب . بيد ان المعجبين والخبثاء والصَلِفين من بني الانسان وإن ضحكوا من الوصايا المسيحية الآمرة بالمحبة والاخوة والتعاضد والمساعدة للمحتاجين ، فانهم عاجلا أو آجلا سيجدون أن احتقار هذه الوصايا انما يؤدى الى جحيم في هذه الحياة ، ولا فرق عقبه جحيم في الحياة الثانية أم لا فهو كاف لهم بذاته

لاجل ذلك أنا مسيحى ، لانني واثق في أعماق قلبي بأن أمام العالم احدى طريقين : فاما إطاعة حكمة يسوع أو طرح جميع ثمرات المدنية الحاضرة في قعر الهاوية

أنا مسيحى

لاني أعتقد بأن يسوع هو أنضج فكراً من جميع معلمي الانسانية

« ان يسوع فى عقيدتي هو المفكر الوحيد العظيم الذى كمل نضج فكره . »

ان يسوع في عقيدتى هو المفكر الوحيد الذى كمل نضج فكره . وهو وحده من بين جميع معلمي الانسانية قد خلع عنه كل مافي عدم الكمال من النقص والضلال .

وقد خطا أمام جميع المفكرين العظام خطوات واسعة حتى لن يحلم انسانٌ باللحاق به . ولذلك فاننا لانستطيع أن ننظر اليه كدعامة من دعائم الماضي فقط بل يجدر بنا أن ننظر اليه كمنارة يفيض النور من جوانبها على شواطىء المستقبل فيبدد كل مايسود فيه من الظلمة المدلهمة . كلا ، ولانحن نبدأ مسيرنا من حيثما هو لاننا اليه سائرون . أما تشبيهه « بأساس الكنيسة » فليس بالتشبيه البالغ الجمال ، لان الكنيسة أقرب

أن تكون شجرة متجددة من أن تكون بناية ثابتة لا تتغير . فهي تنمو كالشجرة وتنزع عنها أغصانها اليابسة وتخرج لنفسها براعم جديدة . واننى أحب الصورة المرتسمة في الآية ، « أنا الكرمة ، وأنتم الاغصان » ، اكثر من الآية ، « على هذه الصخرة أبنى كنيستى » ،

ان عقل الولد يغلفه الغرور ويحيط به الانخداع . فهو يعتقد بأن الارض مسطحة بانياً اعتقاده على أفضل الادلة ، وهو الدليل الذى كثيراً ما نعتمد عليه ، — دليل الشعور العام الذي يظهر لنا ان الارض مسطحة .

فيقول فى ذاته ، « وهل يمكن أن تكون غير ذلك ؟ انظر اليها ! — كل انسان يقدر أن يرى انها مسطحة . فأنا أستطيع أن أركض على سطحها ، من غير أن أصعد الى جبل أو أتدهور الى منحدر . والسيارات تسير عليها مثلي . فلو كانت مدوّرة لتدهورت ولتدهورت السيارات عن سطحها في الحال . »

وان هذا لدليلٌ ممتاز وبرهان واضح . ولكن فيه نقصاً واحداً : وهو انه كاذب ، وليس بين البالغين من يصدقه .

فانا جميعنا نعرف ان الارض مستديرة مثل الكرة

ولكن ليس بيننا من اهتدى الى هذه الحقيقة بذاته . فان شخصاً ثالثاً قد أخبرك وأخبرنى . وهذا الثالث هو التربية لان التربية تقوم باصلاح أغلاط الشعور العام .

فالولد والبربري يعتقدان بأن الشمس تدور حول الارض وهما يبنيان هذه العقيدة على أساس الشعور العام . فكل انسان ينظر الشمس تشرق فى الصباح ، ثم لاتلبث أن تكمل دورتها فى السماء وعند المساء تغيب متوارية عنا . وهذا يؤيد الحقيقة الظاهرة التى يتمسك بها الولد والبربرى والخطأ كل الخطأ انما هو كائن في الشعور الذى يدفع بهما الى هذا الاعتقاد . غير اننا عند مانذهب الى المدرسة نتعلم ان الشمس لاتدور حول الارض ولكنها ثابتة لاتتحرك في حين ان الارض هي التى تدور حولها .

وانما قدمت هذه الأمثال البسيطة لانها خير أمثلة على الانخداع والوهم اللذين يستوليان على أذهان الناس فيسيّرانهم حيثما أرادا . ومن هذه الاوهام الروحية تأتى جميع مصائبنا . ففى العائلة اضطراب ، وبين الاصدقاء والجيران شقاق

وخصام، والحروب سائدة في جميع الامم، وكل ذلك لاننا لانبصر نور الحقيقة. أجل، اننا عُميان نتلمس طريقنا في الظلمة الحالكة. ولذلك يلطم بعضنا بعضاً، ويجرح بعضنا بعضا، بل ويقتل بعضنا بعضاً.

واني أستطيع أن أقول اننا لو كنا نبصر جيداً في جميع أعمالنا لكان القسم الاكبر من أوجاعنا يتلاشى ولايبقى له أثر على الأرض.

فان الانسانية لاتتألم من ان طبيعتها شريرة أو شيطانية مثلما تتألم من فَجاجة فكرها وصغارة عقلها. لانها لاتزال طفلة في مهدها. وهي تتصرف تصرّف حماقة وغباوة لانها لاتعرف أكثر من ذلك.

لان الخليع والسكير والفاسد، والفاجر المستسلم لشهواته لاينحصر شرهم في خباثتهم وتهتكهم كما في انهم أوعية جامدة قد أقفلت أفواهها فلم يبق من ثمة أملٌ بتنظيفها فهم يعتقدون بأن الملذات التي تمتعهم بها شهواتهم برهة من الزمن هي كل مايقدرون على الحصول عليه في حياتهم. فهم كالاولاد الذين يفرطون في الشراهة والنهم في اكل الحلويات

فتكون النتيجة الضعف والمرض . وكل مايحتاجون اليه هو المعرفة

والذين يخيل اليهم انهم تعساء ، وانهم مصابون بمرض عضال ، وهم أبداً متذمرون متمرمرون لاترضيهم حالة من حالات الحياة ، فهم في صف الواهمين المنخدعين . وهم أشبه بالاولاد الفاسدين الذين ليس لهم شعورٌ كاف يدرّبون به ذواتهم للخروج من أوحال الظلمة والشقاء الذاتى . فالطريق سهلة ولكنهم لايستطيعون أن يبصروها .

ومثل هذا يجري مع أكثر الناس بوجهة نسبية . فالامم في حرب دائمة . وهم أبداً يئنون تحت أثقال الضرائب وخسائر الحروب الفادحة . وكل مايكابدونه من الآلام انما هو نتيجة طفولة عقولهم الغير الناضجة . فانهم لايستطيعون أن يبصروا الحكمة البالغة الكائنة في التعاضد والتآلف .

اما الروح الوطنية فعوضاً عن ان تكون رغبةً نبيلة تختلج بها صدور الامم للعمل كلٌ لاجل مساعدة بلاده وطمأنينة القاطنين فيها ولاجل تهيئة بلاده لخدمة العالم خدمة نصوحة صالحة ، فهي متجسدة في اكثر العقول بشكل كريه

ممقوت لا يوحي سوى محبة الخصام والبغض والرغبة فى السيادة على الغير واحتلال بلادهم . ولذلك فان العالم يدبُّ على الارض كأنما هو طفل صغير بدأ للمرة الأولى يتعلم كيف يمشى على الأرض .

وليس في جميع تعاليم الحكماء والفلاسفة الذين نبغوا في العالم ماينزع هذه الغشاوة عن عيوننا لكي ننظر الحقيقة من وراء ضباب الاوهام المتسلطة على أذهاننا سوى تعاليم يسوع الذي يستطيع وحده ان ينعشنا ويحي الميّت من آمالنا ، لنعيش عمرنا بطمأنينة وقناعة .

وهانحن موضحون فيما يأتي من الفصول بعض العناصر الرئيسية من تعاليم يسوع ومثاله التي تظهر كمال فكره ونضج ذهنه وكيف انه لم يكتف باستيعاب الاوهام المتحكمة في الانسانية وادراك كنهها بل ادراك الحقائق الازلية التي تتلمس الانسانية اليوم طريقها اليها لترمُقها ولو بطرف عينها .

انى باقتفائى لخطوات يسوع
انما انقذ نفسى من الاوهام العظيمة
التي ذهبت ببصر الانسانية وبصيرتها :

الوهم

في ان الطبيعة البشرية شريرة

« ليست مصيبة الانسانية في انها شريرة »
« بل المصيبة كل المصيبة انها غير بالغة . »
« ان العالم الذى احبه الله لم يكن مسيحياً »
« بل كان مؤلفا من مخلوقات بشرية »
« ساذجة . وقد احبهم الله وظن ان »
« لهم من الفهم كفاية ليفهموا اقواله »
« وهكذا افعل انا . »

ان الرأي الغالب في العالم ان البشر أشرار بطبيعتهم . والعقيدة السائدة انهم بحكم الطبع يميلون الى الشر كما ان شرارة النار تتصاعد بطبيعتها الى العلاء .

وقد نشأ هذا الوهم عن الرأى القائل ان الحياة تتوقف على الجهاد المستمر ، ولا تنمو بكثرة الا اذا كانت دائماً على اهبة السعى لمقاومة كل مايقف في سبيلها من العقبات . هذه هي شريعة الحياة باسرها ، فهي شريعة الحيوان ، كما هى شريعة

الطير والسمك والنبات والانسان . لان الحياة ذاتها قوة ، وهذه القوة انما خلقت لكي تستخدم المادة لاحياة فيها وتتسلط عليها وتنظم منها ماتنتفع به . ولذلك فان الطفل وكل من لم تبلغ قواه العقلية درجة ارقى من قوى الطفل العقلية يعتقد بان جميع ما تقاومه الحياة من المقاومات لسيرها انما هى شر ممقوت . لانه اذا لم يقم كائن حى بوظيفته الحيوية ويتمم قسطه من الجهاد في سبيل الحياة، فانه يغلب على أمره من المادة ومن غيره من الاحياء فيقضى ويزول .

وقد نظمت هذه العقيدة تنظيما ثابتا في علم اللاهوت . فداود الملك نفسه صرخ قائلا، انه بالخطايا قد ولد وبالآثام قد حبلت به امه. وقدقال يهودى آخر من كبار مفكرى اليهودية، ان قلب الانسان خداع قبل كل شيء وشرير الى درجة لايمكن ان يتخلص منها . ذلك لان اليهودي كان غنيا بالعطايا الروحية وكان يعرف شدة الحرب التي كان على الروح ان تكابد مصائبها واوجاعها في جميع اطوار نموها . لاجل هذا كان اليهود ذوي آراء ثاقبة في الخطيئة .

وعند ماشرع علماء الكنيسة في درس الكتاب المقدس

وتدبُّر مافيه من الحكم والآيات وجدوا بين آياته الكثير من الشواهد التى تؤيد رأيهم بأن الانسان شريرٌ بطبيعته ولا يمكن أن تصلح حاله مالم تلامسه قوة غير منظورة فيما وراء الطبيعة .

على انى أعتقد بأن هذا الرأى لايتفق مع العقيدة المنطبقة على العقل الصحيح في الوجود .

فأنا أعتقد بأن النقص كائن في جميع الناس على السواء . لان فيهم غرائز ورغبات تحتاج الى من يحسن تنظيمها ويكبح الجامح منها ويستثمر الصالح النافع .

فالخطيئة هى البلبلة أو الاختلال في النظام . بل هي ضعف يستولى على القوى الأدبية المسيطرة على تنظيم الرغبات البشرية وحسن ادارتها .

واننا وإن كنا نرغب جميعنا في الشرّ وصنائعه فان لكل منا ضميراً حساساً ينبئه بأن مايفعله شرٌ هو ، ولذلك يجدر به أن يكون أفضل مما هو

وتكاد العقيدة القائلة بأن الصلاح صعبٌ جداً تكون عامة في جميع العالم ، حتى غلب القول ان الرجل الفاضل غريب عن الطبيعة البشرية ولا يتفق سلوكه مع طبيعة الانسان ، في

حين ان الجميع يعتقدون بأن الرذيلة فتانة تلائم الطبيعة ويفتح لها الانسان قلبه وحياته .

وما أتعس هذه الطبيعة البشرية المسكينة التى قد طالما شقيت وجاهدت حتى قام لها نفرٌ أقل من القليل من الذين يؤمنون بها . وانى من أصدق المؤمنين بها من غير قيد ولا شرط ، بل أنا أثق بأن يسوع قد آمن بها أيضاً لانه استغاث بها على تنفيذ تعاليمه . وقد كان عارفاً ان الناس يحبون أن يعملوا الصلاح ولكنهم يحتاجون الى من يظهر لهم الطريق المؤدية الى ذلك .

ان جميع العقائد التى في العالم اليوم تُعلِّم قبل كل شىء ان الفضيلة ممقوتة مرذولة وان الرذيلة خداعة جذابة . وأول مانبدأ فى زرع هذه البذرة الفاسدة في أذهان أولادنا ، فنقول لكامل مثلا ، وعمره سبع سنوات ، « اذا كنت ولداً صالحا ولم تفعل شيئاً رديئاً فانى أعطيك قطعة من الحلوى » . فالافتراض هنا ان الصلاح ليس من طبيعة الولد وان الطريقة الوحيدة لاستمالته اليه أن يُغريه ببعض المواد الخارجية التي يستلذها . ثم نقول له : « وان كنت رديئا في سلوكك فانى

سأصفعك صفعا . » فالافتراض هنا ان الولد يميل بطبيعته الى فعل السوء ، وانه يحب الشر ولا طريقة لردعه عن هذه المحبة سوى العقاب والأذية . ولذلك فاننا نسيء جداً بزرع هذه العقيدة الكاذبة في أذهان أولادنا ، فنغرسها فيهم من الجهة الواحدة ثم نسحقها في أعماقهم من الجهة الاخرى .

أما عقيدتي التي أنا شديد الثقة بها فهي ان كل انسان يرغب في أن يكون مستقيما فى أعماله . ويمكن أن تكون هذه الرغبة ضعيفة في هذا قوية في ذاك ، ولكنها كائنة في كل انسان . وانما عمل الدين الوحيد أن يحتفظ بهذه الرغبة ويحسن استثمارها في حياة الناس . وانى أرى ان شر خطيئة يفعلها الانسان ولن ينال عليها غفرانا انما هي في أن يخبر الولد انه شرير ويكرر ذلك حتى يخيل الى فكره الصغير انه شرير بالحقيقة ولا مناص له من الشر . ولكننا لو أخبرناه انه ولد صالح وانه يريد أن يكون مستقيما في جميع أعماله فانه يمكن أن يكون ولداً صالحا فاضلا فوق ما نتصور في أذهاننا . غير اننا اذا أخبرناه دائما انه ولد شرير فانه يجرب أن يعيش على وفق عقيدتنا به

وان أعظم قوة في الفلسفة الأدبية والتهذيب الكامل انما هي في تقدير الاخلاق الكريمة حق قدرها ، وأعظم قوة تعمل على هدم الاخلاق الفاضلة في الانسان انما هي التنزيل من قدر فضائله وبخسه حقوقه .

فالشعب الذى وجه اليه يسوع عظته على الجبل لم يكن مسيحيا . والعالم الذى قال انه أحبه لم يكن عالما مسيحيا . بل كان يتألف من العامة الساذجة الفقيرة . وقد أحبهم لانه اعتقد بأن لهم من الفهم مايستطيعون أن يفهموا به كل ماقاله لهم . فقرب لهم رسالته وعرض عليهم أفكاره فأصغوا اليه فرحين مُغتبطين . ومن تلك الساعة مابرحوا يصغون اليه ويحبون كل كلمة تخرج من فيه .

ولذلك قال انه عند مايُرفع سيجذب جميع الناس اليه . ولكنه ما كان ليستطيع ان يجذب الناس اليه لو لم يكن فيهم ارض صالحة لاقتبال بذار تعاليمه .

وقد دعاه اعداؤه صديق الخطأة . ومن الشكايات التى وجهها ضده الفريسيون ، وهي نفس الشكايات التى كان العالم ومابرح يوجهها ضد الذين جرأوا ويجرأون على الايمان

بصلاح الطبيعة البشرية ، — انه كان يجالس العشارين والخطأة ويؤاكلهم

انني أؤمن بأن كل امرأة ترغب في ان تكون شريفة وكل رجل يرغب في ان يكون فاضلا عفيفا ، بل انا واثق من اعماق قلبي بأن كل الاضطرابات التي تعكر صفو علاقات البشر بعضهم مع بعض انما هي نتيجة لعدم إيمانهم بما اؤمن به من صلاح الطبيعة البشرية .

لذلك نرى امامنا الامم تحارب الواحدة منها جارتها ونرى في الوقت ذاته أن الامة التي تبدأ الخصام باعلان الحرب على جارتها الآمنة تنشر الدعوة في جميع البلدان ان شعوب الامة الاخرى التي تحاربها اجلاف وجبناء غادرون . ونرى العمل يحارب رأس المال وكل منهما يجرب قوته في تمثيل الثاني بأنه مجموعة محتالين خبثاء وطماعين اردياء

نرى الاولاد يتغربون عن والديهم والرجال والنساء ينفصلون بعضهم عن بعض والكنائس تنقسم وحدتها الى طوائف متعددة يشاق بعضها بعضا ، والجيران تتحول محبتهم الى ضغينة وبغضاء ، وكل ذلك لان الفريق الواحد يعتقد بأن الفريق

الثانى شرير بطبيعته ، ولاخلاص للعالم من هذه الفوضى سوى الايمان الصحيح . ولاأعنى بهذا الايمان الصحيح الايمان بالله فحسبُ ، بل نحن في حاجة الى الايمان بالانسانية أيضاً .

وقد سأل الرسول يوحنا الحبيب اننا اذا كنا لانحب اخوتنا أبناء الانسانية الذين نظرناهم ونتظرهم أمامنا فكيف نستطيع أن نحب الله الذي لم نره ولانستطيع أن نراه ؟

وانى أحب هذا الافتراض الجميل من أعماق قلبى ، الافتراض الخالد الذي في هذا السؤال ، الذي يدلنا على ان الانسان يجب أن يكون بطبيعته صالحاً محباً مثل الله

وليس هذا الافتراض محض تفاؤل لاحقيقة دونه . بل هو أفضل رأى علمي ممتلىء من الفطنة والحصافة . فهو موافق لحقيقة النشوء والارتقاء فى الطبيعة وملائم في الوقت ذاته للصورة العمومية التى رسمها يسوع للحياة . ولكنه يخالف بعض الاقوال التي جاء بها المعلمون والمتشرعون فى بلاد اليهودية القديمة . ولكننى أعتقد بأن يسوع أعظم من جميعهم .

الوهم في ضرورة العقاب

« ان الثواب والعقاب هما حيلتا العالم الخداعتان اللتان ما برحتا تغويانا حتى اليوم »

ان الرأى القائل بأن المنفعة الذاتيـة هي الينبوع الذي تتفجر منه مياه تصرفنا وسلوكنا في الحيـاة ، وأن جميع الناس هم بطبيعتهم عبيد أرقاء للشر — ولا يمكن حفظهم منه الا عن طريق الحواجز الصناعية — هو رأي يخترق أفكار العالم ويسود عليها في جميع فروعها

فان الثواب والعقاب هما حيلتا العالم الخداعتان اللتان ما برحتا تغويانا حتى اليوم . وهذا الوهم هو أساس جميع مالدينا من قوانين العقوبات ، المبنيـة على السخافة البسيكولوجية القائلة بأن الطريقة الوحيدة لمنع الناس عن فعل السوء انما هى في اذيتهم وتعذيبهم . وعلى هذه السفسطة يرتكز نظام الشرطة ونظام المحاكم والسجون

أما محاكمنا الجزائية فقد دُعيت بيوت العـدالة ظلماً وعدواناً ، وكان الاجدر بها أن تدعى بيوت الانتقام والظلم

فاذا لجأ منا رجل الى الشدة والتعدى فى عمل من الاعمال .
فاننا لا نعرف ما نقابل به عمله سوى تعذيبه والانتقام منه .
ومع اننا قد عدلنا عن الهمجية في تعذيبه والتنكيل به بشتى
الآلات المتنوعة : كتعليقه بأباهم يديه حتي يموت ، أو جلده
حتي يفقد شعوره ، أو جره على الارض وتقطيعه اربا اربا ،
فاننا لا نزال نعذبه بسجنه في قبو مظلم ، أو باختطاف روحه
من أعماقه .

فالعاطفة التي تدفع الانسان الى مثل هذا العمل الفظيع
لا يمكن البتة ان تكون عاطفة عدالة للتأديب ، بل هى عاطفة
ظلم للانتقام . وهي نفس العاطفة التى تدفع السائق العديم
الرحمة الى وخز حصانه فى بطنه اذا وقف في مشيه ، وتثير
غضب الولد الى استحضار الفأس وتكسير البيانو عند مايلطم
به رأسه .

وما العدالة عند التحقيق الا تأييد النافع المستقيم من
الرغبات والحالات واستئصال الضار المؤذي منها . ولكننا
ما برحنا متمسكين بهرطقة العقوبات فان أفكارنا المضطربة
لن تقدر أن تنظر ، لا في وقائع الدعاوي ولا في حوادث

التاريخ ، ان نظامنا الحاضر لا يقلل الجرائم بل انما يزيدها اضعافاً .

ولو كانت لنـا بصائر ثاقبة لكنا نرى هذه الحقيقة الناصعة التي تتضح لكل من يعمل على درسها درساً صحيحاً . لان سجون العالم المتمدن لاتصلح أحداً من الناس وقد أتيح لي أن أخبر أحوال السجون في الولايات المتحدة ومايجري فيها من الاعمال في مدة ثلاث سنوات قضيتها في ادارة السجون فى ولاية ايلينويز . فقد فحصت نحو ثلاثة آلاف دعوى لثلاثة آلاف سجين . وقدطالما تحدثت مع رؤساء السجون والعاملين فيها غير انى لم أسمع قط ان عقوبة السجن قد نزعت الرغبة في الاجرام من صدر سجين واحد قط . بل بالعكس كنت أرى أمامي في كل يوم بينات متعددة على أن السجون تربى الناس على محبة الجريمة والرغبة في المضرة والاذية حتى دعاها أحد الثقات في الموضوع ، « بواتق الجرائم »

أجل ، ان سجون الولايات المتحـدة ، عوضاً عن أن تستأصل الجرائم ، تخرج في كل سنةماية وعشرة آلاف تلميذ قد استكملوا دروسهم في جامعة الجرائم

فاذا اقترف الانسان جريمة الفحشاء مثلا ، فهو يظهر بذلك انه رجل مريض ، كما لو كان مُصاباً بذات الرئة أو غيرها من الامراض . فهو والحالة هذه ضعيف القوة الادبية والفكرية ولا تجديه عقوبته أقل فائدة ، بل بالعكس من ذلك تزيد في ضعفه واعتلاله . وأفضل طريقة لتقويم اعوجاجه أن يرسل الى مستشفى يعنى بازالة مرضه وليس الى سجن يقضي على بقية الفضيلة والادب في رأسه . وأنا أقصد بالمستشفى المكان الذى يمكن ان يشفى منه مثل هذا العليل الروحى وتتحسن حاله ، أو يرسل على الاقل الى حيثما يوضع حدٌّ لمرضه فلا تزداد به العلة ، وليس الى حيث يعذب ويقذف به فى هوة أعمق من الهوة التى رمى اليها ذاته . فهو ليس فى حاجة الى ان يسجن كحيوان يحرسه سجان قاس ، لان مصيبته الكبرى انه حيوان اكثر منه انسان . ولذلك فهو فى حاجة الى طبيب رؤوف يعتنى به كمخلوق بشري فيزيل ما يشد به الى دناءة الحيوان

وانا لن نبني معاملتنا لذوي الجرائم من اخوتنا في الانسانية على أسس العاطفة الشفيقة الراغبة في الخير ما لم

ننظر الى المجرم نظرنا الى المريض السقيم الذى هو ادعى الى محبتنا منه الى نقمتنا

وقد أدرك يسوع السفسطة الكائنة في محبة الانتقام العقيمة . ولذلك فهو عند ما تكلم عن تقديم الخد الايسر لم يقصد قط أن العالم يجب ان يدفع الى قبضة الشرير المعتدى، بل انما اظهر ان الاشرار يجب أن يعاملوا بفطنة كمخلوقات أضعف ممن يقع عليهم شرهم ، لا أن يقاوموا كاقران وأمثال

وان من الاوهام العمومية الوهم المتسلط علينا ، انه يجب أن يحرسنا الشرطة والجنود والحكام وغيرهم من رجال الشريعة . فالرجل العادي من الناس الذى لا ينظر الى أبعد من حدود خياله يعتقد بأن امرأته واولاده فى مأمن من الخطر اذا ساروا في الشوارع ، وانه ينام في بيته آمنا ولا يخاف ان تغتاله يدٌ اثيمة في فراشه لان رجال الشرطة يحرسون المدينة بالنبابيت والبنادق

غير ان القليل من اعمال الفكرة يظهر لنا السفسطة الكائنة وراء هذا الرأى . فاذا فرضنا ان كل شخص فى المدينة التي نعيش فيها يميل بطبيعته الى الاذية والجريمة ، وان

كل واحد منهم شرير يرغب في الاغتصاب ولكنه يتوقع فرصة مناسبة ليقدم على حرق بيت جاره ، أو قطع يده أو رجله ، أو هتك عرضه أو قتله لضغينة بينهما . اذا فرضنا كل ذلك ، وان كل رجل يريد ان يفعل ما ذكرنا فانني الحق اقول لك ان جميع رجال الشرطة فى العالم وكل ما فيه من الجنود والحكام ورجال الشريعة لا يستطيعون ان يحولوا دون حريق مدينتك وانتشار الفوضى فى سائر انحائها في اسبوع واحد .

لان رجال الشرطة الحقيقيين في أية مدينة كانت إنما هم القوات الادبية الكائنة في افكار ابناء تلك المدينه لضبط الجامح من غرائزهم ورغباتهم . فانت وانا في مأمن من الخطر لان الاكثرية الساحقة من الناس يبغضون الرذيلة ويرغبون في الفضيلة والسيرة الشريفة من اعماق قلوبهم . وكل ما يفعله رجال الشرطة انما ينحصر في تقييد الاقلية المعوجة والحؤول دون انتشار فسادها

أما الثقة التى نضعها في فائدة السجون ، ولوحات التشهير ، والمأمورين في تنفيذ أحكام الجلد والعقوبات ،

والكرسى الكهربائية ،وغيرهامن آلات العقوبات واهمين بانها تمنع الجرائم وتحول دون التعديات فانما هي جزء من ثقتنا بان نار الجحيم تمنع الخطيئة . وكلتا الثقتين عقيمة لا فائدة منها

فان العالم ما برح منذ الوف السنين يعتقد بان البشر لا يمكن أن يحفظوا في مناهج الفضيلة والبر ما لم يخوفوا ويرعبوا بروايات مختلفة عن نار الجحيم الآكلة ! وقد قال الشاعر برنز :

« إن الخوف من الجحيم سيف مسلط فوق رؤوس الاشقياء لقيادتهم الى حظيرة النظام »

غير ان العالم قد انزل بذلك مركز الله سبحانه وتعالى الى مركز سجان حقير . ووضع في الاذهان انه تعالت قدرته قد أذن بوجود الشيطان وسلطه على النفوس البريئة يضطهدها ويعذبها ويجربها . وما انفكت الانسانية حتى اليوم تعمل بهذا الوهم وتتقيد بنصوصه كأنه دستورها الوحيد وشريعتها المثلى

ولكن نفسية الجنس البشرى قد تطورت على ممر الاجيال حتى تخلصت بعض الخلاص من تحت هذا النير

الثقيل . فان قليلين من ذوي البصيرة الثاقبة في هذا العصر يصدقون بمثل هذه الاوهام

كان علماء الكلام في العالم القديم يعلمون ان الله جبار طاغية جل غايته في الوجود أن يطيعه جميع المخلوقات والكائنات صاغرين معفرين جباههم بتراب الارض . وقد ظلت هذه الغاية شغله الشاغل حتى قضى أخيراً بالنار المؤبدة على جميع النفوس التى كانت ترفض الانقياه لهذه الرغبة القاسية .

وقد قضى يسوع على هذه العقيدة بتعليمه السامي ان الله أبٌ رؤوف محبٌ وليس بالسلطان الجبار القاسى الذى يجب على الناس أن يخافوه ويخشوا ظلمه وشدته . وقد علم الناس بأن غاية الحق انما هى رفع الانسانية تدريجياً في سلم الارتقاء . فهو تعالى بستانى عظيم ونحن نباتات في بستانه يتعهدنا بخير العناية لكي يكون نمونا متتابعاً في الوجود

أما الخوف فله مكانه فينا كغريزة فطرية . وأما الغرض منه فهو كما اجاد في وصفه باسيل كينغ حيث قال ، أن الخوف هو ايقاظ القوة الغافلة في الحياة . وقد غرست فينا غريزة

الخوف لتثير همتنا للكد والجد لان الحياة لا تتجدد عن غير طريق السعي والاجتهاد . ولكن الخوف الذي حولته أوهام الناس عن غايته الاصلية ، التى هي استنهاض الهمم الى الجهاد في سبيل الحياة وجعلته وسيلة للشلل والخبل وفخاً لاصطياد السذج من الناس ، انما هو عين الضلال والزيغان عن جادة الحق المستقيمة .

وبعبارة أوضح ، انى أعتقد بأن العقاب عند ما نلجأ اليه كوسيلة للتهذيب والاصلاح انما هو وهم وانخداع ، لكن الخوف والشعور بالخطر اذا نظر اليهما الانسان نظرة صحيحة ربما كانا فى مقدمة ما يؤول الى تقدمه وفلاحه

ولا أستطيع أن أسلم البتة بأن غاية الله الاساسية من الوجود أن يحصل على الطاعة العمياء من مخلوقاته ، لان غايته المثلى انما هي الرغبة في ان يساعد جميع مخلوقاته على التقدم والنمو المتواصلين.

الوهم

في أنَّ التنازع ضروريٌ للرُقي

« ان الانسانية قد حصلت على عظمتها
بالتعاضد لا بالتنازع . »

ان تنازع البقاء والجهاد في سبيل الحياة والسعي في تذليل ما يقوم أمامنا من العقبات انما هي صفات واجبة ضرورية للحياة . هي ضرورية لتوليد الهمة التي لا تقوم قائمة للحياة بدونها .

ولكن الرأي القائل بأن التنازع ضروري بين الناس لاجل الحصول على الثروة والمحافظة على سلامة الحكومة ، انما هو مغالطة وسفسطة فارغة. لان الحقيقة المجردة أن الجهاد في تذليل قوات الطبيعة ، القوات الهادمة والمخرّبة ، ضروري لاستخدام هذه القوات في مايعود الى منفعة الانسان . وفي هذا الجهاد العظيم يجدر بالناس أن يتكاتفوا معاً ويعملوا بقلب واحد بعضهم مع بعض ، وليس بعضهم ضد بعض

ففى انتاج المواد الغذائية وصنع الثياب وبناء المساكن وغيرها من الحاجات المادية في الحياة ، يستطيع الناس أن يحصلوا بالتعاضد على أضعاف مايحصلون عليه منفردين يحاربون بعضهم بعضاً . وبهذا يقدرون أن ينتجوا مايكفي لجميع الناس . وربما كان التنازع لازماً فى الافكار والمبادىء ولكن العلماء يظهرون لنا ان هذا التنازع يمكن أن يتمّ بدون روح البغضاء . وعوضاً عن أن يكون للهدم يجب أن يكون للبناء .

بيد اننا قد ورثنا السفسطة القائلة بوجوب التنازع عن الاجيال الماضية . فأصبحت اليوم ممتزجة بكل دقيقة من دقائق أفكارنا . ولذلك يكاد يستحيل علينا أن نفكر بامكانية الحصول على أي نوع من الراحة أو النجاح في حياتنا من غير أن نحارب بعضنا بعضاً .

فاذا رغبنا في تقييد العدالة في دعوى من الدعاوى فاننا لانذهب الى قاض نزيه لاغرض له مع أحد الفريقين ونلتمس منه أن يفحص دعوانا بحكمته ونزاهته ليعطي الحق صاحبه . بل كل فريق منا يستأجر محامياً ويلقنه ما شاء من الاكاذيب

وحينئذ ينزل المحاميان الى ساحة الخصام فيتناقدان كأنهما ديكان في حومة الميدان . أما القاضي فلا يكون أكثر من حكم فيصل ، والجمهور الذي يحضر المحاكمة انما يأتون للتلذذ بمشاهدة المبارزة والنظر الى المتخاصمين لكي يعرفوا على من ستدور الدوائر . والفوز يكون في الغالب للمحامي البليغ الغني بالألفاظ المزخرفة والعبارات المنمقة .

وان تركنا الشريعة المدنية وجورها وجئنا الى الشرائع الدينية ومباحثاتها في قضاياها الخاصة لرأينا ان أول مايستفز الهمم في كنيسة المثوديست مثلا في قرية من القرى انما هو مقاومة الكنيسة المعمدانية ، وكل من يُعمل فكرته في الاسباب التي تدعو هذه الكنيسة الى مقاومة تلك يرى انها أسباب بسيطة تافهة قلما تدعو الى الخصام بين صغار أولاد الأزقة والشوارع .

وليست هذه بليتنا فحسب ، بل نحن لا نقدر أن نؤلف حكومتنا بأن ننتخب لوظائفها أفضل الرجال الذين يستحقون هذه المراكز عن أهلية وجدارة ، بل نحن نقسم البلاد الى حزبين وننفخ في كل منهما روح الحرب والبغضاء ليهدم الواحد

في اليوم مابناه الآخر في الأمس . ثم نهيء المعدات لمعركة ديوك جديدة نقوم بها في كل أربع سنوات لانتخاب رئيسنا الاعلى ورجال دولته .

أجل ، ان أمام الامم عقبات جمة في سبيل التعاضد في أعمالهم . فهم يستسهلون العداء والمقاومة بعضهم لبعض . لان الروح التى تنفخها كل أمة في أبنائها انما هى روح عجب وغطرسة وبغضاء . فالاميركي يعتقد بأنه أفضل رجل في العالم ولذلك يمقُت اليابانى والمكسيكى وينظر اليهما نظرته الى ألد أعدائه . وكل ذلك نتيجة فاسدة للنظام السائد في العالم المبنى على أساس البغض الممقوت لانه يقنعك بسهولة لكي تبغض جارك وتحتقره ولا يقنعك لكي تحبه وتكرمه .

ولذلك ترى الحكام وذوى السيادة في جميع أنحاء المعمور يفرحون ويرقصون طرباً عند ماتنخرط بلادهم في حرب من الحروب . فلا تشتعل نيران الحرب حتى تتحد الامة كلها كتلة واحدة . لان أبناء العالم بعقولهم الصبيانية يحبون الحرب والخصام ، ولذلك لايأتى السلام وتهمد نيران الحرب حتى يعودون ثانية الى إثارة حرب جديدة أكثر ضرراً وأوفر

خطراً من الحرب التى تقدمتها .

وفي هذا مافيه من صادق الدليل على نقص فاضح في مدارك الأمم ونفسيتها وعلى ان الحالة التى بلغنا اليها في مدنيتنا الحاضرة لم ترتق كثيراً عن الحالة الهمجية الاولى .

ورب معترض يقول ، ان التنازع على البقاء شريعة طبيعية ، وان الطبيعة انما تنتج أفضل أثمارها عن طريق الجهاد لبقاء الانسب . ولمثل هذا المعترض نقول ، ان هذه الشريعة جميلة تنطبق على الكرنب (الملفوف) ، وعلى الكلاب والافاعي والاسود . ولكنها قد امّحت ولم يبق لها من أثر منذ ظهر الانسان على مسرح التمدن وبدأ في تكوين أخلاقه .

أجل ، ان الانسانية قد بلغت الى عظمتها الحاضرة بالتعاضد والتآلف وليس بالتنازع والخصام .

بيد اننا قد تعلمنا هذه الأمثولة ناقصة ولم نتعلمها كاملة بعد . وقد جربناها بطريقة ضيقة محدودة ، ولكننا مابرحنا عاجزين عن وضعها في حيز العمل بطريقة عمومية شاملة . فنحن نؤلف الأندية لاتحاد العمال لاننا وجدنا ان العمال

يحصلون على نتيجة أوفر بتآلفهم وتعاضدهم مما بانفرادهم وتزاحمهم . ورأينا أن نعقد الشركات فى العالم التجاري لاننا وجدنا ان رأس المال المتحد يأتى بأثمار أوفر وأكثر من أثمار رأس المال المتفرق . ولذلك فان أكثر الثروات الحديثة قد حصل عليها أصحابها بحذقهم ومعرفتهم كيف يستثمرون أرض التعاضد الصالحة . فرُوكْفَلَر وكارنجي ووُاوُرْث وغيرهم من أمراء التجارة الحديثة قد حصلوا على ثرواتهم ليس لانهم كانوا يحاربون واحدهم الآخر ، بل لانهم عرفوا كيف يقنعون غيرهم من الناس أن يشاركوهم فى أعمالهم ، لانه النجاح العظيم هو فى الغالب ثمرة من ثمار الاتحاد .

وان الحكمة البالغة الكائنة فى هذه الحقيقة قد دفعت يسوع الى التعليم بوجوب الاخوّة فى العالم ، لان الناس لاتستقيم حالهم وتسعد أحوالهم حتى يقفوا كلهم معاً جنباً الى جنب ،وهذه هى النتيجة العملية الصالحة من وصية يسوع الآمرة بوجوب المحبة بين جميع الناس . ولا تأمرنا هذه الوصية بوجوب المحبة السقيمة الممتلئة من الشهوات الدنيئة ، بل هي توجب علينا أن نتجنب شريعة الذئاب ونتمسك بالشريعة

اللائقة بنا كمخلوقات بشرية .

أما آراء الاشتراكيين ومايبذلونه من الجهود ويهرقونه من الدماء فى سبيل تأييد مبادئهم وتحقيق رغباتهم الآيلة لتعزيز الانسانية فهى ثمرة صغيرة من ثمرات هذه العقيدة الآمرة بالتعاضد والمحبة .

ولكن قلّ أن يتحد الناس اليوم إلا فى جامعات صغيرة في مثل كنيسة أو جمعية أو ناد أو شركة أو غير ذلك . ولذلك سيأتى يوم تنقشع فيه الغيوم المتلبدة أمام عيوننا فنبصر بعضنا بعضا ونتحد كلنا معاً عاملين لما فيه خيرنا ومصلحتنا جميعا . هذه بالحقيقة هى المحجة التي يسير اليها التطور الاجتماعي ، واننى لتعرونى الدهشة كيف انه منذ الفى سنة قد استطاع هذا الفلاح الجليلي ان يدرك كنه هذه الشريعة العالمية ويفهم عظم نفعها لأبناء الانسان ويتلفظ بها امامهم قبل ان حلمت بها الانسانية بقرون عديدة .

الوهم

في ان السعادة ميسور نوالها

« ليست السعادة ان تنال شيئا
بل ان تكون شيئا »

ان الرأى الغالب على أذهان الناس ان السعادة تتم فى الحصول على شيء ما . ولكن السعادة الحقيقية ليست أن تنال شيئاً بل ان تكون شيئاً . وبعبارة أخرى ، ان السعادة ليست شيئاً بذاتها ، بل هي علاقة كائنة بين شيئين .

وقد عرّف كارليل السعادة بقوله ، انها تشبه الكسر العادى فصورته هي القيمة التي لك ومخرجه هو القيمة التي تظن انها ستكون لك .

فالرجل الواهم يسعى الى تكثير قيمة كسره بضرب الصورة في ذاتها . والرجل الحكيم ينال مايروم بقسمة المخرج على ذاته .

وقد حصر يسوع عقيدته الاساسية في تجديد أخلاق

الناس وتغيير طبائعهم . ومن أقواله : « يجب ان تولدوا ثانية » ، وهو يعنى بذلك اننا ننال سعادتنا الحقيقية اذا غيرنا طبائعنا وجددنا نفوسنا ، وكل سعادة غير هذه ننالها عن طريق تغيير مقتنياتنا أو تبديل المحيط الذى نعيش فيه انما هي سعادة وهمية كاذبة . وهذه العقيدة هي الاساس الذي بنى عليه يسوع وصيته التى حذرنا بها من وضع كنوزنا في الارض الفاسدة . على أن أكثر الناس قلما يعبأون بغير حشد الثروة والسعى وراء الشهرة الكاذبة والحصول على المركز الاول في المحيط الذي يعيشون فيه . ولكن الرغبة الخفية الكائنة في كل انسان انما هى في ان يعمل أفضل ما تبلغ اليه حياته في هذا العالم ، أن يعيش عمره فرحاً ناعم البال ، حراً مكتفياً من كل خيرات الارض . وأول ما يفرض عليه من الواجبات في سبيل تحقيق هذه الرغبة السعيدة أن يطبق حياته على محيطه ليستطيع ان يعيش فيه .

ويجب عليه ألا يؤجل عملا من أعمال حياته أو فرحا من أفراحها . ولذلك يأمرنا يسوع ألا نضع كنوزنا في الارض وألا نغرق في محبة المال والاعتماد عليه في جميع أمورنا . لان

المصيبة الكبرى فى ذلك انما هي تأجيل التمتع برغبات الحياة الحق . فيجدر بنا ان نكون سعداء كيفما تصرفنا في هذه الحياة ، لا أن نغمّ ذواتنا ونضنى أجسادنا بالتعب والهم والشقاء رجاء ان نتمتع بالسعادة بعد مدة من الزمان . وان اعظم الاغلاط التى يقع فيها اكثر الناس في فهم الغاية من رسالة يسوع انما هى العقيدة السائدة بينهم ان يسوع قد جاء الى العالم لكي يقرر أن الطريق المؤدية إلى الفضيلة الكاملة وعرة المسالك كثيرة الاشواك ، وان البلوغ الى القداسة الحقيقية يحتاج الى قوة فائقة للطبيعة البشرية ، وان طريق الكمال الحقيقى غريبة عن طبائعنا بل هى مضادة لها على خط مستقيم

ولكن يسوع قد أوضح بفمه الطاهر الغاية من رسالته وبشارته بقوله، «لكي يكون فرحنا كاملا فينا». فقد جاء لكى يعلمنا كيف نكون سعداء ، وكيف يجدر بنا ان نجتاز شوطنا فى جهاد حياتنا مستثمرين أفضل ما فيها من الاثمار . ولذلك فان الذين في قلوبهم نسمة من روحه اليوم ، الذين يقتفون آثاره بالعمل بتعاليمه ، انما اولئك الذين يبلغون الى الحياة الكاملة الغنية وكل من يتاح له التعرف الى الذين تتوقف

سعادتهم على ثرواتهم أو مركزهم أو شهرتهم يعرف مقدار تقلقل أحوالهم واضطراب حياتهم . ولذلك فانني اعتقد بان حكمة يسوع أوضح في هذه العقيدة وفي معرفته الحقيقية للطبيعة البشرية وحاجاتها منها في غيرهما من العقائد

الوهم
فى أن الخير فضيلة سلبية

« ليست المسيحية قوة مميتـة بل هى قوة محيية » .

ان العالم ما برح منذ نشأته راسفاً تحت قيود الوهم في أن الخير فضيلة سلبية . غير اننا نرى في مثل المحاكمة الاخيرة ، ان الذين نالوا الثواب والمكافأة انما هم الذين فعلوا صلاحاً في حياتهم ، والذين حل بهم العقاب انما هم الذين لم يفعلوا شيئاً من الخير قط

وهذا المبدأ تتمشى روحه في تعاليم يسوع من ألفها الى يائها . فقد علم ان الفضيلة هي القوة والاحسان. وكانت المحبة حجر الزاوية في أساس صرح الآداب الذى شاده للانسانية ـ والمحبة قوة ايجابية لا سلبية

على انك اذا سألت رجلا من الناس رأيه فى من هو الرجل الفاضل في عقيدته ، لاجابك على الفور ، ان الرجل

الفاضل هو الذى لا يفعل كذا ولا يفعل كذا الخ. هو الرجل الذي لا يكذب ، ولا يحلف ، ولا يخدع أحداً ، ولا يزني الخ

واذكر انى سألت صديقا لى مرة رأيه فى من هو أفضل رجل عرفه في حياته فأجابنى في الحال قائلا ، « هو أبى »

فقلت ، « ولماذا ؟ »

فأجاب قائلا ، « لان لسانه لم يعرف الكلام البذىء ولم يخالف شريعة السبت المقدسة ، ولم يشرب مسكراً ، ولم يعرف طعم الدخان فى حياته ، ولم تكن له علاقة دنيئة مع امرأة قط ، بل أنا واثق بأنه لم يخدع أحداً ، ولم يكذب على أحد في حياته »

فقلت له ، « ان هذا لوصف جميل جداً لما لم يفعله والدك وأنا لا أريد ان انتقص من كرامته . ولكن هل لك أن تخبرني شيئاً عما فعله في حياته ؟ »

أجل ، ان الكنائس ممتلئة من الزواجر والنواهي عن هذا وذاك من الاعمال وأفضل وصية يترنم رجال الدين بتكرارها انما هى ، « لا تفعل ... » ولا شك ان هذا النوع

من التعليم خال من القوة ، وكثيراً ما يكون عديم الثمرة ، لانه ما من انسان يستطيع ان يبنى هيكلا من الاخلاق بالوصايا السلبية العقيمة

ولكن يسوع قد هدم صرح الآداب القديم من أسس موسى فصاعداً ، وأعلن ان الشريعة كلهـا متضمنه في الآية « تحب الرب الهك من كل قلبك . وقريبك كنفسك »

فاظهر بذلك ان الفضيلة الحق انما هي قوة فعالة ، وخميرة نقية تخمر العجين كله

اما ما يوجهه خصوم المسيحية من الاعتراضات على انها معمل لكل مستأنث خنث من الرجال ومدرسة للضعف والذلة والخنوع ، ومصدر للفضائل السلبية ، فانما هى بالحقيقة اعتراضات على بعض فروع الكنيسة ولا تستطيع ان تتناول مؤسسها . لان هذه الفروع كانت منذ نشأتها لا تترنم الا بكلمة ، « لا تفعل .. » ولكن يسوع قد قضى حياته وهو يقول ، « افعل ... »

والحقيقة المجردة توضح لكل ذي عينين ان دون الفضيلة مغامرات عظيمة . لان على الراغب فى الفضـيلة ان يكون

شجاعا مقداما صبوراً على المصائب متجلداً في احتمال النوائب.

واما الراغب فى الشر والرذيلة فلا يطلب منه واجب ما. ففي وسع كل انسان ان يكون شريراً. لان كل مايحتاج اليه الانسان لكى يسير الى الشيطان ان يجلس متكاسلا ولا يعمل عملا. وليس الشيطان في الحقيقة سوى الدناءة والفساد. لان النبات اذا توقف عن النمو فانما يكون ذلك بداءة لموته واضمحلاله.

على ان أغرب الخطايا الوثنية التى اقترفها رجال الدين هى العقيدة التى أوجدوها، وخلاصتها أن التقوى تقوم فى الانفراد عن الناس والابتعاد عن العالم

لان التقوى الحقيقية كما اظهرها لنا يسوع بتعاليمه ومثاله انما تنحصر في الجهاد في سبيل الخير في هذا العالم، وتعلمنا ان الانسان يكون صالحا اذا حمل صليبه كل يوم، ومشى بين الناس الاشرار من غير ان يعروه شبه خوف، واحب الذين يحبونه والذين يبغضونه على السواء، وأحسن الى اخوته وأعدائه والذين يسيئون اليه من غير أن تتزعزع قوته او تتلطخ فضيلته بأنانية او كبرياء

وما اتعس العالم بهذه العقيدة الهادمة التى ورثها وعلق قلبه بحبها ، العقيدة القائلة ان الرجل الفاضل يجب ان يكون ضعيفاً مستخنثاً جباناً . حتى لقد صارت كلمة مسيحي مرادفة لكلمة طاعة وخضوع ومسكنة . فقد صرخ المستبدون من رجال الكنيسة منذ أقدم الازمنة بالناس قائلين، «تعالوا الينا صاغرين ، واخضعوا الأوامرنا مرغمين » . ولكن هذا الخضوع الاعمى هو بالحقيقة نفس جوهر الخطيئة . لانك اذا كنت لا تفعل الا مايفعله جيرانك فانك انما تكون قائدا لذاتك الى الشر .

لان الانسان لايستطيع أن يحمل في ذاته روح يسوع ما لم يثبت أساسات شخصيته ، ويخلص في الاصغاء الى صوت ضميره ، ويتبع كل ما يعتقده حقا وصوابا ، ويمشي في جميع أموره على الطريق الضيقة لان الطريق الواسعة تؤدى الى الهلاك .

فالمسيح قد أمر بالتجدد والتحويل، ولكن الوثنية التى سرقت اسمه قد أمرت ولا تزال تأمر بالطاعة العمياء والخضوغ بجهل وغباوة

الوهم فى منفعة القوة

« الذين يأخذون بالسيف .
بالسيف يؤخذون »

ان الايمان بالقوة المادية شريعة من شرائع العالم الأولية وقد أظهر يسوع خطأ هذه العقيدة واوضح لنا ان القوة الحقيقية كائنة فى الروح ومستقرة في المبادىء والافكار الروحية .

وقد بنى العالم ايمانه على الاولية القائلة ، « ان الله فى جانب الكتيبة القوية » فاحتفظ بايمانه هذا على ممر الاجيال وتمسك به بمنتهى التشبث والتعصب . ولكن التاريخ قد برهن المرة بعد المرة ان هذا الايمان كاذب شرير . فاننا نرى في جميع أدوار التاريخ التي وصلت الينا أخبارها أن الممالك القديمة كانت مشتغلة أبداً بالاستعداد للحرب بعضها ضد بعض ظناً منها ان في ذلك خلاصها وراحتها . ولكنها قد زالت وانقرضت بأسرها ولم يبق منها واحدة قط . فقد اعتمدت كل

من مصر وبابل وأشور واليونان ورومية وسائر ممالك العالم القديم على جيوشها لاجل سعادتها وطمأنينتها . ولكن كل واحدة منهن تحطمت قواتها فى دورها .

ولا يزال هذا النظام سائداً حتى اليوم . ولنا منه مثال فى سقوط الامبراطوريتين العظيمتين الروسية والالمانية

ومع كل ذلك فاننا نرى الامم الحديثة لا تزال واضعة ثقتها في جنودها وقواتها المادية . وفي البلاد المسيحية نفسها لا نرى أمة واحدة على الاقل تسلم قيادة أمورها لحكمة يسوع . بل جميعهم يعتمدون على كلمة مكيافيلى .

بيد ان خمسة آلاف سنة من حوادث التاريخ المدونة أمامنا تبرهن ان «الذين يأخذون بالسيف بالسيف يؤخذون»

أما الامة الوحيدة التي عاشت مع جميع القرون ، أقدم أمة في العالم اليوم ، الامة التى حافظت على مدنية واحدة في جميع العصور ، فهى الامة الصينية . لان الصين لم يكن لها جيش احتياطى قط في جميع أدوار التاريخ حتى اضطرتها الامم الاخرى الى ذلك منذ ستين أو سبعين سنة

والغريب في كل هذا ان الذين ينظرون هذه الحقيقة

ويصرحون بما يسمون خياليين وينظر اليهم باحتقار كمأخوذين بمحبة السلام يبنون قصورهم في الهواء ، معالجين العبث في جميع أقوالهم وأفعالهم . وأما الذين يثابرون على الوقوع في الخطأ ذاته الذي وقع فيه الالوف والملايين من قبلهم ، الخطأ الذى اظهرت الاجيال نتائجه الوخيمة فانما ينظر اليهم كرجال عمل حكماء

وذلك يعنى ان جميع المقعدين والمرضى في العالم يعتبرون ذوي عواطف سامية يسابقون الغزلان في سيرها ، وجميع المواطنين الاصحاء والنافعين يُرفضون وينبذون كرجال ضعفاء مستأنثين .

على اننا نرى مثل هذه العقيدة الملتوية بين ذوى العقول السقيمة المرتخية مفاصلها في شأن فلسفة النشوء والارتقاء القاضية بتنازع البقاء وبقاء الانسب ، فهم يدعون ان بقاء الأنسب يعنى بقاء الاشد قوة وشراسة. ولكن الحقيقة المجردة ترفض كل عقيدة كاذبة كهذه .

وبهذه المناسبة أورد هذه القصة كمثل في الموضوع :

زرت من بضع سنوات مدينة لوس انجلس كليفورنيا

وقضيت فيها فصل الشتاء وقد كنت شديد التعلق بملاحظة ما كان يجريه العلماء فيها من الحفر في طبقات الحُمَّر . وقد وجدوا فيها عظام حيوانات كثيرة عاشت قبل العهد التاريخي فان هذه الحيوانات غرقت في الحُمّر وهي آتية لتشرب من برك الماء التي فيه وحفظت الارض عظامها على ممر ألوف السنين .

وقد جمع العلماء من العظام المتفرقة هيكلا عظمياً لحيوان أطلقوا عليه اسم تيرانوسُورس Tyrannosaurus وقرروا بعد الدرس الدقيق انه كان وحشاً هائلا لان طوله بلغ أربعين قدماً وعلوه ثمانية عشر قدماً . وانه كان يلتف بجلد لا تنفذ فيه قوة ، وانه كان شرساً كاسراً ضارياً . وكان يفترس كل حيوان يمرُّ به ، ويلتهم كل مخلوق حي يستطيع أن يقبض عليه .

ولكن الوجود قد تخلص من هذا الوحش الهائل . فاذا كان بقاء الأنسب يعني بقاء الأشد همجية وشراسة فكان يجب أن يكون العالم اليوم ممتلئاً بنسل هذا الحيوان الغريب . ولكن هذا الحيوان قد انقرض من الوجود مع كل قوته وشراسته ولم يعرف العالم شيئاً عنه حتى أقامه العلم من فراشه

الأبدي في طبقات الارض . ولكن الخرفان والثيران والأرانب والسناجب لاتزال حية تتمتع معنا بنور الشمس . وهكذا قد أيدت المعرفة بشهادتها الحقيقة القائلة ، « ان الودعاء سيرثون الارض . »

ومن نصف قرن كانت القرى والمزارع في الجهات الغربية من الولايات المتحدة مأهولة بنوع من الناس كانوا يسمونهم الرجال الاشرار . وكان الواحدمنهم شيطاناً جريئاً بجسم انسان ، محتالا مكاراً لايهاب الموت ، وفاجراً خليعاً لايهمه سوى أن يملأ بطنه من المسكرات ويعمل على القتل والسلب والنهب . وكان جميع الناس يخافونه ويرتعدون من رؤيته . لانه كانأوفر المخلوقات الحيةشراسة في تلك الجهات . فلو كان بقاء الأنسب يعني بقاء الأشد شراسة وقوة لكانت القرى والمدنالتى فيغرب الولايات المتحدة ممتلئة بهذا النوع من الرجال الاشرار ، بل لما كان يقطن فيها غيرهم ، ولكن الزائر في هذه المدن الغربية اليوم يجد ان فيها أرقى وألطف شعوب الارض . فهم يلبسون الأقمصة الحريرية النظيفة ، ويديرون بيوت التجارة الكبيرة ، ولهم الكنائس الشاهقة

العظيمة . وأما جنس الوجل الشرير فقد انقرض ولم يبق منه سوى نفر قليل يجدهم السائح حوالي مدينة لوس انجلس حيث تؤخذ رسومهم لتمثل بهم الحياة الاميركية الاوربية في الصور المتحركة .

ولذلك فان الحقيقة الناصعة التى لا ينكرها عاقل تقضى بأن الاعتماد على القوة الجسدية يؤدي الى الخراب والاضمحلال . سواء في ذلك الفرد ، والامة والعالم بأسره .

وقد قام في العالم منذ ألفى سنة معلم عظيم أبصر هذه الحقيقة وتجاسر على التصريح بها ، واليوم بعد أن هزأ بها حكماء العالم قرونا عديدة قد اهتدينا الى أن ماصرح به ذلك الناصرى انما كان الحقيقة بعينها .

الوهم

في أن العقل أساس الآداب

« إن يسوع قد بنى الآداب على أساس الغرائز ، وعلى أقوى الغرائز — المحبة »

ومن الاوهام السائدة في العالم الوهم في أن العقل والمصلحة المادية هما أساس للآداب الانسانية . فان اكثر أبناء الانسان يعتقدون بأنهم يستطيعون أن يقنعوا ذواتهم بقوة عقولهم على أن يصيروا فضلاء . أو أن في استطاعتهم أن يصيروا فضلاء طمعاً في الحصول على منفعة لانفسهم

ولكن هذه عقيدة سقيمة . لانها منذ ظهرت لم تأت بثمرة قط وكل فضيلة ينالها الانسان على هذا المنوال ملفقة مصنعة .

وقد بني يسوع صرح الآداب على أسس الغرائز ، وجعل حجر الزاوية في بنيان الفضيلة أمتن غريزة في الانسان — غريزة المحبة.

فاظهر بهذا عمق حكمته وغزارتها، لان كل ما في الانسان من قوة ونشاط انما هو مستمد من غرائزه، وكل مايستطيع العقل عمله ينحصر في تنظيم هذه الغرائز واستثمار منافعها

أما المحبة فهي آخر ثمرة من ثمار التطورات الاجتماعية لان الحياة كانت على ممر الالوف بل الملايين من السنين تتأهب على الارض لقبول عاطفة المحبة . فكان الجنس أولا مقدمة للمحبة . ففي بداءة الزمان انتقل التوليد في الحياة الحيوانية من أدنى مظاهره الى العاطفة الجنسية . وهذه العاطفة قد ميزت جميع الطبقات من الاحياء بعضها عن بعض

ومع اننا لا نستطيع أن نسمي هذا الميل الجنسى محبة كما نفهم المحبة اليوم ، فانه أساس للمحبة ، بل أصل للتربة الصالحة التي نبتت فيها هذه الزنبقة العطرة

وقد تطورت هذه العاطفة في الانسان على ممر الازمان الى ما هو اسمى من الشهوة البسيطة ، وتحولت الى عاطفة التضحية والعبادة . وما لبثت أن أثمرت للعالم أجمل ثمرة من ثمرات القوة فيه ، وهي ثمرة القوة المعروفة بالمحبة

وكلنا ندرك كنه هذه القوة عند ما نقول ، « الله محبة

هو » . وقد وضع يسوع هذه القوة أساسا لجميع الفضائل والآداب عند ما قضى على العقوبات والمكافاة التي قررها موسى وعوض عنها بالمبدأ الواحد، مبدأ المحبة

وقدكانت خلاصة عظته للعالم في هذا الموضوع ما معناه، « يا أبناء الانسان ، انكم تهتمون وتضطربون في أشياء كثيرة وانما الحاجة الى واحد، فاذا احببتم محبة كاملة فانكم لاتحتاجون الى الاهتمام بشيء آخر البتة »

غير أن العالم لم يدرك بعد معنى هذه الوصية الجريئة التي تقلب الوجود ظهراً لبطن . لاننا حتى الساعة لا نثق بالمحبة ، وحتى الساعة نعتقد بأن خطرها وضررها أعظم من منفعتها وخيرها .

بيد ان المحبة هى القوة الوحيدة العاملة على خير نفوسنا وسعادتها . وهى البخار الوحيد الملائم لحركة القاطرة البشرية .

أجل ، ان المحبة أساس العائلة الوحيد ، فلا مراعاة المصالح والمنافع ، ولا الخوف من العقاب أو الطمع فى الثواب، ولا الانانية والرهبة والاعتبار ، كلا ولا غير ذلك من قوات

العالم يستطيع أن يكون له جزء مما للمحبة البسيطة الساذجة من التأثير في تكوين سعادة العائلة . لانه متى أخلص الزوج والزوجة في حبهما أحدهما للآخر ، ومتى أحب الآباء أولادهم والاولاد آباءهم ، فان المشاكل التى لا تحلها قوة في العالم ، التى تزعج سعادة العائلة تسقط مفككة الاوصال أمام قوة المحبة

وربما يستغرب القارىء اذا قلنا إن المحبة هي الدعامة الوحيدة التي تستطيع الصناعة والتجارة أن تعتمدا عليها . فان جميع الجهود التى يبذلها المتخصصون في الاقتصاد السياسى ليوازنوا بين الربح والخسارة ولكى يجعلوا محبة الربح الباعث الوحيد للعمل ، انما تكون نهايتها التشويش والاضطراب . لان القاعدة الغالبة في العمل أن النجاح حليف دائم الذين يحبون عملهم ويحبون العاملين معهم ، ويحبون العالم من رجال الاعمال ، جاعلين غرضهم الاساسى خدمة العالم وتسهيل وسائل الراحة لجميع الناس . وقلما تظهر هذه المحبة كغيرها ولكنها كائنة عاملة كغيرها من أنواع المحبة

وان المصيبة الكبرى بين العمل ورأس المال انهما لا يحبان واحدهما الآخر . فمتى قلّت ثقة الناس بعضهم ببعض

وابغضوا بعضهم بعضاً فان النتيجة ولا شك شقاق وانقسام وخراب . ولن تبطل الخصومات والاعتصابات والاضراب عن العمل في العالم حتى تشرق أنوار المحبة في دور الصناعة فيحب العمال جميع أرباب الاموال ويحب أرباب الاموال جميع عمالهم على السواء .

وليس هذا درساً من دروس مدارس الاحد البسيطة، كلا ، ولا هو فكر خيالى لا حقيقة دونه : بل هو دستور الحياة في جميع فروعها . لان بواسطته نستطيع أن ننال راحتنا، ونحظى بالتقدم المنشود، ونحصل على الثروة الضرورية لنا ، ونبلغ الى محجة الرقي والقناعة.

والمحبة هى الاساس الوحيد لادارة الممالك والحكومات. فهى القوة الوحيدة التي تستطيع أن تحول دون الحروب وتستأصل جرثومة الشر والخراب الناتجين عن الحرب

وفيما نحن نُسطر هذه السطور نرى الاضطراب سائداً في المانيا وفرانسا والفريقان يكابدان آلاماً مريرةً وخسائر فادحة . ولهذا الخلاف بين هاتين الأمتين أسباب عديدة ، ولكن أهم هذه الأسباب ان كل واحدة منهما تبغض جارتها

فقد نشرت كل منهما تذييع (بروبغندا) البغض المريع ضد جارتها في أثناء الحرب ومابرحت آثار هذا البغض فعالة في القلوب حتى اليوم . لان البغض حيثما يحلُّ يحل معه جحيم الشقاق والشر . ولذلك فان فرانسا وألمانيا في أشد الحاجة الى زعماء حقيقيين يستطيعون أن يعلموا سكان البلاد كيف يحترمون ويحبون بعضهم بعضاً . ولكن الافكار في الأمتين لاتزال صبيانية ولذلك فان أمثال هؤلاء الزعماء بعيدون عنهما ولذلك فهما تحصدان ماتزرعان .

والمحبة لاتعرف الشراهة . فاننا لانستطيع أن ننال من المحبة أكثر من حاجتنا كما اننا لانستطيع أن ننال من الصحة أكثر مما نحن في حاجة اليه . وعند مانسمع الناس يقولون ان فلاناً يحب كثيراً جداً فانما هم لايفهمون مايقولون . لان في وسع الانسان أنْ يفرط في شهواته ، وأن يبالغ في طيشه وغروره وغيرته وحسده وكبريائه . ولكنه لايستطيع أنْ ينال من المحبة أكثر من قسطه .

وكثيراً مانسمع ونقرأ عن خطايا المحبة . ولكن هذه الخطايا التي أوجدتها أوهام الناس لا حقيقة لها البتة . فانه مامن

رجل قط أغوى امرأة لانه أحبها كثيراً كما يقول الناس . ولكن ماقاده الى اغوائها انما هو ان محبته لها لم تكن كاملة . لان من يحب امرأةً لايقودها الى السوء .

أجل ، ان جميع الجرائم التى نشاهدها منتشرة في العالم انما هى نتيجة النقصان والاعتلال في جسم المحبة .

على ان القليلين من الناس يستطيعون أن يبلغوا الى قنة هذا الكمال في المحبة . وقد كان يسوع أول هؤلاء القليلين وقد قال مرة فى المرأة الخاطية ، « ان خطاياها الكثيرة قد غفرت لها ، لانها أحبت كثيراً . والذي يُغفر له قليل يحب قليلا . »

وقد أوضح ان الطريقة الوحيدة للتسلط على الأعداء إنماهى كائنة في محبتنا لهم ،لانه كما ان البغض يثير في الانسان الرغبة في المقاومة ، هكذا المحبة تقتل فيه كل رغبة في الشر .

وفي المحبة قوة فعالة تستطيع أن تعضد جميع الغرائز الاخري وتقودها في اعمالها ، وحيثما حلت المحبة الحقيقية ، فهناك تتوحد جميع رغبات الجسد والفكر وتسير كلها في موكب واحد .

والمحبة هى الطريق الوحيدة المؤديه الى العظمة . بل هى السلم الواحدة التى بواسطتها تستطيع الطبيعة البشرية ان تسمو متعالية الى الالوهية. على ان تصريح يسوع بأن جميع الآداب مبنية على اساس المحبة إنما هو موافق لفكرة النشوء والارتقاء . موافق لنصوص الفلسفة النفسية . موافق للشعور الانسانى ولاختبار جميع ابناء الاحياء.

وإنى لا استطيع ان أجد في أي معلم من معلمي الانسانية معرفة بعيدة القعر مثل هذه المعرفة.

وما أجمل الآيات الخالدة التى نطق بها فيلسوف المسيحية في وصف المحبة قائلا :

« لو كنت أنطق بالسنة الناس والملائكة . ولم تكن فى المحبة . فانما أنا نحاسٌ يطنّ أو صنجٌ يرنّ . ولو كانت لي النبوة ، وكنت أعلم جميع الاسرار والعلم كله ، ولو كان لى الايمان كله، حتى أنقل الجبال ولم تكن في المحبة فلستُ بشيء . ولو بذلتُ جميع أموالى لاطعام المساكين. واسلمت جسدى لأحرق ، ولم تكن فيّ المحبة فلا أنتفع شيئاً . المحبة تتأنّى وترفُق . المحبة لاتحسد ، ولاتتباهى ، ولاتنتفخ ، ولاتأتى

قباحة ، ولا تلتمس ماهو لها ، ولا تحتدُّ ، ولا تظن السوء ، ولا تفرح بالظلم بل تفرح بالحق ، وتحتمل كل شيء ، وتصدق كل شيء ، وترجو كل شيء ، وتصبر على كل شيء . المحبة لا تسقط ابداً . اما النبوات فستُبطل ، والالسنة تزول ، والعلم يبطل . فانا نعلم علماً ناقصاً ، ونتنبأ تنبؤاً ناقصاً فمتى جاء الكامل يُبطل الناقص . انى لما كنت طفلاً كنتُ انطق كالطفل وأعقل كالطفل وافكر كالطفل . فلما صرتُ رجلا ابطلت ماهو للطفل . لانا الآن ننظر في مرآة على سبيل اللغز . اما حينئذ فوجهاً الى وجه . إنى أعلم الآن علما ناقصاً . اما حينئذ فسأعلم كما عُلمت . والذى يثبت الآن هو الايمان والرجاء والمحبة . هذه الثلاثة وأعظمهن المحبة ».

الوهم في السلامة

« ابن بيتك في جانب بركان »

نيتشي

اكثر الناس يعتقدون بأن المسيحية انما جاءت إلى العالم لكي تؤكد لنا خلاصنا من خطايانا، أو بعبارة أخرى لكي تحافظ على سلامتنا .

وهذا الاعتقاد هو نتيجة للفرض بأن الرغبة في السلامة هي أعظم رغبات الجنس البشري. وكل هذا الفرض ليس بالحقيقة سوى محض وهم والخداع. لانه لاينشد السلامة سوى ذوى العقول الدنيئة من الجبناء وأما ذوو العقول الصحيحة والاجسام الصحيحة فهم يرغبون في أن يعيشوا في هذا العالم ممتلئين من الهمة والجراءة والحياة .

وليس في استطاعة انسان أن يعيش في هذا العالم حياة تستحق الاعتبار بدون خطر ومغامرة . فالخطر هو أعظم الاصدقاء المخلصين في محبة النفس .

بل انما الخطر والحياة شقيقتان توأمان لا تفارق واحدتهما

الاخرى قيد شعرة . لان كل كائن حى هو تحت الخطر سحابة حياته، وما من شيء مستريح في الحياة رافل في أمن وسلامة سوى الاموات والكائنات الغير الحية . لان الحياة نفسها قوة تجاهد أبداً ضد القوات المعادية لها وتبذل كل ما فيها من العزم للتغلب على هذه القوات التى تريد أن تفترسها . ولولا هذه القوات المعادية للحياة لما كان للحياة من غاية تسير اليها أو عمل تقوم به .

على أن الرأى الغالب في العالم القائل بالذهاب الى جنان نتمتع فيها بالسلامة والنجاة من جميع الاخطار قلما يؤثر في عقيدتى . لانه اذا جردت الحياة من الميل الى الخطأ وفعل الشر فان ذلك يؤدي الي تخنيث النفس واضعافها . لان أعظم قوة عاملة على تهذيب الانسان هي ميله لفعل الشر إذ أي فضل للانسان الذى يفعل الخير لانه لا يقدر أن يفعل شراً البتة ؟

وقد عارض يسوع باقواله واعماله العقيدة المقررة في السعى وراء السلامة من الاخطار . فاوصانا أن لا نجمع الثروة ونخزنها في خزائننا على الارض لكي نحافظ بها على سلامتنا من الفقر . وأمرنا ألا نهتم بالغد، وأن نعيش مغامرين معرضين

الاخطار وانه لمن الغريب أن نجد في تعاليم ألد أعداء يسوع — نيتشى — مثل هذا التعليم الجميل

فقد كان الفيلسوف الالمانى مجنونا بحكم جميع المؤرخين ولكن المجانين كثيرا ما يأتون بحكم قلما تبلغ اليها افهام الاصحاء العاقلين .

وكان نيتشي حكيما بالغ الحكمة عند ماطلب الى الناس أن يعيشوا تحت الخطر بقوله . « ابن بيتك في جانب بركان »

أجل . ان مانسميه بالسلامة أو الامن من الاخطار وهم لا حقيقة دونه .

فانه لا فرق اينما وضعت أموالك في هذا المصرف أم في تلك الشركة الكبيرة ، فانك لن تستطيع أن تكون واثقا بأن مالك لن يتخذ له أجنحة ويطير الى حيث لا يرجع .

وانك مهما بالغت في العناية بصحتك وأفرطت في الحمية والوقاية فانك لاتستطيع بتة أن تثق بأنك ستحي الى الغد .

لانك حيثما وجدت الحياة تجد شقيقتها الوحيدة التى هى الخطر .

فان الناس الآمنين من الاخطار في مدينتك هم أولئك

المتكئون في المقابر تحرسهم الحجارة الثقيلة الموضوعة على صدورهم .

لان الحياة تشبه ركب الدراجة - فانك لا تستطيع أن تحافظ على سلامتك من السقوط متى ركبتها الا اذا واظبت على المسير . ولكنك متى وقفت وجب عليك أن تنزل عنها والا سقطت الي الارض

فلماذا لا نتخذ هذه العقيدة شريعة مقررة في الطبيعة التى من الجنون أن نهزأ بها وبأحكامها ؟ فانها تنقذنا من خيباتنا العديدة .

لأن السعادة الحقيقية فى الحياة انما هى السعادة التى تنالها في عملك يوماً فيوماً . وأما السعادة التى تحلم بأنك ستنالها يوماً ما في المستقبل البعيد فهي اشبه بالسحابة التى تبدو لك جميلة بهية عند غروب الشمس لانها تكون بعيدة عنك ، واذا بلغت اليها اتضح لك انها ليست سوى ضبابة مظلمة قاتمة .

جميلٌ أن يكون لك في حياتك محجة تسير اليها ، ولكن يجب أن تعلم ان الفرح العظيم الذي تناله من هذه

المحجة انما يأتى عن طريق سيرك اليها وليس من بلوغك اليها وقد قال روبرت لويس ستيفنسون ، ان البركة الحقيقية التى يتمتع بها المسافرون من الناس ، « ليست في الوصول بل فى السفر . »

وفي الدين نفسه قد أسأنا فهم « الخلاص » ، ولم نعرف كيف نستثمره .

فقد خيل الينا ان بركة الحياة انما تتم لنا بالانفلات من الحياة الى حياة غيرها بعد القبر . ولكن بركة الحياة يجب أن تكون كائنة فيها . والخلاص ، عوضاً عن أن يكون قوة تنقذنا من العالم يجب أن يكون قوة ترفع نفوسنا الى أسمى درجات الكمال حيث نحي حياة تفيض غبطة وبركة .

وقد قذف بنا الدهر الى هذا الوجود لكي نعمل باليوم وليس بالمقاطعة . والدهر لا يدفع الأجرة لفعلته الا يوماً فيوماً ولذلك لا نقبض أجرتنا عند انتهاء العمل المعين الذى نعمله ، بل ننال أجرة كل يوم بيومه ونحن مكبون على عملنا ، اللهم اذا قبلنا بها شاكرين .

ولذلك كان أوفر الناس سعادة أولئك الذين يأكلون

المنّ الضرورى لحياتهم كل يوم بيومه ، ولا يخزنونه في أهرائهم

فكل مايحتاج اليه الانسان في حياته اليومية قليل من المحبة ، وقليل من العمل ، وقليل من اللعب ، وقليل من النوم . واذا قدرنا أن نصبغ هذا القليل بألوان قوس قزح الامل ، وأصباغ الخيال البعيد ، وتأملات الحكمة حينئذ نجد الحياة ذات قيمة عظيمة فنحيا بها .

فلِم الانتظار ؟ ولم التأجيل في الحياة ؟

فليس هذا بالوعظ السقيم الذي يجدر به أن يُطرح في زاوية النسيان من فكر الانسان ، بل هو الطريقة الوحيدة لاستثمار المباديء النافعة فى الحياة .

وان الارض التي نسير عليها جميعنا ليست قائمة على أعمدة صلدة ثابتة بل هي تدور كالفقاعة المتموجة في الفضاء .

والوجود بأسره متواز فى دقة الشعرة ، ومامن شيء ثابت آمن فيه ، بل كل شيء في فيضان وغليان .

وأما الشيء الوحيد الثابت على حال واحدة فهو القوة العاملة على تغيير الكائنات من حال الى حال . فان النمو هو شريعة الحياة الواحدة ، والذين يعرفون كيف يتمتعون بسعادة

الحالة التي يكونون فيها في أدوار تطوراتهم هم الذين يأخذون من الحياة أفضل ما فيها . لذلك فليلعب الولد كولد ، وليترنم الشاب لقوته ، وليفرح الشيخ بمسرات شيخوخته المطمئنة . وليعش كل منا في هذا العالم ، كيفما وأينما وضعته الحياة ، فرحاً مُغتبطاً ، وليؤمن بالحياة من أعماق قلبه ، وليحب الحياة حبه لربه .

واننا واثقون بأن أفضل تأكيد لدوام الوجود بعد الموت انما يتمّ لنا اذا عرفنا كيف نعيش هذه المدة المعينة لنا قبل الموت كما ينبغي ويليق .

وشد ما يخطىء الذين يستعملون كلمة «خلاص» بمعنى الانقاذ من عذاب نار الجحيم بعد الموت . لأن هذه العقيدة ليست من المسيحية بشيء بل هي فكرة وثنية قديمة مأخوذة عن خرافات اليونان والمصريين وعقائدهم السرية في العالم الثاني .

فان يسوع إنما أراد أن يخلف في شيء واحد ، وهو التعاسة . وقد فعل ذلك باعطائه ايانا من حكمته ما نستطيع به أن ندرك القوات التي تعمل على تعاستنا وشقائنا ونزيلها . وايضاحه لنا قوة المحبة . التي هي معين السعادة والطمأنينة بين الناس .

وبعبارة أخرى ، اننا كنا نستطيع أن ندرك حقيقة حياة يسوع ادراكا أفضل وأكمل لو كنا فكرنا أنه قد جاء الى العالم لكي يعطينا الفرح والسعادة لا الكآبة والسلامة .

فقد قال بفمه الطاهر : كلمتكم بهذا ليستقر فرحي فيكم ويكون فرحكم كاملا .

وفي موضع آخر نراه يسمى الروح القدس « بالمعزي »

وان القوة الحقيقية المجددة التي كانت تعمل في قلوب المسيحيين الاولين ناشرة البشارة في جميع انحاء العالم القديم انما هي قوة الفرح والطمأنينة . فكانوا بفرحهم وجراءتهم وثباتهم أمام أعدائهم ومضطهديهم وحياتهم الممتلئة من الرصانة والجمال يكللون باكاليل النجاح في أعمالهم ، وبذلك جميعه حملوا العالم على اعتناق ديانتهم وغيروا طبائع الناس اجمعين

أما زخارفهم ، واحتفالاتهم ، وعطاياهم ، وما حصلوا عليه من معاضدة الحكومات ، وما جمعوه من جنود الصليب المحاربين . وحيلهم وشعوذاتهم السرية ، واضطهاداتهم المتعددة المرعبة ، وخطباؤهم وعلماء الكلام فيهم ، ورجال المنطق والعلماء باسرهم — فقد كانوا للمسيحية كتخشيبة البنائين للبناية الجديدة

وكعهد الايراق الذاهب للشجرة، وكالجلية، والبلبلة، والنجارة والخشارة، والنفاية، وقرضات النار للمعمل العظيم ·

لان القوة العظيمة السامية، القوة الصامتة العاملة فى المسيحية انما كانت وما برحت، وستبقى الى الابد كائنة في حكمة يسوع ومحبته، وهي القوة الوحيدة التى بدلت مبادىء الانسانية وسكبت من معينها النقى مياه القوة الحقيقية في قلوب ابناء الارض

الوهم

في تفوق الكسل على العمل

« إن جميع امجاد الارض مبنيـة على الكسل ، ولكن يسوع قد علم بمجد العمل »

من غريب الامور أن تغلب على فكر العالم العقيـدة القائلة بأن الذين يشتغلون في العالم هم أحقر من الذين لاعمل لهم يعملونه . لان جميع أمجاد الارض قد قامت على الكسل والخمول. فقد كان جميع ملوكها واسيادها الاريستوقراطيين كسالى خاملين . ولا تزال هـذه الفكرة سائدة في أوروبا اليوم . فان اكثر الاشراف والاغنيـاء ينظرون الى العمل والاتجار نظرة كره واحتقار . وعنـدهم أن شرف الانسان يقاس ببعد المسافة بينه وبين الجد الاول من سلالة أسلافه الذي كان يحصل على خبزه بعرق وجهه

وفي اكثر انحاء العالم اليوم ضرب من الجنون المطبق . يعتقد اكثر الناس بأنه الحقيقة بعينها . وخلاصته : أن جميع

الاعمال فى العالم يجب ان تقوم على اكتاف المساكين من ابناء الانسان الذين لا يعرفون كيف يهربون من العمل . وان الذين ليس لهم عمل يعملونه في الحياة بل يعيشون من أموالهم الموروثة عن غيرهم ، يجب أن ينظر اليهم العالم نظرته الى أسياد جبلتهم تختلف عن جبلة الفقراء والعمال ، فهم أبناء الدم الازرق ، ومنهم الحكام والاسياد . هذا هو الاساس الرث البالى الذى تبنى عليه اكثر صروح المدنية الاوربية الحديثة . وانى لا أذكره لكي أزعزع أركانه ، بل انما أشير اليه لكي أبسط لكل ذى عينين ضرره وشره ، حتى اذا مررت به يوما ما تستطيع أن تميزه لبشاعته وكراهة منظره

وان اكثر الناس في جميع انحاء العالم ينظرون الى العمل نظرتهم الى مصيبة أو ضربة تحل بهم . فهو واجب لا بد من قضائه والفراغ منه بسرعة لكى نستطيع بعدئذ ان نلعب ونستريح ونرقص فرحين بتخلصنا منه . لاننا نعتقد بان العمل لعنة سكبتها الازمنة على رؤوسنا

ولكن يسوع قال ، « أبى حتي الآن يعمل ، وأنا أعمل » ، ومع انى لا أريد أن اكثر من الشواهد الكتابية في

هذا الموضوع فان في هذه الآية التي تفوه بها يسوع دليل كاف لنقض الرأي القائل بأن العمل لعنـــة من الله لآدم وحواء عند ما طردهما من الفردوس

على ان رأينا الناقص في العمل إنما هو نتيجة النقص في ادراكنا لكنه الحياة البشرية وجهلنا كيف وجدت، وكيف تتم سعادتها وطمأنينتها .

وما لا جدال فيه ، أن كل كائن حي من الانسان الى أدنى انواع الحيوان قد رتبت له الطبيعة عمـلا يتمه بفرح وسرور ، فللانسان، كما للحيوان ، لذة فائقة في القيام الطبيعي برغبات غرائزه وشهيّاته ، لان العالم قد شدت أوتار قيثارته على الفرح ، والفرح مالىء حياة جميع الاحـياء وخصوصاً بالقيام بوظائفها فاذا تعلم كلب الصيد على الركض فانه لاتتم سعادته ما لم يركض واذا تعود القرد الحياة بين الاشجار فانه لا يفرح ما لم يقفز من فرع الى فرع ويعلق ذنبـه ببعض الاغصان العاليـة . وبعبارة أخرى ، فان كل كائن حي ، إذا أراد أن يكون سعيداً ، يجب أن يتم العمل الذى رُسم له

أما الانسان فقد أقيم في الارض لكي يصلحها ويسير

بها في معارج التقدم والفلاح ، ويحول الفوضى التي فيها الى نظام وسلام، ويحصل على غذائه ومسكنه وكسائه من خيراتها، ويُروض ما فيها من القوات الطبيعيــة ويخضعها لارادته ويضطرها فتترك له مكاناً كافياً لرياضة فكره

وما السعداء في العالم سوى الذين يتاح لهم ان يقوموا بهذا الواجب المقدس حق القيام، والقاعدة الغالبة في الارض ان العمال هم السعداء القانعون بما قسم لهم . ولكن الاغنياء الكسالى الخاملين هم الذين يثيرون نيران الشر والاضطراب في العالم . ولم يرَ العالم أدباً أو فضيلة أو ديناً انتشر إلا بين العمال الفقراء . فالمسيحية وجميع فروعها المتعـددة قد بدأت بين طبقات العمال . وقلما نجـد في صفحات التاريخ ان كبيراً أو وجيهاً من الواهمين في التفوق على غيرهم من أبناء الانسان قد اختلج قلبه بعاطفة خير أو فضيلة قط . فان السعادة ثمرة من ثمار العمل اليانعة . فالعامل العادى من الناس تتم سعادته اذا كان يشتغل ويحصل على خبزه الجوهري يوماً فيوماً . ولذلك علمنــا يسوع ألاّ نضيع نفوسنا الخالدة في جمع المال وحشد الثروة الزائلة . ولا يعنى ذلك ان الفقر لذيذ مرغوب

فيه بذاته بل ان الكسل قتال يطعن صاحبه فى كبد حياته

وعند ما قال يسوع ، انه اسهل على الجمل ان يدخل في ثقب الابرة من ان غنياً يدخل ملكوت السماء ، فانه لم يقصد ان الغنى بذاته شر للانسان، بل ان الانسان يكون غبياً جاهلا إذا كان يعتقد بأن سعادته تتم له في مجرد الحصول على الغنى للتلذذ به في الكسل والخمول . لان الانسان الذي يقضى عمره في جمع المادة الميتة في الحياة يخسر التمتع بسعادة الحياة الحقيقية

فالحياة السعيدة انما هى في العمل اليومي عن رضي وقناعة لاجل المعيشة الصالحة ، واذا لم نتعلم كيف نكون سعداء في عملنا ،وكيف ننال سعادتنا الحقيقية من عملنا، فاننا سنظل نتعثر باذيال عبوديتنا للمادة خابطين خبط عشواء في دياجير الاوهام .

لاجل هذا أعلن يسوع ذاته لعامة الشعب ، وقضى حياته بين الفقراء الذين كانوا يشتغلون للحصول على الخبز الجوهرى لحياتهم . ولم يزعج ذاته قط للعمل مع الطبقات العليا الكسولة الخاملة . لان غايته الوحيدة من تعاليمه إنما كانت منحصرة في أن يوضح للعالم كيف يكفون ذواتهم على ضروريات الوجود ، وكيف يعيشون حياة رضية ، جميلة ،

قنوعة بما تحصل عليه كل يوم بيومه. فلا أثر في تعاليمه لعقائد الطمع والجشع والعبادات السرية التي لا يمارسها بين الناس إلا كل خامل لكع

وانه لمن عجيب الغرائب أن يحتقر العالم العمل الذى هو حياته . فقد شاهدت غير واحدة من صور الجحيم حيثما مُثل فيها مسكن الرجيم ممتلئاً من مداخن المعامل ودواليب الآلات الصناعية العديدة . ولا أذكر اني رأيت في حياتي صورة من صور السماء تمثل ملاكا أو قديساً له عمل يعمله سوي الكسل والبطالة . ولذلك فانى أعتقد بأن كل وجود ، سواء في هذه الحياة أم في الحياة الثانية ، لا تعمل فيه النفس عملا صالحاً للمحيط الذي تعيش فيه ولاحياء قواها وانتعاشها انما هو وجود سمجٌ ممقوت .

أما رأيي في السماء فهو رأي صموئيل جُونسون . فانه فيما كان يتنزه في بستانه مع صديقه بوسوال ذات ليلة وهما يتأملان في السماوات المرصعة بالنجوم ، سأله بوسوال ، ماذا يعتقد بالحياة المستقبلة . فأجابه على الفور قائلا ، ان الشرائع التي تسود علينا فى هذه الحياة ستظل سائدة علينا في الحياة

الثانية . ولذلك فانني أعتقد بأنه اذا كان لى أن أحيا حياة ثانية بعد هذه الارض ، فانني لن أكون سعيداً هنالك مالم يكن لي عمل موافق لطبيعتي أعمله مُذلِّلاً العقبات التى تقوم في سبيلى وعاملا على درس الشرائع وحلّ القضايا التى هنالك التى تستلذها الحياة البصيرة المفكرة . وبعبارة أخرى ، فانني لاأحب أن أذهب الى السماء مالم أجد لى عملا فيها .

وقد قال روبرت لويس ستيفنسون في هذا الموضوع ماخلاصته : انه مع شدة اخلاصه في محبته لامرأته ، والمرارة الشديدة التى تتسبب له اذا خطفها الموت من بين يديه ، فانه مع ذلك يستطيع أن يتصور بامكانية الوجود والمثابرة على عمله بدونها . ولكنه لايستطيع أن يفكر في أي نوع من دوام البقاء الذى يفصله عن عمله .

وخلاصة ماتقدم ان الناس وجدوا لكي يكونوا سعداء في حياتهم ، وفي عملهم . وان أفضل ضمان للمستقبل (سواء كان هذا المستقبل غداً أم بعدالموت ، فهو محجوب عنا أبداً) انما هو في الحياةالسعيدة ، الحياةالجريئة ، الحياةالمدركة اليوم وعلى هذه الارض .

الوهم

في منفعة الانفراد في العمل

« ان ملذات الحياة لا تركض ركضا متوازيا في طبقة واحدة من الناس ، – بل هي تركض ركضا عموديا في جميع الطبقات »

(حنة أدمس)

ومن الاوهام التي لطخت الفكر الانساني الوهم في ان الانفراد في العمل نافع ويجب التقيُّد برغباته .

ولذلك نرى البيوت التجارية تعلن بأحرف كبيرة أن لديها كمية كبيرة من الاحذية والاقمصة ، وأغطية الاسرّة وساعات اليد النادرة المثال . وهذا الاعلان كثيراً ما يؤثر على المؤمنين بأن كل شيء تعلو قيمته كلما قل عدد الذين يستعملونه ومع ان حجرَ الماس جميلٌ بذاته ، فان اللذة التي ينالها صاحبه لا تتوقف على جماله بل على ان الذين يستطيعون أن يقتنوه قليلون جداً بين الناس . والرجل الغنى لا يبنى قصره لمجرد محبته للجمال والراحه فحسبُ ، بل لكي يظهر انه يقطن في

بيت قل بين الناس من يستطيع أن يبنى مثله في المحيط الذي يعيش فيه. وفى المسارح العمومية نرى الناس يفضلون أن يجلسوا في المقاعد الخاصة الغالية الاثمان القائمة في جوانب المسارح فلا ينظرون إلا جانباً من دكة المسرح حيث يجرى التمثيل ولا يقعدون في صدر القاعة مع بقية الناس بحيث ينظرون كل شيء .

واننا نرى الرغبة فى الانفراد في العمل والاثرة تتحكم في جميع طبقات الناس وفي سائر مراتب الحياة على السواء . فهنالك المُتَحَذلِق في الآداب ، الذى لا يقرأ سوى الكتب والمجلات القليلة الانتشار الغالية الأثمان ، ويستلذ البذل في سبيلها لمجرد معرفته ان أكثر الناس لا يقدرون على الحصول عليها وهنالك المتنطّس في الدين الذي يفاخر متعجرفاً في ان طائفته تضمّ خيرة الناس وان الذين يفهمون مبادئها قليلون .

بل ان أكثر الناس يعتقدون بأن التفوق انما هو الانزواء عن الناس والابتعاد عن عمل ما يقومون به من الاعمال .

وقد قالت حنة ادمس مرة ، « ان ملذات الحياة لا تركض ركضاً متوازياً فى طبقة واحدة من الناس ، — بل هي تركض ركضاً عمودياً في جميع الطبقات . » وكانما أرادت أن تقول ،

ان أفراح الحياة وملذاتها بسيطة وعامة لجميع طبقات الناس ، وهـذه الملذات لاتنحصر في الاكل ، والشرب ، والحب واللعب فحسب ، بل هى قائمة في الملذات المتولدة عن الافتكار والتأمل ورياضة الروح البشرية .

وان أعظم مافى الروح المسيحية انها بعيدة عن هذه العقيدة، لان يسوع يدعو جميع الناس الى ملكوته على السواء .

وكم فى العالم من النُظُم والآراء والمبادىء والجمعيات المختصة بعضها بالبريطانيين ، وبعضها بالفرنساويين ، وبعضها بأبناء الكليات،أو بهذه الطبقة أو تلك الجمعية من الناس،ولكن ميزة انجيل يسوع التى ترفعه عن جميع نُظُم العالم وشرائعه انما هى انه معدٌ لكل مخلوق انسانى مولود من امرأة على الارض.

فان الديانة التى علم بها يسوع هي ديانة عامة جامعة لسائر الامم والشعوب والاجناس والالوان ، والطبقات والجمعيات ففيها لكل انسان يونانياً كان أم يهودياً ، أميركياً أم صينياً ماهو في أشد الحاجة اليه للبلوغ الى سعادته وكمال حياته .ولذلك فهى المبدأ الوحيد فى العالم الذى تستطيع أجزاء الانسانية المتباعدة المتفرقة أن تتخذه أساساً لوحدتها وتأليف جامعتها .

الوهم فى أن الوثنية حرية

« قد بطلت الوثنية لان العالم سئمها ومل منها » .

قد اعتاد ذوو العقول غير المختمرة بخمرة الروح المحيية الاعتقاد بأن لهم في الوثنيه حرية لأنفسهم

فان أمثال هؤلاء بحياتهم بين الجماعات المسيحية لم يستلفت أنظارهم بنوع خاص سوى الحدود والقيود التى أوجدتها الكنائس المختلفة لتقيد بها أبناءها

وقد أقامت الكنائس هذه الحدود لاجل التعليم والتهذيب ، وهى نافعة في كل موقف من المواقف التى تدعو الى التأدب والحضارة . غير انها في المحيط البعيد عن الحياة الروحية لا تولد سوى التمرد والعصيان

على ان كل دين من الاديان المنظمة المرتبطة بوحدة فى شرائعها كثيراً ما تولد قوانينه ونظمه انفجاراً في العقول الضيقة يقودها الى الكفر والالحاد

فهنالك الكافر الخارج عن الكنيسة وهو عدو لدود لروح التساهل في الكنيسة

وهنالك فريق من عامة الناس الذين يفصلون ذواتهم عن الحياة الروحية لما يجدونه من الصعوبة فى الدساتير الروحية وهم بشر مثلنا ، لهم ما لنا من الشهية الروحية التى هى غريزة انسانية عامة. ولاجل اشباع هذه الشهيةالروحية يهيم البعض منهم على وجوههم في حقول الاديان العديدة ملتقطين من غرائبها ونوادرها ما يوافق طبائعهم ويلائم غرائزهم

وهنالك فريق آخر من المعرضين عن الدين المتعمقين من درس آداب الكلاسيك (١) السابقة للعهـد المسيحى ، أولئك الذين خبروا اللذة الكائنة فى التهذيب ، وهم يرتدّون بعيون متعطشة لارواء ظمأ روحانيتهم من ينابيع الوثنية

وقد أحسن وُودْ وُرث بايضاح هذه العاطفة بقوله:

« أيها الالهالعظيم ! أود لو أكون وثنياً أرضع من حليب عقيدة رثة بالية .

« فيتاح لى ، وأنا واقف في غابة هذه الحياة الجميلة
« أن أمتع عينى بنظرات تقلل من يأسى وبؤسى

---

(١) يقصد بهـا آداب أهل العلم من اليونان والرومان واضعى أساس العلوم والفنون والذين يرجع اليهم في المشكلات .المعرب

« فأرى بروتاوس(١) ناهضاً من البحر
وأسمع الشيخ(٢) تريتون ينفخ في بوقه العظمى »

ولكن المصيبة الكبرى أن هذا الحنين الذى يدفع بهؤلاء الناشزين عن المسيحية إنما هو حنين مؤثر مفجع ، لان الموضوع الذي يجذبون اليه لا يحتوى على اكثر مما في التفاحة الصناعية من الغذاء ، أو ما فى الوردة المزورة من العطر

لأن الوثنية لم تكن بالحقيقة سوى قوة وهمية عظيمة تأخذ بجميع مخاوف الانسان . ولذلك قال الرومان ، « ان الخوف يصنع الالهة »

---

(١) بروتاوس Proteos : هو أحد الهة البحر ، وهو ابن أوقيانوس من تاسيس امرأته ، أو على رأي بعض علماء الميثولوجيا ، هو ابن نبتون (بوسيدون) وفنيس . وقد نال موهبة النبوة من نبتون . ولكنه كثيرا ما كان يرفض أن يجيب الراغبين في استشارته عن أسئلتهم ويوقعهم في الحيرة بظهوره أمامهم باشكال مختلفة — المعرب

(٢) تريتون الشيخ ، Triton : هو أحد الهة البحر أيضاً ، وهو ابن نبتون وأمفيتريت . وقد كان شديد القوة ، يهدىء حدة البحر وشدة العواصف كلما خطر له . وكان يعيش مع أبيه وأمه فى قصر عظيم من الذهب الخالص قائم فى قعر البحر . وقد ذكر الشعراء المتأخرون كلمة تريتون بصيغة الجمع وهم يعنون بها طائفة من الالهة البحرية الصغيرة . أما المظاهر التي كانت تظهر بها فعديدة مختلفة ، ولكن الغالب في وصفها انها كانت تمثل الهيئة البشرية في القسم الاعلى من جسدها وكان القسم الادنى من جسمها بشكل سمكة . وفى مقدمة ميزاتها فى الفن والشعر انها كانت تحمل بوقاً عظيماً تنفخ فيه لتهدى أمواج البحر الثائرة — المعرب

فعوضا عن أن يخاف الانسان إلهاً واحداً كان القدماء يخافون الوفا من الالهة

وإنما يتميز انتصار الايمان الحديث فى نظره الى الالوهية نظرته الى صديق ودود ، والى جميع المخاوف التى لا تزال سائدة عليه حتى اليوم نظره الى ثياب رثة بالية قد ورثها عن الوثنية القديمة ولم يستطع بعد على تمزيقها وطرحها عنه

فالوثنية كانت تعتقد بأن كل واحد من الهتها سيد أوتوقراطي جبار ظلوم ، وقد كانت الهتها جيوشاً من رجال الشرطة السرية والجنود القساة

فكان الانسان في ذلك العهد المظلم يعتقد بأن تحت كل شجرة من أشجار الاحراج الهاً مستوراً عن الانظار ، وان في كل عليقة الهاً ، وان في كل عاصفة رباً جباراً . فكانت الالهة في كل مكان . وكان كلما مشى في حرج ، أو اقترب من عليقة يخاف أن يدوس على واحد من هذه الالهة فيثور عليه ويقتله . وكان إذا جاء إلى الماء ليستحمّ يُخيل اليه أن هنالك الهاً سيقبض عليه ويخطف روحه

ولكن الفكر الانساني لا يستطيع أن يستقر في محيط

ممتلىء من الخوف، ولذلك لايلبث ان يتغلب عليه أو يخلفه وراءه مع الزمان. لانه ليس في الحياة اكثر ملالاً من الخوف

وقد بطلت الوثنية لان العالم قد سئمها ومل منها . وكما أنه يصعب بل يستحيل على الانسان البالغ الحكيم أن يسلم بصحة حكاية الف ليلة وليلة هكذا يستحيل عليه ان يرتد عن عبادة الاله الواحد إلى الشِرْك والالحاد

الوهم في تقسيم الناس الى طبقات

﴿ ان يسوع هو أول ديموقراطي عظيم في العالم ﴾

« لاشك ان الله قد أحب عامة الناس ،
لانه خلق كثيرين منهم . »
(ابراهيم لينكلن)

انني أعتقد بأن يسوع هو المؤسس الحقيقي للديموقراطية العملية . لان الديموقراطية انما هي الثقة بالشعب ، الثقة بعامة الشعب قاطبة ، ولذلك تتميز عن غيرها من أنواع الحكومات التي تعلم بان العامة من الناس يجب أن يكونوا عبيداً للخاصة ذات الاهلية للتهذيب والحكومة والمدنية .

وأعظم ميزات يسوع عن غيره من المصلحين انه حصر تعليمه بين العامة ولم تكن له علاقة قط بالعلماء ولا بالطبقات العليا من الحكام والاغنياء .

فقد قدم دعوته للعامة ، وكانت العامة تصغى الى تعاليمه بفرح وسرور . وفى جميع أدوار حياته لم يفهم تعاليمه سوى العامة من الناس ، وجميع العقبات التى قامت في سبيل

الانجيل كانت صادرة من الطبقات العليا في الشعب . بل اننا اذا أمعنا النظر فى درس تاريخ الكنيسة المسيحية نرى كلما تقدمت فى القوة والثروة وبالغت في العجب والكبرياء كانت تنحرف عن السراط المستقيم الذي رسمه لها يسوع وتنحدر في أزقة الوثنية القذرة .أما ملح الارض الذى حفظ المسيحية من الفساد فانما هو الرجل العامي المسكين

أجل إن يسوع قد خاطب الفقراء الودعاء الذين كان يمر بهم في الشوارع .وقد أودع رسالته عقولا ساذجة من أصغر عقول أبناء العالم . ولذلك دعاه الاعيان في زمانهم صديق العشارين والخطاة . والمبادىء السامية التى نشرتها بشارته في العالم هى القوة التي طالما قلبت عروش الاستبداد وقضت على امتيازات الطبقات العليا من البشر ،ومكنت الرجل المسكين أن ينهض من شقائه ويتمتع بحقوقه كأحد أبناء الانسانية .

على أن الديمقراطية الحقيقية لا تعني بتة المساواة بين الناس ، لان الناس، لم يخلقوا متساوين بل خلقت لكل منهم مواهبه وعطاياه ، وكل ما في الديمقراطية أنها تساوي بين ظروف الجميع . وانما اعنى بذلك أن الديمقراطية تفسح المجال

لكل انسان أن يكون له مركزه فى السباق الانسانى العام

ففي الديمقراطية تفوّق لقوم على قوم، ولكن اذا جاءت الديمقراطية الحقيقية فحينئذ يصبح التفوق ملكاً لاصحابه الجديرين به ولا يتوقف اذ ذاك على الطبقة أو العائلة أو أمثال ذلك من الامتيازات الكاذبه.

وقد كان يسوع ذا ثقة عظيمة وايمان ثابت في الشعب ويخيل إلىّ أنه ليس من التعصب أن أقول ان الايمان بالشعب والثقة بصلاحهم وحكمتهم، ضروري للمسيحي كالايمان بحكمة الله وصلاحه.

لانه اذ كان اللّه حاضرا في كل مكان فهو لاشك حاضر في الشعب الذى خلقه. ولذلك لا نبعد عن الحقيقة اذا وضعنا الشعب في ذهننا عوضا عن الكائن الاعلى عندما نردد الآية القائلة «فمن يؤمن (به) يخلص، ومن لم يؤمن (به) يُدن» لان أكثر المصائب التى نزلت بالانسانية على ممر العصور انما كانت نتيجة لعدم الايمان بالشعب. ولذلك قد حلت بنا هذه الدينونة العظمى التى تبدو طلائعها في سائر انحاء العالم.

ومن أغرب الغرائب أن يقلب الناس تعاليم المعلم الصالح

ظهرآ لبطن واهمين أنه من الصلاح والفضيلة أن يعتقد الانسان بأن العالم شرير وممتلىء من الشر وصائر الى الهلاك بل كيف نستطيع أن نقبل مثل هذه العقيدة الفاسدة ونحن نقرأ في كل يوم الآية، «هكذا أحب الله العالم حتى أنه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به ؟ »

وهل أغرب من أن نفهم من هذه الكلمات أن الله لايحب سوى بعض أفراد من العالم وهم أعضاء الكنيسة الفلانية دون سائر الامم ؟ أجل ، ان هذه الآية تظهر بأتم وضوح ان الله يحب الانسانية قاطبة . فيحب عبيد افريقيا كما يحب اسياد انكلترا ، ويحب البدو في الصحراء العربية كما يحب الملوك والحكام على عروشهم ، يحب الجميع على السواء

فالحروب قائمة في العالم ، والخصومات سائدة في العراك الصناعي والمزاحمة التجارية ، والشقاق لاينقطع من العائلات البشرية ، والفوضى ضاربة أطنابها في سائر أنحاء العالم ، — وكل ذلك لاننا حتى الآن لانؤمن بعضنا ببعض . وان مصائبنا هذه ليست نتيجة لعدم ايماننا بالله بل هى نتيجة لعدم ايماننا بالانسان . لاجل ذلك اذا سولت لك نفسك أن

تفوقك في الحكمة والفضيلة يقودك الى احتقار عامة الناس الذين يخيل اليك انهم أحقر منك ، فكن على ثقة ياصاح بأنك لفى ضلال مبين .

غير ان العالم وقد مرت به اختبارات نحو ألفي سنة من التعليم الصالح لسعادته لايزال يستغرب الايمان بالانسانية . فان انجيل المسيح يحمل للعالم بين دفتيه حقيقة أزلية ثابتة على ممر الدهور وهي ، ان عامة الشعب المؤلفة الاكثرية الساحقة من الرجال والنساء ، هى أوفر فضيلة وصلاحا من أية طبقة من الطبقات الخاصة التى فصلت ذاتها عن هذه الاكثرية ، بل هي اكثر حكمة من الذين يريدون أن يعلوها ويسودوا عليها ، وهي أكثر شعوراً من جميع الزعماء الذين يقودونها حيثما شاؤا وشاءت رغائبهم .

أجل ، بل ان الرأي الاساسى الذى أنشأ الكنيسة ، كجماعة من الناس تفصل ذاتها عن عامة العالم لتستقل بشؤونها الخاصة وتكون نائبة عن المسيح في جميع تصرفاتها ، انما هو رأى سخيف باطل . لان هنالك جماعة واحدة تستطيع أن تدرك أعماق تعاليم يسوع المسيح وتعمل بها وتلك الجماعة

هى العالم بأسره . لأن الله عز جلاله اذا نظر الى العالم كمجموع واحد يستطيع أن يرى فيه صورته واضحة كما في مرآة نقية ، ولكن في تجزئة الوحدة الانسانية مهما سمت أجزاؤها المنفصلة بعضها عن بعض لاتظهر صورة الحق سبحانه وتعالى إلاّ مقسمة مجزأة .

وخلاصة الدعوة المسيحية لكل منا أن يؤمن باخوته في الانسانية ويثق بهم ، ويحبهم ويساعدهم . ولكن اكثرنا يعتقد حتى الآن بأن هذا لمن رابع المستحيلات . بل ان اكثر الناس ينظرون الى الآية الآمرة بعدم المقاومة وبتقديم الخد الآخر لمن يصفع على الخد الاول ، نظرة سخرية واحتقار . ولكن قل من وقف منا برهة يفكر في الشريعة التى تحلل لنا المقاومة ليرى نتائجها في حياتنا . فاننا مابرحنا منذ ألوف السنين نحارب ونبغض ونعاقب وننهش بعضنا بعضاً ، فماذا كانت النتيجة ؟ فقد بنينا لذواتنا نظاماً اقتصادياً هائلا للاثرة والانانية ، وألفنا جامعة انسانية ومدنية تئن تحت أثقال التعاسة والشقاء وهى لاتجد راحة لذاتها في كل مقتنياتها وقد سعى كل منا الى سعادته خارج ذاته فكان بذلك أشبه

بمن يحفر قبره بيده ، وكل ذلك لاننا تمردنا على تعاليم الناصري الصالح .

ورب قائل يقول ، ان المسيحية قد كانت في جميع أطوارها خيبة وفشلا لاصحابها ، ولكن لمثل هذا نقول مع المستر تشاسترتون ، ان المسيحية لم تُوضَع مبادئها في بوتقة الاختبار بعد ليجرأ أحد على الحكم عليها . ولكن اذا كان العالم بأسره ، أو أي قسم من أقسامه ، يجرّب ممارسة تعاليم يسوع المسيح ومبادئه ، فحينئذ يحق لهم ان يحكموا عليها من نتائجها ، ولكن طالما نحن نحصر مسيحيتنا بانشاد الترانيم ، وتلاوة الصلوات ، وتطبيق طقوسنا وتقاليدنا على طقوس الوثنيين وتقاليدهم في عبادتهم فانه لا يحق لنا البتة أن نحكم على المبادىء المسيحية .

اجل ، ان يسوع هو مخلص العالم لانه هو مؤسس الديموقراطية الحقيقية . لان الديموقراطية وحدها التى تعلم الناس الايمان الصحيح بعامة الشعب والثقة بهم ستخلص العالم من شقائه ، وتنهض به الى اوج السعادة والمجد .

أنا مسيحي

لأنني أجد في المسيحية افضل الآمال في الخلود

« ان يسوع لم يعمل على اثبات صحة الخلود ، بل آمن به كحقيقة ثابتة راسخة »

ان أصدق البينات على وجود الحياة بعد القبر هو في عقيدتي كائن في غرائزنا . فان في الانسان كرهاً فطرياً لاية عقيدة أو رأي يريد أن يقنعه بأنه يموت كما يموت الكلب والحمار . وفي كل أمة وكل نوع من الناس ايمان عميق بان الاموات سيحيون في عالم آخر . ومع اننا قاصرو المعرفة في أمر الحياة بعد الموت فان الايمان بها يظل ثابتا في قلوبنا وان جهلنا حقيقتها . فان الناس في هذا العصر يذهبون مع أمواتهم الى القبور كما ذهب الملايين من قبلهم في جمع الدهور ، والآمال تملأ قلوبهم في أن هذا القبر لن يكون فاصلا أبدياً لأحبائهم .

فالخالق سبحانه وتعالى يستحيل في مذهبي أن يكون مع حكمته الالهية قد خلق هذا الانسان وزينه بالعقل والحكمة

لكى يقذف به بعد سنين معدودة في ظلمة الأرض طعاما للدود والحشرات .

انني لا أعرف ان هنالك حياة ثانية في المستقبل ، لان هذه المعرفة فوق ما يبلغ اليه ادراكي ، ولكنني أؤمن بها من أعماق قلبي ، وانما أعني بهذا الايمان انني اتصرف في هذه الحياة « كما لو » كان هنالك حياة ثانية بالحقيقة. وقد وجدت بالاختبار انني عند ما أضع هذا الايمان نصب عيني في سائر أنواع تصرفاتي يعود ذلك عليّ وعلى العالم الذي أعيش فيه بخير النتائج، لانه يهذب سيرتي ويقودني في مناهج الخير والفضيلة أبداً . وأما الذين يفكرون ويعملون « كما لو »كانت هذه الحياة كل ما في الوجود فانما يؤلفون الاكثرية المطلقة من الفاسدين الزائغين عن طريق الحق الذين لا أود أن تكون لي أية شركة معهم. وبعبارة وجيزة أقول، ان الايمان بالخلود فعال في حياة العالم ومنتج لثمار الفضيلة والصلاح الكامل ، وان عدم الايمان بالخلود يدهور الحياة الى أدنى دركات الظلمة

فأنا مسيحي لأنني اعتقد بأن كل من يعمل بتعاليم المسيح تثمر فيه مبادئه ثماراً شهية تجعل حياته خالدة . والحياة الخالدة

التى أشار اليها يسوع في تعاليمه هى في عقيدتى متوقفة على نوع الحياه لا على مدة بقائها .

اما ثمار الاخلاق التى تأتى بها المبادىء المسيحية في حياة الانسان ، فانها خالدة باقية ترمي الى غاية بعيدة ، لا تتفق مع هذه الحياة الترابية المحدودة . لانه اذا كانت هذه الحياة كل شيء ، فانه يصعب علينا ان ندرك ما هي الاسباب التى تدفع الجندى الى التضحية بذاته لاجل بلاده ، وتحمل الام على تضحية ذاتها فداء عن ابنها ، وترغم كل إنسان ان يحتمل الاهانة والشقاء ولا يلطخ شرفه بلطخة العار، وان يظل أمينا ولو كانت امانته تؤلمه وتقوده الى الخسران . بل انه يستحيل علينا أن ندرك حقانية الصلاح ، والشهامة ، ونبالة النفس ، اذا لم يكن للحياة نهاية في عالم آخر . بل من يستطيع إذ ذاك ان يجيب بكلمة عن منطق الخليع الفاسد الذى يترنم في صباحه ومسائه قائلا ، « فلنأكل ولنشرب ولنفرح لاننا غداً سنموت . »[١]

أما الايمان بالخلود فانه بطريقة خفية ينمي مواهب النفس

---

(١) أنظر المحاضرة في آخر الكتاب

وينعشها ويغذيها، واما عدم الايمان بالحياة الثانية فانه يسقي زهور النشاط والهمة والرغبة في عمل الخير بماء ممزوج بالملح والزفت.

على ان يسوع لم يعلم على اثبات صحة الخلود كقضية مطروحة للبحث، بل آمن به كحقيقة ثابتة راسخة. فقد علم، وعاش، وعمل «كما لو» كان سيحيي الى الابد. وكل من يتخذ تعاليمه دستوراً لحياته يعمل ويؤمن مثله، وتصبح حياته أجمل وأجدر بالعناية من حياة غير المؤمنين بما لا قياس له

وليس في العالم عقيدة تعظم الانسانية وترفع قدرها مثل عقيدة الخلود، العقيدة الوحيدة في الحياة الانسانية التي تمنع الناس عن التصرف كالبهائم الدنيئة وتغذي جذور التهذيب بغذائها المحي، وتغرس في العائلة أشجار المحبة والسلام والجمال فهي الماسة الفريدة في جيد النفس الانسانية

اني جزء صغير من الطبيعة، فالطبيعة قد كونتني ومزجت نارها العجيبة في جبلتي. ولذلك فان نفسي تستريح وتطمئن الى الطبيعة وما فيها من الحقائق النيرة اكثر مما الى معارفي المحدودة والنتائج المغلوطة التي استخرجها بقوة منطقي. واني اعتقد بان الطبيعة اسم مستعار لحقيقة الكائن الازلي الذي

هو الهنا أجمعين . وأفضل وجه استطيع ان أرى فيه صورة الله الخالق انما هو وجه يسوع المسيح . فقد اقترب يسوع من الله الى ادنى ماأودّ ان اقترب منه ويقترب منه تعالى كل بشرى على الارض . وقد قيل انه ما من انسان رأى وجه الله في زمن من الازمان قط ، ولن يستطيع احد ان يرى وجهه تعالى في اى زمن من الازمان المقبلة ، كما اننا لا نستطيع ان نرى النفس البشرية الا بواسطة الجسد الذى تحل فيه . لذلك فان آمالي في السماء متعلقة كلها بيسوع المسيح، الصورة المنظورة التى بغير واسطتها لا نستطيع ان نرى الله .

ومتى فارقت هذه الحياة ووقفت وجهاً لوجه أمام القاضي العادل فانني افرح واطمئن اذ ذاك انى قد وقفت حياتي هذه على اطاعة افضل زعيم عرفته صالحا ليكون وكيلا لله عز وجل . وعند ما أنقل من هذه الحياة المعروفة الى الحياة التى لا اعرف عنها الآن شيئاً فانه ما من فكر سيكون عزيزاً على قلبى معزياً لوحدتى اكثر من الافتكار بذلك الذى تلفظ بهذه الكلمات الالهية العجيبة الفتانة : « انا هو القيامة والحياة . وكل من يؤمن بي لا يموت الى الابد »

المسيحية

أفضل طريق الى الأبدية

« ان جميع ما في آدابنا من الغيرة والحمية مستمد من عقيدتنا فى الابدية . »

إن السبب الرئيسى لاحتقار الحياة ، والشعور بمرارة الوجود ، انما هو نتيجـة لازمة لاهمال الانسان التفكير في العلاقة الكائنة بين حياته على الارض وبين حياته في العالم الثانى .

وليس في الحياة آلم على الانسان من ان يعتقد بانه نوع من الحيوان يعيش ويموت مثله ، ولكنه قد تفرد عنه بشيء من الذكاء والفطنة الروحية وكثيراً مايدعو هذا الوهم الكثيرين من الناس الى اليأس والانتحار .

لان الافتكار في ان الانسان العجيب بعقله وحكمته سيموت كما يموت الكلاب في الاسواق القذرة ، إنما هو مقدمة للنتيجة القائلة ، بان الخالق الذى خلقه على هذا المنوال انما هو مداعب ومازح قاس .

واننا لانستطيع ان نظهر غرابتنا ودهشتنا لكثرة ما في العالم من الاستخفاف الفظ بامور الدنيا . ولكننا ندهش انه لم يوجد أكثر من ذلك عند ما ننظر الى العدد العظيم من الناس الذين يعتقدون بان الموت نهاية كل شيء .

على ان الفكر كلما كان نيراً كان القلب أميناً في خدمته مخلصاً في طاعته ، وكلما كانت الطبيعة حاسّة سامية العاطفة ازدادت ثورتها لمجرد سماعها ان مخلوقاً عجيباً له حكمة الانسان وكماله تكون نهايته ظلمة الموت .

لان الحقيقة التي لامرية فيها ان جميع ما في آدابنا من الغيرة والحمية مستمد من عقيدتنا في الابدية.

فان جميع الاخلاق الشريفة كثيرة على هذه الحياة .

ولكن عقيدتنا في الابدية هي التي تلطف من حدتنا في حالة الغضب ، وتثبت امانتنا في وقت التجربة ، وتؤيد ايماننا واخلاصنا في ايام الاضطهاد .

وفوق ذلك ، بل واعظم من ذلك ، فان الغبطة الجديرة بسمي الانسان ، وكل ما يحصل عليه من الطمأنينة الروحية التي لاتؤثر عليها قوة ما ، وجميع موجبات القناعة اللامعة

كالـكواكب المتلالئة بالنور في حياتنا ، القناعة المشرقة التي لا تنطفيء وتزول كلما هبت بها ريح او ثارت عليها عاصفة. كل ذلك انما هو نتيجة من نتائج عقيدتنا الراسخة في الابدية .

اما الملذات التى نحصل عليها من الاطعمة الفاخرة والتنعمات الجسدية المتعددة والشهرة الرنانة ، والثروات العظيمة ، فانها ملذات محدودة قصيرة الاجل . لان وراءها كلها تتبعثر جميع احلامنا إذ نقرأ هذه العبارة المرعبة المكتوبة بحروف من نار . « كلها صائرة الى الزوال » .

وان الانسان لا يمكن ان يحترم ذاته أو أن يعنى بامورها برغبه ولذة اذا كان يعتقد بان هذا الفصل الترابى هو كل قصته من اولها الى آخرها .

لاننا عاجزون عن ان نفصل هذه الحياة عن الابدية كما اننا لا نستطيع أن نفصل السنة عن قرنها والساعة عن يومها .

وقد طالما أعمل الانسان فكرته في تعليل الاسباب التي تحمل البشر على فعل الشر ، والتمرغ في حمأة الدعارة ، والخلاعة ، والاذية ، والدناءة ، واللؤم والخساسة ، ولـكن السبب الحقيقي ، الينبوع او المصدر الذى تخرج منه جميع انواع

الحطة والسفالة، البالوعة المفتوحة التي تلطخ الجنس البشري باقذارها ، ـ انما هو الوهم الذى يرسف في قيوده القسم الاكبر من العالم الذى يخدع المصدقين به فيخيل اليهم ان العوبة الحياة الانسانية تنتهي في الحال عندما يرخي الموت ستائره ، وبعد ذلك لا يوجد شيء البتة .

على ان خلاصة فلسفة النشوء والارتقاء تظهر لنا بالعكس من ذلك ان الحياة كل الحياة ليست في العهد الطويل الذي قضيناه حتى بلغنا الى حيث نحن اليوم، بل إنما الحياة كل الحياة في العهد الذي لن ينقضى، الذى سيدير وجوهنا الى المستقبل .

وما من عاقل قط يستطيع ان يبحث في هذه الارض ، من غير ان ينظر الى علاقتها بالشمس والكواكب المالئة ارجاء اللانهاية .

وكذلك ما من قوة عاقلة تستطيع ان تفصل الحياة البشرية عن صلتها الخالدة بالابدية .

ماذا اقصد عند ما اقول انا مسيحي

اعتراف ج . ستانلى هول

المستر ج . ستانلى هول من المتفردين الثقات فى علم النفس . وقد قرأت له اعترافه الآتى فاعجبت به الاعجاب كله واردت ان انقله ههنا خدمة للقراء الكرام لانه شديد الانطباق على الموضوع الذى نحن فى صدده ، قال :

« انني كلما فحصت حياتى لأرى اذا كنت قادراً أن أؤدى جواباً حسن القبول عن تصرفاتها ، أجد مالا أكتفي به بتة . فقد كنت أنانياً حينما كان يجب أن أكون جواداً سخياً ، وكنت صغير العقل حينما كان يجب أن أكون شريف النفس همـاما ، وسعيت وراء العقائد الخارجية حينما كان ينبغي أن أتبع عقـائدي الداخلية ، وكثيراً ما كنت أدعى لنفسى الفضائل التى كنت أشد الناس حاجة اليها . بيد أننى قد أحببت الحق وأبغضت الباطل ، وقد أنفقت من مالى وبذلت من ثروتى في السبل الخيرية ، وحاربت بكل قوتى جميع ماحسبته ضلالا أو خطيئة أو شراً ، وبالاجمال فأنا أعتقد باخلاص باني كنت أعنى بمصالح الآخرين أكثر من

مصلحتى الخاصة ، كما يجدر بالمعلم أن يكون . وقد طالما كنت أسعى الى النظر الى الداخل قبل الخارج شأن البسيكولوجي الحكيم . ولذلك فانني أحسب ذاتي تلميذاً لمعلم النفوس العظيم ، وأعتقد بأنني أخ مسيحي لجميع الذين يعيشون فى هذا العالم لاجل المحبة والخدمة وكل من يحب ويخدم هو في عقيدتى عضو حي فى كنيسة المسيح الحية ، ونحن جميعنا اخوة فى المسيح . وانني بكليتي أقف أعماق قلبي ونفسى لهذا المجدد العظيم لنفوس أبناء الانسانية الذي اظهر للافراد والجماعات ، وجميع الامم والشعوب القاطنة على وجه الارض الطريق الوحيدة الواحدة التى بواسطتها يخلصون . »

ج . ستانلى هول ، في الفصل « يسوع المسيح »

فى كتابه « نور علم النفس »

كيف افهم الدين ؟

«ان يسوع جاء الى العالم لكي يعلم الناس كيف يعيشون فيه . ولكنه لم يات ليؤسس ديانة جديدة لذاته .»

يسؤنى ان اوضح بين الآونة والاخرى معنى الكلمات التى استعملها . ولكن اكثرما في العالم من سوء التفاهم إنما هو نتيجة لعدم ايضاح الانسان صراحة مايرمي اليه من كلامه . واطلب الى القارىء الاديب ان يتذكر اننى اذا عرفت كلمة من الكلمات فانا لااقصد بذلك ان هذا هو المعنى الحقيقي لهذه الكلمة ويجب ان يتقيد به كل انسان ، بل انما اقصدان اوضح المعنى الذى افهمه منها بالطريقة التي استعملها بها .

فاذا تكلمت عن ديانة يسوع فانا اتكلم بشك وريبة . لاننى لست واثقاً بأن يسوع كان معلماً دينياً طقسياً ، فان كلمة دين لم تستعمل سوى مرة واحدة فى العهد الجديد . واننا نعرف ، على مقدار مانستطيع ان نعرف ، ان يسوع لم يستعمل هذه الكلمة قط . ولذلك يخيل الى انه كان خبيراً

بالغ المعرفة فى اسرار الحياة اكثر مما كان عالما من علماء الدين. فقد بلغ الى أسمى درجات المعرفة ، وأدرك كنه الشرائع العظيمة التى تدير سبل الحياة في هذا الوجود. على انى اشك كثيراً في انه اراد ان يؤسس ديانة جديدة كما انني اشك في انه رغب في تأليف حزب او طائفة لذاته. وان صح انه تكلم في هذين الموضوعين، فانه تكلم قليلا جداً وبطريقة عرضية. ولذلك اعتقد بانه انما جاء الى العالم لكي يعلم الناس كيف يعيشون في العالم ، وقد نجح فى عمله اكثر من اى معلم سواه .

على انى عند ما استعمل كلمة دين لكي اوضح بها ديانة يسوع فانى لا أستطيع أن أعرّفها بغير ما عرّفتها في كتابى « دين الغد » حيث قلت ، « ان الدين هو تأثير الله الشخصى في حياة الانسان » .

فانى لا أستطيع أن أجد فى الدين أو فى تعاليم يسوع قوة ظاهرة بتأثيرها أقدر أن أتخذها لمنفعة حياتى سوى تأثيرها الشخصى على حياتى. فالتأثير الذى ليسوع المسيح على حياتى هو نفس التأثير الذى تتركه فيَّ أية شخصية كانت من الشخصيات البارزة في التاريخ . فاذا اجتمعت برجل متهذب

أو امرأة شريفة واشبعتُ بأدبهما وشهامتهما فانني أشعر في الحال بتغيير سرى في أعماق خلقي يدفع بي الى التهذيب والشهامة . وهذه ، كما أقدر أن أعبر عن فكري، هي صورة مصغرة جداً لما يحدثه فيّ الاجتماع بيسوع

على أن هذا التأثير الشخصي الذي أحصل عليه لا ينحصر في الاحياء الذين أشاهدهم فقط . فان عمانوئيل كانْت، وداود ملك اسرائيل ، وابرهيم لينكاْن، وألفرد تنسون يؤثرون فيّ تأثيراً بالغاً ، ولكنني لم أنظر أحداً منهم قط . لان تأثيرهم الشخصي قد بلغ اليّ بما كتبوه وقرأته لهم وما سمعته عنهم فيما مرَّ من عمري، لذلك فان كثيرين من أبطال الروايات الذين لم يوجدوا في العالم قط ، لهم تأثيرهم الشخصي على حياتي . فقد أثر في كثيراً ما قرأته عن جان فالجان ، وجون هاليفاكس ، ومارك سابر ، ورومولا

هذا هو نوع التأثير الذي ليسوع في حياتي ، ولكنه يختلف عن غيره بأنه أقوى وأطول من الجميع وأشد فعلاً وأوفر ثمرة . على انني لا أقول أن يسوع المسيح لم يكن الها وانه كان انساناً بسيطاً مثل كل واحد منا . بل كل ما أقوله

انه كان كائنا علوياً أفضل من جميع أبناء البشر الذين عرفتهم أو سمعت بهم. وأما الفرق بين الرجل العظيم وبين الاله فانا لا أستطيع ان أفهمه ولا اعتقد بأن فهمه ضرورى لحياتى. لان عبقرية العظيم النابغ كألوهية الاله محجوب ادراكها عن قوى فكرى!

فانى أعتقد من صميم قلبى بان يسوع هو رأس معلمي الانسانية. وقد أثرت تعاليمه وحياته في اصلاح الملايين من الناس مما لم يخبرنا تاريخ المدنيـة البشرية بأن حكيما أو معلما أتى بمثله لا من قبله ولا من بعده. وقد سكب من معين وحيه في أفكار وقلوب الالوف من الناس وأعمالهم فرفع حياتهم الى الاوج فرأوه بالرغم مما كان يحيط بهم من حيرة الوثنية وضلالها. ومع أن شرور الناس قد أبعدته عن الانسانية حتى ليبدو كأنما هو شبح أو خيال لا حقيقة دونه، ومع أن قياسات اللاهوتيين وسفسطاتهم التى يتيـه الفكر فى صحرائها فلا يعرف أين تبتدىء ولا أين تنتهي — قد سدلت حجبها الكثيفة على الحقيقة السامية التى جاء بها الى العالم، ومع أن عبادته قد تسفلت الى نوع من الوثنية السمجة، فانه لا يزال

لمجرد ذكر اسمه قوة فعالة في قيادة الانسانية الى الصلاح . وما برح تأثيره الشخصى مثمراً في القلوب المستعدة له ثماراً خالدة محيية . وانى لا رغبة لى في الدخول في البحث اذا كان إلهاً أو إنساناً . بل جل غايتى انه سواء كان إلهاً أم إنساناً ، أم إلها وإنساناً معاً ، فقد كان لحياته على الارض وتعليمه اكبر تأثير على حياتى ، كما انه كان أفضل دليل لقوای العاقلة ليقودها إلى السعادة والطمأنينة

المسيحية في عقيدتي

طريق تؤدي الى الحياة

وليس الى الهرب من الحياة

«ليست المسيحية ديناً بمقدار ما هي قوة وحكمة توضحان كيفية الانتفاع من الغاية التي وجدت الاديان لاجلها .»

ليس من الصواب ان ننظر الى المسيحية كدين من الاديان . لانني اعتقد بان المسيحية ليست مذهباً دينيا للعبادة الطقسية كالبوذية والبرهمية وغيرهما من المذاهب الوثنية التى كانت تحارب بعضها بعضاً على ممر العصور . فان المسيحية أسمى من ان تزاحم امثال هذه الاديان في طقوسها وفروضها السخيفة .

بيدان المسيحية تحتوى على جميع المبادىء الدينية الشريفة . ولذلك كان الافضل ان نقول ان المسيحية تحتوى على الدين من ان نقول ان المسيحية دين من الاديان .

وانني اعتقد بان المسيحية طريق تؤدى بنا الى الحياة

الحق . بل هي حكمة بالغة ، ومبدأ سماوي يرفع حياة البشر التعساء من صحراء التعاسة الى فردوس الغبطة والسعادة . والحاجة القصوى التي تنقصنا اليوم هي ان نتعلم كيف نعبر عن المسيحية بشعورنا وعواطف قلوبنا مثلما نستطيع ان نعبر عن افكارنا بالالفاظ والعبارات المتنوعة . لان يسوع قد ضرب على اوتار العواطف والقلوب كما ضرب على اوتار الحصافة والعقل . والحياة عند التحقيق مزيج من الفكر والشعور ولا يمكن ان نحل في واحد منهما ونهمل شأن الآخر .

على ان في مانفهمه بكلمة «دين» كثيراً من الزوائد التي أعرضت عنها في المسيحية التي اؤمن بها واتخذها دستوراً لحياتي .

فهنا لك الخوف مما نجهل حقيقته ، والطاعة العمياء لذوي السلطان المطلق ، ووجوب تقييد حرية الفكر ، والمحافظة على قوانين معينة وطقوس مقررة ، والرجاء في الحصول على الثواب ، والخوف من العقاب ، وغير ذلك مما ورثناه عن العقول القديمة مما لا تستطيع العقول الحديثة ان تتخذه قائداً ودليلا لحياتها .

على انني لا اقصد بهذا ان الدين هو قضية من القضايا الفكرية . لان القوة الفكرية المتسلطة على الغرائز والنزعات النفسية تستطيع أن تستثمر النافع منها وتضع جميع المباديء القديمة التي اتصلت بنا من الاجيال الغابرة في بوتقة الاختبار لتظهر نفعها أو ضررها .

ولذلك يجدر بالشخصية القوية المدربة في ادارة حياة الانسان الذي تحل فيه أن تكون شديدة الحرص على درس جميع ما وصل الينا بالارث عن جدودنا الاولين من العقائد والتقاليد ، وتطبيقها على حياتنا قبل قبولها .

فالمسيحية اذن هي القوة التي بها نستطيع ان نميز بين النافع والضار من الدين . هي الطريقة التي بها نجعل الدين ينبوعاً للقوة الفردية ، وللنظام الاجتماعي ، وللمنفعة الاقتصادية للجميع على السواء . لان لكل انسان ديانة خاصة به ، فاما ان تتجسد فيه بشكل من التعصب الذميم والوهم العقيم ، أو انها تملأ حياته بما لا طائل تحته من النظريات الفارغة والاراء السقيمة ، ولكن إذا كان لهذا التعصب أو الوهم سلطة على القائل بهما تهذب أخلاقه وتدرب حياته في السبل المستقيمة فان ١٤

بحق تدعى دينا . ولذلك فان الكافر والمتشائم وغيرهما من الماديين لهم كل دينه من هذا القبيل . لان الدين على نوعين دين صالح ودين ردىء . فالايمان كما انه يخلص بعضا فانه يقتل بعضا . فاذا آمنت بالكذب قادك الكذب الى الخراب . وإذا آمنت بالصدق أنقذ الصدق حياتك ووطد لك بنيان سعادتك . واذا آمنت من أعماق قلبك ان الهك يعلمك أن شر السم القتال اذا شربته لا يؤذيك ، فاقدمت على أخذ جرعة كبيرة منه فانك تموت في الحال كما لو كنت ممتلئا من الشكوك في الموضوع . فان العالم ممتلىء من روح الدين وكل ما فيه انما أسس على الدين . غير ان المسيحية هى الطريقة الواحدة التى توحد هذا الدين و تجزل ثماره فى بساتين الحياة .

وفى الفقرة التالية المنقولة عن المستر هافلوك أليس بعض الفائدة في الموضوع :

« فى مقدمة الصوفيين العظماء فى تاريخ الانسانية نجد اسم لاوتسا فقد عاش هذا المعلم قبل المسيح بستماية سنة وقبل ساكيا مونى بماية سنة ، وكان بنقاء فكره أكثر تصوفا من الاثنين ، وفوق ذلك كان أقرب منهما الى العلم في ا رائه

(م — ١٤)

وتعاليمه جميعها . حتى ان المركز الذى كان يشغله فى حياته ، بالنسبة الى جيله وبلاده ، كان أيضاً ذا صبغة علمية . فقد كان على مافي التقليد أميناً على السجلات والقيود الرسمية . وفي سائر أعماله نرى الاتحاد التام والائتلاف بين العلم والدين ظاهراً لكل ذي عينين . والكلمة « تاوُ » ، التى كانت في نظر لاُوتسا رمزاً الى كل ماتوحّدنا به الديانة بطريقة سرية يجوز أن تترجم بكلمة « عقل » ، بالرغم من أن هذه الكلمة تظل قاصرة عن تأدية معناها الكامل . وليس في تعاليمه من أثر للتأملات والظنون اللاهوتية الفائقة الطبيعة في جوهر الله ، (ولم ترد هذه الكلمة في كتاباته إلا مرة واحدة ولعلها من زيادات النُسّاخ ،) أو النفس أو الخلود ، فقد امتاز لاوُتسا بدقته وصفاء ذهنه في التعبير عن الحقائق الروحية بشكل الحقائق الطبيعية . ولذلك لم تتناول أبحاثه ايضاح حقائق الدين فحسبُ ، بل كانت توضح المذاهب الجوهرية في العلم أيضاً . وقد كان لهذا الرجل قلب الصوفي ، وفكر الطبيعي وعين البيُولوجي . ولذلك كان يتخطر في دائرة متسعة ـ الدين والعلم واحدٌ فيها . »

ـ هافلوك آ ليس في كتابه « رقص الحياة[1] » صفحة ٢٠٤

(١) قد ترجمنا هذا الكتاب الى العربية وقريباً يظهر مطبوعا ان شاء الله

السيادة الحقيقية

التى أجدها فى يسوع

« ان جميع أنواع السيادة كائنة في نفس
الانسان » باكون

ان موضوعنا الحاضر يتناول البحث للاهتداء الى حيثما كان يسوع « قوة الله » . وبعبارة بسيطة فاننا سنوضح في هذا الفصل الاسباب التى جعلت يسوع قوة عظيمة فعالة في حياة العالم .

واني اذا طُلب إلىَّ أن أقدم شهادتى الشخصية في الموضوع ، في محكمة الرأي العام ، فأنا أقول ان المسيح هو قوة الله لانه كان بالحقيقة أعجوبة من عجائب الحكمة الالهية وانما أقصد بذلك ان قوته لا تتوقف على انه كان رباً للجميع ، أو ملكا للملوك ، ولا على انه سيد السماء والارض ، ولا أمثال ذلك مما يلقبه به الضيقو العقول والافهام من الناس . فانى أعتقد بأن هذه الالقاب كلها نظرية ولا تليق بعظمته الحقيقية ، لانه اذا لم يكن في يسوع غير هذه الالقاب لنواله السيادة

على العالم ، فان مركزه لا ينفعه أكثر مما نفع القيصر الروسى أو الامبراطور الالماني مركزهما . فهو يسود على العالم لان سيادته نتيجة لازمة لعظمته الداخليه ، ولا يعرف في سيادته مهرجان العظمة الملوكية والأبهة السلطانية الذي اخترعته الكنيسة النصف وثنية بعاداتها وتقاليدها واهمة انها بعملها هذا تقدم له عبادة أو كرامة .

أجل ، ان الملك الحقيقي لا يحتاج الى تاج ، ولا يعوزه الصولجان أو العرش . والاله الحقيقى لا يحتاج الى رعود وبروق لاثبات ألوهيته . ولذلك فانى أعتقد في أعماق نفسى بأن سيادة يسوع كائنة في قوته الداخلية التي لا تؤثر فيها المادة وقلما أهتم بالسيادة المادية التى ينسبها له العالم المادى البعيد عن ادراك حقيقة روحه الطاهرة .

على ان القوة التى منحها يسوع للعالم قد مُزجتْ على ممرّ العصور بكميات كبيرة من الصدأ والنفاية غير النافعة . ولذلك يلوح لى اننا لو قدرنا أن نجرّد يسوع من السلطة الموهومة التي ينسبها اليه العالم ، والمظاهر المادية التي يظهرونه بها ، — بل لو كان لنا أن نخرج يسوع من الهيا كل المقيّدة

الى الفضاء الطليق ، الى الحقول ، إلى شوارع المدن ، الى البيوت التي نسكن فيها مع أولادنا ، لكي يكون نفوذه حراً طليقاً من جميع الستائر المادية والتقاليد الصناعية ، فنستطيع أن ننظر اليه كشخص حقيقي ، ونشعر بتاثير شخصيته علينا كما لو أنه حيّ أمام عيوننا ، ونصغي إلى كلماته كأننا نصغى الى الحقيقة البسيطة المجرّدة ، فان القوة الكامنة في أعماق شخصيته السامية يكون لها إذ ذاك فرصة أفضل للعمل في العالم المحتاج اليها.

وأما الذين لا يفهمون حقيقة السيادة المتجسدة في يسوع ولا يشعرون بالقوة المجدّدة المحيية التي تغلّف شخصيته ، والوحى السامى الذي انسكب في أعماقه وجعله ينطق بتعاليمه الخالدة ، فانما هم اولئك الذين سدلت المادة براقعها السوداء على وجوههم فلم يعنوا الا باختراع السلطة المادية الباطلة لسيدهم .

وقد قال يسوع مرة ، « من أقامني قاضياً أو مقسّماً بينكم ؟ » وانها لآية حرية بأن يعلقها الضالّون عن سراط الحق في أعناقهم لعلهم يفهمون ويهتدون

ماذا أقصد بالتجدد الروحي

« مامن شيء يستطيع ان يعطيك حياة
سوى ملامسة حياة أخرى لحياتك . »

نبحث في هذا الفصل موضوع التجدد الروحي وكيف أفهم هذه الكلمة . فأنا مدين بتربيتي لبعض من اعضاء كنيستي ، لانني عند ما كنت صبياً كنت أجدد اهتدائي في كل شتاء حينما كانت تعقدكنيستي اجتماعاً عاماً لتجديد الحياة الروحية في قلوب أعضائها في جلسات متوالية . ولكنني كنت أضيع في كل صيف ما حصلت عليه من ثمرات التجدد الروحي في اجتماعات الشتاء هائماً كيف طاب لي الهوى . وكانت العقيدة الغالبة في تلك الاجتماعات حينما كنت أقضي أوقاتي في فصل الصيف ان الحياة الدينية هي نتيجة الاختبار في كل انسان أو هي ما يطرأ عليه من التأثيرات العقلية في أثناء هـذه الاجتماعات .

ولا يزال أكثر رجال الدين فى كنيستى الى اليوم يعتقـدون بأن ما يحصـل عليه الانسان من الاختبار في

رجوعه عن اعوجاج سيرته واهتدائه الى حظيرة السيرة الشريفة انما هو أساس الحياة الدينية ، لانه ألم يقل الكتاب، ان لم يولد الانسان من فوق لايقدر أن يدخل ملكوت السماوات ؟

وانني مابرحت على أتم الثقة بأن التجدد الروحى بداءة الحياة المسيحية ، ولكننى قد تعلمت معني جديداً لهذا الارتداد الروحى لم أكن أعرفه من ذي قبل وهو اكثر انطباقاً على عقلى من الرأي الاول . فأنا أفهم بالتجدد الروحى التغيير من حالة الى حالة ، أو بعبارة أوضح ، تغيير طبيعة النفس ، وأنا أعنى بذلك تبديل مسالك الحياة وتغيير مجاريها .

على ان هذا التبديل ليس شكلا غريباً من التأثيرات السرّية الغامضة لانه لما كان الدين عبارة عن تأثير شخصي فان التجدُّد الروحى هو ثمرة لهذا التأثير . لاننى اذا تقربت من رجل نابغ الفكر عظيم القدر وأكثرت من معاشرته والاصغاء الى مبادئه برغبة ومحبة فاننى أعجب به شيئاً فشيئاً حتي أصير مثله . وكل من وقع قلبه في حب امرأة فاضلة يعرف التغييرات التي يحدثها حب تلك المرأة في أخلاقه

ومبادئه . ومثل هذا يجرى عند مايضع الانسان مثال يسوع وصورة كماله أمام عينيه فان ذلك المثال يُسيّر ارادته لاتباع خطوات المعلم الصالح وتطبيق الحياة على تعاليمه ومبادئه ، فيفيضُ ينبوع شخصية يسوع عليه فيروى حياته بمياه الحكمة والمعرفة ويغيّر أخلاقه وطبائعه حتى يخيل اليه انه قد ولد ثانية .

وكثيراً مايشعر الانسان بعد أن يتماثل الى الشفاء من داء ألم به انه قد خلقَ ثانية وانه رجل جديد غير الرجل الذي كان مريضاً . وعند مايهرب الانسان من شقاء الكفر وشكوك الالحاد ويلتجىء الى حماية يسوع فان مبادىء يسوع تعمل فيه فتحوله بسرعة عجيبة الى رجل جديد صالح حتى اننا لانبالغ اذا قلنا انه قد صار انساناً جديداً في المسيح يسوع . »

والحقيقة التى لامرية فيها انه لايؤثر في الحياة سوى حياة مثلها فان وراء المظاهر الغريبة التى ترافق التجدُّد الروحى حقيقة لاينكر نفعها أحدٌ من الناس . لان في داخل هذا الغطاء الخشن الثخين بزرة ممتلئة من القوة والحياة .

ماذا أقصد باتباع خطوات يسوع

التمسك بالحرف يقتل الشعور

« ان القانون يعطى لنا بسبب خمولنا ،
وأما المبدأ فانما نناله لان عندنا مثله »

ان ما سبقت فأوضحته عن الفرق الكائن بين القوانين والمبادىء ربما كان فى حاجة الى زيادة ايضاح . فاننى لا أنظر الى الكتاب المقدس ككتاب قوانين وفرائض للمحافظة على سلامتى ، بل أنظر الى هذا الكتاب كمجموعة مبادىء تشجعنى على النمو في سبيل الكمال

فالقانون هو نائبٌ ينوب عن العقل والذكاء وأما المبدأ فهو عقيم لا فائدة منه ما لم يمتزج بالعقل والذكاء

أما المعلم فتتوقف عظمته على مقدار ما يطرقه من مواضيع الحياة الرئيسية التى يتطلب من تلاميذه وتابعيه اجهاد أفكارهم وعقولهم لادراكها والبلوغ الى قلبها. واننى أعتقد بأن يسوع وغيره من كبار المعلمين والمصلحين ، كان آخر ما طلبوه من الناس الخضوع المجرّد والطاعة العمياء . لاننا بالحقيقة لا

نستطيع ان نتبعه عن رغبة وقناعة ما لم نستعمل كل ما أوتينا من فطنة وفهم .

اننا نقرأ في الكتاب أن الحرف يقتل أما الروح فتحيي ولذلك فان الطريقة التى لا بد ان تُضلِّنا عن اتباع خطوات يسوع انما هي في نظرنا الى العبارات والالفاظ التي تفوّه بها نظرة خارجية مهتمين بمعناها الحرفي اكثر من مرماها الروحي البعيد . فان يسوع شرقي بطبيعته وحياته . وقد علّم الناس على الطريقة الشرقية بالاشعار والافتراضات والامثال. وقد أوضح لنا رئيس الاساقفة هوِيتْلي، أن اكثر ما طلبه يسوع من العالم اذا نظرنا الى معناه الحرفي نرى أحد أمرين: اما أنه يدعو إلى السخرية والهزء أو انه يستحيل تنفيذه ولكن هذه هى الطريقة الشرقية التى يعشقها الشرق في تعليمه ، أماالغاية منها فهى أن تترك التلميذ سابحاً لذاته في عالم الخيال الروحى ليستخرج بفطنته الغاية الروحية المنطوية عليها عبارات المثل أو الحكاية لان العمل بما يطلبه الحرف عقيم الثمرة ولذلك يسعى الى الثمرة الروحية الخفية

ومن الامثال التي تظهر لنا هذه الطريقة التهذيبية الجميلة

أن يسوع بعد ان غسل أرجل تلاميذه قال لهم ان يقتدوا به، وكما انه غسل ارجلهم فليغسلوا هم ايضا ارجل غيرهم من الناس فاذا فهمنا هذه الوصية بظاهرها أفلا يرى كلٌّ منا انه من التوافه الغير المعقولة ان يدور التلاميذ أو غيرهم من المسيحيين على الناس ينزعون احذيتهم من اقدامهم ويغسلون ارجلهم؟ ولكن كل انسان يستطيع بقليل من اعمال الفكرة ان يدرك الطريقة الجميلة الفتانة التى استخدمها يسوع بهذه العبارة ليوضح لنا عظم فضيلة الخدمة بتواضع

ومثل ذلك عند ما سأله الشاب عن القريب والطريقة الواجبة في معاملته ، فقصّ عليه يسوع حكاية السامري الشفيق ثم اردفها بقوله ، « اذهب أنت وافعل هكذا ، » فان ابسط الناس يستطيع ان يفهم ان يسوع لم يطلب الطاعة البسيطة لمساعدة الجرحى والعناية بهم واخذهم الى الفنادق والمستشفيات، بل انما اراد ان يعلمنا وجوب مساعدة المحتاجين مهما كان دينهم أو جنسهم أو وطنهم

وان مبدأ الاعراض عن السوء وعدم مقاومة الشرّ الذي علم به المسيح قد أسيء فهمه اكثر من جميع المبادىء

الاخرى . فقد قال يسوع، «من ضربك على خدك الأيمن فحول له الايسر، واذا طلب أحدٌ ثوبك فاعطه الرداء أيضاً، ومن سخّرك ميلا فامش معه ميلين ». وقد شوّه نظر الناس إلى حروف هذه الوصايا الجمال الروحى البالغ الذى ألبسها إياه ذلك المعلم الصالح إذ خيل اليهم ان يسوع اراد بهذه الوصايا ان يعلم الإنسان الجبانة والتخنُّث . غير اننا في نظرنا الى هذه الوصايا يجدر بنا ان نطرح الحرف القتال جانباً وننظر الى الروح المحيية التي تقطن في هذه الوصايا فنرى انها أحكم الوصايا التى سمعها الانسان منذ وُجد على الارض وأسهلها انطباقا على الحياة في جميع فروعها . فان كل رجال الاعمال من غير استثناء يديرون الخدّ الثاني اربعين مرة فى النهار عوضا عن المرة الواحدة . فان الرجل منهم لو كان يريد أن يقف ليرد لكل إنسان ضربتهُ ويصفع كل من يصفعه فانه ماكان يصل الى مكتبه مرةً قط . لانه لو اراد الانسان ان يلتفت الى كل كلب نابح عليه ويطارده حتى ينتقم منه فانه ما كان يتخذ له عملا غير هذا العمل في حياته . لان المبدأ الذى تعبّر عنه هذه الكلمات التى تفوّه بها يسوع انما هو جوهر العظمة

الحقيقية وشرف الاخلاق الانسانية . فهو يُظهر ان الانسان المتفوق بفكره وادراكه لا يستطيع ان يحمل حقداً في قلبه . ولا يقدر ان يضمر سوءاً لاحد من الناس . فلا يقابل الذي يصفعه بمثل فعله ، ليس لانه يخافه ، بل لانه يحتقر ان يفعل ذلك . والمسيح قد قدَّم هذا المبدأ السامي لامثال هذا من المتفوقين بعقولهم ومداركهم

وان هذا المبـدأ القاضى بالاعراض عن الاساءة وعدم المقاومة لهو أسمى ما بلغ اليه البشر من الانتصارات الروحية فكما ان المصارع اليابانى الماهر يغتنم فرصة العنف الذى يبذله خصمه في مقاومته ليكسر ذراعه أو يخلع عنقه بأن يحجم عن المقاومة في حين ان خصمه يكون متوقعاً مقاومة شديدة منه وهكذا يتم له الانتصار عليه من غير ان يقاومه، كذلك جميع انتصاراتنا الروحية لا تتمّ لنا إلا عن طريق التسليم وعدم المقاومة . وعلى هذا المنهاج بعينه يظهر الرجل المتهذب تفوقه بالتأدب والاحتشام على الرجل الدنيء السافل

ولذلك فانى عند ما أقول انى أتبع يسوع انما أقصـد انى أسعى أن أنفذ مبادئه بحياتى، بسلوكى وتصرفي في العالم،

وقد وجدت بالاختبار ان ذلك قدساعدنى في الغالب للحصول على طمأنينة بالغة ورضى وقناعة واحترام لذاتى ، وقد رأيته ان ذلك قد جعل حياتى مع جيرانى وأقربائى أفضل كثيراً من ذى قبل وبعث في عزيمة في جميع أعمالى .

وانى اخال ان بين الناس من يحترم نفسه ويجرب أن يتخلص مما يلقى على عاتقه من المسؤولية . فان المسؤولية التى يحملها الانسان في حياته هي أفضل معلم له في هذا العالم . وانى لاأعتقد بأن يسوع يطلب منى أن أهرب من حمل مسؤوليتى . ولاأستطيع أن أجد لنفسى مبرّراً يدفعنى كلما كنت في حالة شريرة أن التفت الى يسوع وأقول له ، « أنت قلت لى أن أفعل ذلك » . فان يسوع لم يطلب إليّ أن أفعل شيئاً قط . ولكنه قدم لى هذه المبادىء السامية ونفخ بى من روح حكمته وفطنته ما استطيع معه على اختيار كل مايوافقنى ويلائم غرائزى منها ، فهو ينشط قوتى العاقلة ويقسّيها ولكنه لا يقتلها البته .

وشر أمثال الظلم والجور التى احدثها التمسك بالحرف دون الروح ظاهر في العلاقة بين تعاليم الكنيسة وغريزة

حفظ النوع الانسانى . فقد قال يسوع مرة ، « ان من نظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه . »

وقد طالما ثار الكثيرون من الناس على الطبيعة البشرية بسبب سوء فهم هذه الآية وتفسيرها بأن العاطفة الطبيعية بين الرجل والمرأة ، التى لايخلو منها رجل أو امرأة ، انما هى عاطفة شريرة شيطانية . وكم ألّفوا من النظم ووضعوا من القوانين للتبتل والعذراوية ، بحجة ان الذين يتبتّلون ويكبحون جماح شهواتهم هم أطهر من غيرهم من المتزوجين الاصحاء الذين يحافظون على عواطفهم الطبيعية . وقد عالج تولستوى الروسى هذا الموضوع بتطرف كثير وابحاث عقيمة، لان عقله كان مُشبعاً بتعاليم القرون المتوسطة المظلمة ، ومن أقواله ، « ان في كل شهوة شراً ا كيداً . » والشهوة هنا انما يقصد بها الشوق النقى الكامل الذى يختلج به قلب الرجل نحو المرأة .

وكل هذا يوضح لنا النتائج الفاسدة السقيمة التي يؤول الحرف اليها . فان الشعور العام فينا يخبرنا ان المبدأ الذى اراد يسوع اظهاره لنا بالآية السابقة هو ان صحبة الرجل

والمرأة يجب ان تنال اسمى درجات الاعتبار والافتكار ، لان الخيال الصحيح الذي يوحّد هذه المحبة في وحدة واحدة هو الخلاص الوحيد لغريزة حفظ النوع في الانسان . وكل من يسعى الى استئصال بذرة هذه الغريزة من الطبيعة البشرية انما ينزل بالانسان الى اسفل دركات الضلال والفساد .

وانى أستطيع ان اقول انه ما من ضلال وقع به الانسان منذ وُجدَ على الارض حتى الآن واحدث من الاضرار والمصائب الفواجع فى العالم مثل الفكرة الرجسة القائلة بأن الطبيعة البشرية شريرة اوقذرة . فان اجيالا عديدة من التعاليم الضالة قد زرعت في عقولنا ان « الشهوة » ، التى ليست بالحقيقة سوى تحريك العاطفة الطبيعة في قلب الانسان ، انما هي عارٌ ونجاسة .

على ان العقل السليم يجب ان يقودنا طبيعياً الى الادراك بأن العاطفة الفطرية فى المرأة والرجل هى بالحقيقة أجمل قوة فى تطورات الحياة . لان العائلة تضمحل بدونها ؛ وتفقد الانسانية كل ما في الحياة العائلية من الكمال والسعادة . ويخسر العالم بخسارة هذه العاطفة الحب العذري وكل الثروة الشعرية

البالغة الفائضة من ينبوع هذا الحب الطاهر . بل ان جميع الاحياء العائشة في العالم تزول و تضمحل بزوال هذه العاطفة .

ولذلك فان العقيدة الآمرة باحتقارها والقائلة بانها شريرة نجسة إنما هي عقيدة رجسة وثمرة قتالة للحرف القتّال

ولا غرو فان كل عاقل يدرك ان هذه الرغبة الجنسية التى تقرّب الرجل من المرأة لحفظ النوع الانسانى يجب أن يتبصر الانسان فى الانقياد اليها وأن يكبح جماحها بضميره وعقله . ولما كانت هذه الرغبة أقوي رغبات الحياة لذلك يجب الاّ يغرُبَ عن الاذهان انها إذا أريد تقييدها وحصرها انفجرت وأحدثت بانفجارها افظع الجرائم والرذائل . وأما القائلون بوجوب تقييدها بحجة انهم يعرفون مثالا أو مثالين أضرّت فيهما الجهالة في طريقة استعمالها والانقياد اليها ، فهم أشبه بالقائلين بوجوب حجب نور الشمس لانه أحدث صُداعاً في رؤوسهم .

غير اننا اذا نظرنا الى قول يسوع هذا ووضعناهُ مع

قول آخر حضّ فيه الرجل على ترك جميع نساء العالم والالتصاق بامرأته، لوضحت امام عيوننا الغاية التي قصدها من هذه الآية، وأدركنا الحقيقة الناصعة التي يُبنى عليها الزواج بامرأة واحدة، ولعرفنا حينئذ: ان الزواج بامرأة واحدة إنما هو الطريقة الطبيعية الوحيدة لقضاء الشهوة الطبيعية بما يلائم الآداب الراقية ويحافظ على شرف المبادىء الزوجية

ماذا أقصد

عند ما أدعو يسوع مخلصي

« انني أدعو يسوع مخلصي لانني بقوته أرتفع من أدنى دركات الغايات الدنيئة الى أوج السعادة والراحة »

انني بملء طوعي واختياري وكمال راحة ضميري وقناعتي أدعو المسيح مخلصاً لي ولكنني أريد أن أوضح معنى هذه الدعوة في عقيدتي

فأنا أقصد بهذه الدعوة، انني بما ليسوع من التأثير عليّ استطيع أن أرفع حياتي الى مستوى رفيع في سعادة الحياة، وبقوته ارتفع من أدنى دركات الغايات الدنيئة الى أوْج الراحة والغبطة .

على أنني لا أتخذ يسوع مخلصاً لي لاعتقادي بأنه ينقذني من غضب الله، إذْ لا اعتقد بأن في خلق الله شيء من الغضب فلا استطيع أن اصدق ان الله يغضب عليّ عند ما أفعل خطأً ما ويرغب في تعذيبي والانتقام مني ، بل أنا أعتقد بان الله

يحزن عليّ ان فعلت سوءاً ويشفق على نفسى من اعماق قلبه كما أشفق أنا على ابن لى عند ما يفعل شراً . وما أجمل ما وضعه ماترْلنك فى فم الشيخ أرَكال في «Pelleas and Melisande» حيث قال ، « لو كنتُ الها لكنتُ أشفق على جميع الناس »(١)

وانني لا ادعو المسيح مخلصا لى لمجرد أنه سيأخذنى عند موتى من هذا العالم الشرير الى أرض الغبطة والنقاوة والجمال فانى أؤمن من أعماق قلبي بأن الخلاص لا يَتمّ للانسان بتغيير محيطه بل إنما يتم له خلاصه بتغيير وتبديل أخلاقه ومبادئه . وأنا انظر الى المسيح كمخلص لى لانه ، دون غيره من جميع المعلمين ، قادر على تبديل اخلاقي وتغيير مبادئي

ولا انظر الى المسيح كمخلص لى رغبة مني فى ان يحافظ على سلامتى من الأذية والاخطار . لانني لا أريد أن أكون سالما من الخطر والأذية . ولا اسأل الله ان يحرسنى ويحفظ حياتى من الخطر ، بل أصلى طالباً ما هو افضل من هذا بما لا قياس له ، متوسلا الى الله ان يحفظنى قويا شجاعا امام اخطار العالم .

---

(١) وقد قال عمر الخيام الشاعر الفارسى بهذا المعنى ما يأتي :

« حكمت الهى بالعذاب فيا ترى ‌‌ بأى مكان فيه أنت تدين »
« فليس عذاب حيثما أنت كائن ‌‌ وأي مكان فيه لست تكون ؟

على ان أقوى غرائز الانسان إنما هى غريزة حفظ الحياة ، وقد قال شيشرون « ان الدفاع عن النفس أول شريعة من شرائع الطبيعة » . ولكن هنالك طريقين للمحافظة على الحياة ، الواحدة باقامة الجدران وقلاع الدفاع حول الحياة والثانية بتقوية الحياة الداخلية في اعماقنا وتشجيعها لتدافع بذاتها عن ذاتها . فالطريقة الواحدة تأمر بالبعد عن كل ما يؤذى أو يسبب فساداً أو ضرراً ، والثانيـة تأمر بتقوية ما فينا من قوات الصحة والحياة لمحاربة الامراض أين وأيان هاجمتنا. فالواحدة تلبسنا درعا للمحافظة على سلامة اجسادنا والثانية تضع في يدنا سيفاً . أما أنا فاتخذ يسوع مخلصاً لانه يقوي غرائزى المقاومة للشر ، وينعش ما في من الشجاعة ، والرجاء ، والقوة الحيوية ويملأ كياني همة ونشاطا . ولذلك فانى لا اريد ان اعتزل العالم وابتعد عن الاشرار من الناس خوفا من أن يتسرب الى شىء من شرورهم ، لانى واثق بان في اعماقى قوة تقدر ان تبطش بالشر اينما وجدته ولذلك فهي لا تخافه ولا تخشى بأسه . على ان هذا النظام الآمر بالبعد عن الناس خوفا من أن ينالنا شيء من شرورهم ربما كان صالحا

للاولاد الصغار حتى تنضج قوتهم . ولكنه نظام فاسد مضرّ للبالغين من الناس لانه يخنثهم ويذهب بقوتهم

وقد قسم بعضهم النفوس إلى فقرية وذوات اصداف . فذوات الاصداف منها تعتمد في المحافظة على سلامتها على اصدافها العظمية ، فتتخذ اصدافها الصلدة درعا خارجياً تدرع به ليقيها طوارىء الزمان. واما الفقرية فقوتها كائنة في فقراتها الداخلية فاذا فوجئت ذوات الاصداف بخطر زحفت متحصنة داخل اصدافها، واذا فوجئت الفقرية بخطر عمدت الى محاربته بقوتها والتغلب عليه . اما أنا فلا رغبة لى في ان أكون نفسا صدفيـة .

ولا اعتقد بأننى سأنقذ من الاخطار ، لا في هذا العالم ولا في العالم الآتى ، لاننى أؤمن بأن الحياة شقيقة الاخطار وحيثما لا خطر لا حياة . اما إذا قدر لى ان أكون في مأمن أبدي من الخطر في السماء فذلك إنما هو نتيجة لما سيكون لى من القوة للتغلب على الاخطار والبقـاء الدائم في السماوات وليس لان الجدران ستكون بالغة الارتفاع ويستحيل علىّ الافلات منها .

كيف أنظرُ الى الصلاة

«الصلاة لا تغير الارادة الالهية، ولكنها
تطبق الحياة عليها»

انى أؤمن بالصلاة من أعماق قلبى . فأصلى في مخدعى وفى سكون وحدتى، كما اشارك الناس في صلواتهم العمومية على انني أود ان اوضح في هذا الفصل خلاصة عقيدتي في الصلاة .

ان أفضل تعريف للصلاة ينطبق على فكرى ويقنع قلبى هو هذا : « الصلاة هى إلباس الرغبات الفكرية ثوبا من الالفاظ الساذجة » فاذا صليت فانا أجهد فكرى لأعبر بالالفاظ عن اعمق رغبات نفسى . واوجه هذه الالفاظ الى روح الله المالئة الوجود لانى كلما فكرت به تعالى أشعر بأن قوته غير المنظورة تشجعنى على ايضاح اسمى رغبات نفسى

وكل ما أرمى اليه من وراء هذا العمل إنما هو السعى وراء ادراك القوة الكائنةفي الارادة الالهية وتكييف ذاتى على ما تودُّه لي . ولم افكر قط في حياتي في ان اقيد ارادة

الاب الكلي الحكمة بارادتي . لاني اعتقد بأن من الغباوة البالغة ان أسعى إلى مثل هذا الجنون . لان ما يريده الاب لي هو أفضل بما لا قياس له من جميع ما افكر به لذاتي

واني أحب كثيراً ان أردّد التشبيه الذي وضعه هُوراس بُو شْنال في هذا الموضوع ، وخلاصته اننا عند ما نصلي نشبه رجلا جالساً في قارب صغير قريبا من الشاطئ وهو ماسك بيده حبلا غليظا مربوطا إلى وتدٍ في الشاطئ وهو يشد به بهمة ونشاط ظناً منه بانه يجذب الشاطئ اليه والحقيقة انه إنما يجذب ذاته إلى الشاطئ . وهكذا فانني وان ُخيلَ اليّ اني ارغم الله بصلواتي لكي يفعل لي على وفق ما اطلب منه ، لان ضعف مداركي العقلية لا يجد طريقة أفضل من هذه للتعبير عن رغباتي ، فان وراء كل هذا تركع رغبتي الخفية ضارعة إلى الله وقائلة ، « لتكن مشيئتك انت ، لا مشيئتي »

لاجل ذلك لا أؤمن بما يسميه الناس ، « الاجابة الخصوصية عن الصلاة » ، فأنا لا أصلي إلى الله أن يمطر على الارض أو يحدث أقل تغيير في ناموس الطبيعة ، ولا أطلب منه تعالى ان يعطيني مالا أو صحة أو ان يحرس حياة اهلي

وأحبائي . لان أبي السماوى في جميع هذه يعرف ما أنا في حاجة اليه اكثر منى . وكل ما التمسه بالصلاة ان اكون قنوعاً، راضيا بكل ما أناله من عطايا الحياة، قادراً ان اعيش مطمئناً به تعالى راضيا بنظام الحق العظيم قابلا بما قسمه لى في هذه الحياة

على ان هنالك كثيراً من الآيات التى يتسلح بها البعض للبرهان على ان يسوع قال ، ان كل ما نطلبه بالصلاة ونحن مؤمنون يكون لنا . ولكننى اعتقد بان أمثال هذه الايات الشعرية الرمزية إنما هى نوع آخر من التعبير الشرقى الجميل الذى إذا لم ننظر إلى روحه اكثر من حرفه تضيع علينا فائدته وربما زادنا بلبلة وتشويشا اكثر من ذى قبل .

فتصور أيها القارىء العزيز ان في هذا العالم الذي نعيش فيه بليون ونيف من أبناء الانسان وكل واحد منهم يركع مصليا الى الله، وافرض في ذهنك ان كلا منهم يريد نوعا خاصا من الطقس الذي يحبه ، فالواحد يلتمس شمسا تحيي بحرارتها زروعهُ، والثاني يطلب مطراً يروى حقوله المتعطشة، والثالث يلتمس ريحا شرقية ، وغيره يطلب ريحا غربية ، إلى آخر ما هنالك من الرغبات البشرية المتناقضة ، فيتمثل أمامك إذ

ذاك انك تعيش في عالم تسود الفوضى في انحائه وتعمّ البلبلة والتشويش جميع ابنائه ، لانه لا تسود فيه إرادة المهندس الحكيم الذى وضع شرائعه بل تتحكم فيه الملايين من الرغبات والشرائع التي يسنها البشر الجهلة

ويلوح لى ان الصلاة قد تحولت في الناس إلى عادة ملازمة وأصبحت من الرغبات العادية التي يمارسها الانسان على مقتضى ظروف الزمان والمكان . اما أنا فانني قلما اصلى راكعا على ركبتى لانني اعتقد بان الله كما أؤمن به لا يريد البتة ان يراني ساجداً امامه كعبد ذليل حقير ، فهو ليس بالسلطان الظالم أو السيد الجائر ليتلذذ برؤية رعاياه يزحفون على الارض متذللين . بل هو أبٌ وصديق عطوف ولذلك يريد ان يأتى اليه ابناؤه واصدقاؤه كما يأتى الابن الى أبيه والصديق الى صديقه . على انني اركع على ركبتى أو أقف منتصبا في الصلاة على مقتضى الظروف عند ما اكون في الكنيسة مع بقية ابناء طائفتها ، ولكنني افعل ذلك من قبيل المحافظة على الادب والابتعاد عن الشذوذ ، ولان ذلك لا يؤثر بى فعلته أم لم أفعله أما اذا كان فريق من الناس لا يصلون الا وهم راكعون فانني

بملء ارادتى اسجد راكعا معهم ، بيد اننى اسجد إكراما لهم لا اكراما لله لان الله لا يطلب ذلك منى وانما هم يطلبون

واحب ان اشارك الناس في صلاتهم العمومية ، سواء قرأتها في كتاب كما في الكنائس الشرقية والكنيسة الابيسكوبالية والرومانية ، أم أصغيت إلي الواعظ كما في الكنائس البروتستانتية الأخرى، لاننى اتشجع وازداد قوة بأن أرى إخوانى في الانسانيـة متحدين معى في الدنوّ من هيكل الله الغير المنظور ، ومهما كنت واثقا بصحـة ارائي وسلامة عقائدى فلربمـا ظهر اخيراً ان هذه الآراء وهذه العقائد ليست بأفضل من غيرها ، وان الاب السماوى يقبل شركتهم في الصلاة افضل من شركتى

لان كل ما أقوله في هذا الكتاب ليس من باب الجدل والمماحكة ، لاظهار تفوّقي أو أنانيتى ، بل انما هو اعتراف بسيط أودّ أن اظهر به حقيقة عقيدتى بطريقة احافظ بها على الصراحة والامانة والاستقلال الذاتى

كيف أنظر الى الروح القدس

« ان الانسان روح أستطيع أن أنظر الجسد الذى تحل فيه . وأما الله فروح لا أستطيع أن أنظر جسدها . أما روح الله فهى الروح القدس »

انى أؤمن بالروح القدس ، ولكن ايماني هذا لا يبنى على أساسات ما فوق الطبيعة أو غير ذلك من الخوارق . لاننا اذا تكلمنا عن روح الانسان فنحن نقصد بذلك ذات الانسان الحقيقية التى بها نعرف ان الانسان أرقى من الحيوان . لان الانسان فكر أو روح لها جسد مادى تحل فيه ، وليس الانسان جسداً مادياً تحل فيه روح أو فكر . هذه عقيدتى الراسخة في شأن الانسان وأنا اتمسك بها لانى أجد انها أقرب إلى العمل والفكر من العقيدة القائلة بان الانسان حيوان مفكر

وكما ان الانسان روح استطيع ان أرى الجسد الذي تحلُّ فيه ، هكذا الله روحٌ لا أستطيع أن أراها . وفي الناس

نفرٌ من ذوى التأثير الصالح عليّ وهم في نظري أرواح صالحة، وروح الله لها على حياتى أعظم التأثير وأنفعه وخصوصا بواسطة يسوع المسيح، ولذلك فهى روحٌ مقدسة، ولكن قداستها قد تناهت في الكمال حتى انها بحق تدعى الروح القدس.

وأما موضوع الثالوث، فسواء كان الله واحداً في ثلاثة اقانيم، آب وابن وروح قدس، أم كان إلها واحداً بغير أقانيم ثلاثة فان ذلك موضوع لا استطيع أن أفهمه وهو أسمى من ان يبلغ فكرى إلى إدراكه. وهو لا يؤثر في حياتى المسيحية قط طالما أنا أؤمن بتأثير هذه القوة الالهية العظيمة في جميع مظاهر حياتى. واما الرأى السائد على الناس بأن الله يغضب عليّ اذا لم أؤمن بموضوع لا أفهمه وينتقم مني شرّ انتقام فهو في عقيدتى وهم لا حقيقة دونه

غير انى فى مقدمة الراغبين في مشاركة الناس في تقديم الاكرام والعبادة للروح القدس والانخراط في سلك المرتلين والمسبّحين بحمده وشكره. ولكننى اعتقد بان لى كما لكل

إنسان ملء الحق في إيضاح حقيقة معتقدي .

فان الله روحٌ بالحقيقة ، كما ان الانسان روح بالحقيقة .
وانه لمن الضلال أن نقول ان الانسان أو الله لهما روح فيهما
بل يجدر بنا أن نقول ان كلا منهما روح بذاته ولكن روح
الانسان هى نسمة علوية خالدة من روح الله. ولذلك أوضح
النبي هذه الحقيقة بجمال شعرى فتان بقوله، «ان روح الانسان
مصباح الرب» .

ما لا اقصده

عندما أقول أنا مسيحي

« ان الناس لا يدركون ما تقصده بكلامك

حتى توضح لهم ما لا تقصده »

انى لا أخص بمسيحيتى

عقيدة من العقائد المقرّرة

« ان عقيدتي جامعة تشمل جميع العقائد . وانى بملء اختيارى أدعو كل إنسان يتبع خطوات يسوع بامانة واخلاص أخاً حبيبا لي » .

انى لا أعتقد بأن ارادتى تنطبق على العقائد المقررة في أية كنيسة من الكنائس . وأشك كثيراً في ما إذا كانت كنيسة من الكنائس تقبلني كأحد أعضائها المتمسكين بطقوسها وتقاليدها . ومع ذلك فانى استطيع ان اكون عضواً في أية كنيسة من الكنائس المسيحية من غير ان تتأثر عقائدى الخاصة ومبادئى . واثق بأن السلطات الكنائسية المختلفة لا تطردنى من الشركة معها لانى لا اعترض على عقيدة ما من عقائدها التي لا أؤمن بها . وأنا لا افعل ذلك رغبة منى في الخداع والمراوغة ، كلا ، ولا لانى سهل الانقياد إلى التصديق بما لا أؤمن به من العقائد والاراء . بل أنا افعل ذلك لاني أعتقد

بأن العقائد والنُظم المختلفة التي يقوم الخلاف عليها في الكنائس المسيحية انما تتألف من قضايا متعددة لم يعرف شيئاً منها أحد من مشترعي العقائد كما انني أنا لا اعرف عنها شيئاً . واكثر هذه العقائد تتألف من قضايا نظرية قد طالما كانت موضوع مناقشات ومجادلات حادّة بين الطوائف المسيحية، وقل بين هذه القضايا ماله أقل تأثير في المواضيع المتعلقة بالحياة المسيحية

وبعبارة وجيزة أقول ، انني من صميم قلبي أسلم بالمخرج العام المشترك الذي يضمّ كسور العقائد المسيحيـة كلها الى وحدة واحدة . فان هنالك عقائد عامة تؤمن بها جميع الكنائس المسيحيـة . وهنالك غيرها من العقائد والطقوس الخصوصية التي تؤمن بها هذه الكنيسة ولكنها تختلف عن العقائد والطقوس الخاصة الاخرى التي تؤمن بها تلك الكنيسة. أما أنا فانني أؤمن بالعقائد العمومية التي يؤمن الجميع بها واما العقائد والطقوس الخصوصية التي لكل واحدة منها منفردة عن رفيقاتها فانها قلما يهمني أمرها. وسواء عندي حق هي أم لا .

ولزيادة الايضاح نقدم هذا المثل، اذا ضمك مجلس فيه

ممثلون من جميع الفرق النصرانية من بابا رومية الى السيدة ماري ادي (مؤسسة فرقة الكريستيان سيانس «العلم المسيحي») إلى يوليم بُوث زعيم جيش الخلاص، وسألت كل واحد منهم رأيه في التثليث، وطريقة اتمام المعمودية بالرش أم بالتغطيس، والكهنوت، والنعمة الرسولية، وأنواع السلطة فى الكنيسة، والمطهر، والعصمة، والخمير والفطير وغير ذلك فانك تحصل على اجوبة بمقدار عدد المجاوبين وكل منهم يناقض الآخر. غير انك اذا سألتهم ما الاجدر بالانسان ان يكون أميناً أم خائنا؟ تقياً أم مدنسا؟ تقياً أم مجدّفا؟ قائداً لذاته أم ان يكون قياده في يد غيره؟ عفيفاً أم شهوانيا؟ فان كل واحد منهم يجيبك بنفس الجواب الذى يجيب به رفيقه.

ولعل هذا مادعا أمَرْسون ان يقول، «ان جميع الرجال الابرار في العالم يدينون بدين واحد»

على ان جميع الخلافات المستحكمة بين الكنائس المسيحية هي من اعمال الماضى المظلم. وقد نشأت هذه الخلافات في مواضيع يندر ان يكون في أية كنيسة كانت فى هذه الأيام

مَنْ يعيرها اقل اهتمام . واذا قام الخصام اليوم بين أبناء هذه الطائفة وتلك الطائفـة فانما هم يحاربون بعضهم بعضا لأجل الخصومات القديمة التى كانت في ايام اجداد اجدادهم وقلما يوجـد بينهم من يعرف الاسباب الرسمية التى دعت الى الخصومات . واما المبادىء التى توجد في جميع الكنائس على السواء والجميع يؤمنون بها إيمانا واحـداً فهي الارث الوحيد الذي ورثناه عن آبائنا وسيظل عاملا نافعا لابنائنا واحفادنا واحفادهم من بعدهم . واما المبادىء الخصوصية الباقية فهي أشبه بمصران الزائدة المعوية فى جسم الانسان فان كل ما تقوم به هذه الزائدة من الخدمة للانسان في التطورات الحديثة انها كثيراً ما تلتهب وتنذر حياته بالموت اذا لم يبادر إلى قطعها للحال .

وان السبب الحقيقي لوجود الطوائف المتعددة في جسم المسيحية في الوقت الحاضر مع انهـا ادركت الضرر العظيم الناتج عن ذلك ، فهو ان كل طائفـة قد الفت من افرادها مجموعا منظما له شرائعه وقوانينه ، فبنت لذاتهـا الكنائس والاندية والمدارس ، ونشرت دعوتها بواسطة الوعاظ ،

والمبشرين ، والكتبة ، والمعلمين ، والوكلاء ، والكهان ، والاعوان ، وعينت لكل منهم عملا خاصا به يتقاضى لقاءه أجرة معينة ، ولذلك لم تبق ثمت من وسيلة لهدم كل هذه المؤسسات وطرد جميع الموظفين من وظائفهم وأعمالهم .

ولا يختلف الحال في الكنائس عما هو في دور الحكومة فان كل عاقل يعرف ان النظام الحاضر السائد في العالم الذي يقسم العالم الى أمم مختلفة لكل منها حكومتها ومصالحها المناقضة لمصالح الاخرى انما هو نظام هادم نهايته الخراب والشقاء ، وبالعكس من ذلك النظام الذى يقول بتوحيد جميع ممالك الارض في مملكة واحدة . ولكن هذا يقتضى للقيام به زمان طويل . فان التنظيم والتوحيد هما أشبه بالنماء ، فاذا جربت أن تعجل فيه فانك تكون كمن يقضى عليه ليفسح المجال للفوضى والاضطراب . مثل هذا حدث في الثورة الافرنسية ومثله حدث في روسيا عندما دحرجوا عرش القيصر وعوضوا عنه بالبلشفية . فعند ماسعى القوم في فرانسا وروسيا الى تغيير النظام القديم وتبديله بنظام أفضل تمّ لهم تحطيم قوى النظام القديم ولكن الفوضى كانت نتيجة اعمالهم ولو الى حين ،

وسدّت في وجوههم المسالك المؤدية الى النظام . ومع ان الناس في جميع أنحاء العالم يرغبون في الوحدة بين الكنائس المسيحية فان هذه الوحدة لمن أشق التغييرات التاريخية لان العادات ، والتقاليد ، والمصالح ، والرغبات المتحكمة في العالم المسيحي يجب أن تتغير كلها وتبدل بما هو أفضل للوحدة الجديدة . وذلك لا يتم دفعة واحدة بل يقتضي له زمان طويل .

وكما سبقت فقلت ، أقول الآن ، ان مايقوم بين الكنائس المسيحية من الخلاف والخصام انما هو تاريخي اكثر مما هو عملي . فان الخلاف الذي يفصل بين الكنيسة الانكليكانية وكنيسة المثوديست ، مثلا ، انما هو خلاف حصل في النظر الى موضوع تسلسل الكهنوت من الرسل الى اليوم ، ولكن الحقيقة التي لامريّة فيها انه قلما يوجد بين أعضاء هاتين الكنيستين مَنْ يُدرك حقيقة هذا الموضوع أو انه على الاقل يهمه أن يدرسه ليَسْبرُ غورَهُ . ولذلك فان الخلاف بين هاتين الكنيستين قائم على اختلاف بسيط في التقليد والعادة ، والطقس ، والتنظيم والشعور . غير اننا اذا نظرنا الى الحقيقة المجردة نرى ان في كل من الكنيستين

أعضاءً كثيرين من خيرة المسيحيين يظهرون بأعمالهم الصالحة وسيرتهم الشريفة انهم يؤمنون إيماناً واحداً بالرب يسوع وزعامته السماوية للحياة البشرية ؛ ويجربون على السواء أن يقتفوا خطواته الصالحة .

والخلاف بين الكنيسة المعمدانية والكنيسة المشيخية (البرسبيتيريان) انما هو قائم على طريقة اتمام المعمودية . ولكنك قلما تجد عضواً في هاتين الكنيستين يؤمن بأن الطريقة التي تتم بها المعمودية سواء كانت بالتغطيس الكامل أم بالرش لها أقل تأثير في تكوين الاخلاق والآداب المسيحية . فالخلاف كائن بين هاتين الكنيستين ولكنه نتيجة لقوة استمرار الماضي في الحاضر .

ولاشك ان العقيدة ضرورية للناس . لان الانسان لايستطيع أن يفكر البتة مالم يكن له موضوع يفكر به . أما هذه العقيدة الضرورية التي سادت وتسود على جميع الكنائس فانما هي المخرج المشترك العظيم الذي يضم جميع صور الطوائف تحت جناحي الايمان بزعامة يسوع والحقيقة الخالدة الكائنة في المبادىء الشريفة التي نطقت بها شفتاه وأيَّدتها سيرته وأعماله في حياته

انني لا أخص بمسيحيتي
الخضوع لأي نظام من النظم دون غيره

« لاتعنى المسيحية بسيرة الانسان مالم
تكن سيرته ثمرة من ثمار أخلاقه الصالحة »

ان مسيحيتى لاتضطرنى البتة الى أن أطبق سيرتي على أى نظام من النظم التي تعرضها هذه أو تلك الكنيسة دون غيرها . فان هنالك كثيراً من الاعمال التي أعملها بفطرتى ولكن هذه النظم تمنعها وتحتقر من يعملها . وهنالك كثير من الاعمال التي تجعلها في مقدمة الواجبات الضرورية ولكننى أهملها في سيرتى وقلما أعبأ بها . لاجل ذلك لاأريد أن أنخرط فى عضوية أية جماعة تريد أن تقيد حياتي بقيود الطاعة العمياء لاوامرها : ولذلك سأظل خارجا عن بعض هذه الجماعات ولكن البعض الآخر الذى لا يتطلب منى مثل هذه الطاعة العمياء أستطيع أن انخرط في عضويته .

فان صحيفة أعمالى حرّة طليقة من سطور الطائفية وبنودها ولم يخطر لى قط أن أفكر في كيف تنظر الطائفية

الى أي عمل من أعمالي قبل أن أقوم به لان لى اليه دافعاً غير ذلك . لان القوة التى تدير سفينة حياتى كائنة أولا في نظرى الى أن أجعل سيرتي مطابقة لمبادىء يسوع الخالدة ، وبعد ذلك في إصغائي الى الصوت العميق في داخل ضميرى ، ومراعاتى لعواطف عائلتى ، وجيرانى ، واخوانى في الانسانية التى أنا عضوٌ منها . ولذلك أبذل قصارى جهودى لكي أطبق حياتى على أسمى العادات والتقاليد العاملة في المحيط الذى أعيش فيه ، والابتعاد عن أى عمل من شأنه أن يزعج سلامة الذين يعتقدون بخلاف ما أعتقد من غير أن أحتقر أياً منهم أو أعترض على مبادئه لانى أعتقد بأن ماعندى من القوة للاعتراض على مبادئه يجب أن أحتفظ به لما هو أفضل من ذلك وأكثر ثمرة للانسانية قاطبة ، وكل ما أطمحُ اليه أن لا أحتقر أحداً من الناس الذين أعيش بينهم وألاّ اتلفظ بكلمة أو أباشر عملا يجرح عواطفهم وحاساتهم مالم تدعُ الى ذلك حاجة ماسّة لابدّ منها .

ولكن هذا كله في عقيدتى لادخل له في الكنيسة او في الدين . لانه مظهر من مظاهر المدنية والتهذيب والعاطفة

الصالحة . فانى لا اعتقد بأن الدين يقوم بالنظم المتضاربة التى تضيّق مسالك الحياة بل هو عبارة عن مبادىء عمومية لتهذيب الروح وتدريب الفكر في مناهج الحق والحياة .

انى لا أقصد بمسيحيتى

انى قديسٌ طاهر

« ليست المسيحية لاقلية مختارة من الناس . لانه ليس على الارض من أمة أو شعب لا يستطيع أن ينتفع من مبادئها »

إذا قلت أنا مسيحي فان ذلك لا يعنى انى قديس طاهر لانى لا أنا بالقديس ولا أنا بالمتظاهر بالقداسة . ولكن الحقيقة التي لامرية فيها انى فردٌ من الناس الذين يرغبون في أن يعيشوا بحشمة وأدب فى المحيط الذي حولهم ، وانى لست بأفضل منهم ولا أردأ من الرديء فيهم . واعرف الكثيرين من الناس الذين لا علاقة لهم مع كنيسة البتة ولكني احترمهم كل الاحترام لشهامتهم الحقيقية وسمو اخلاقهم ، ونقاء

سيرتهم ورقة أرواحهم . وأعرف الكثيرين من الاعضاء العاملين في الكنائس الذين لا يتخلفون عن حضور أية حفلة أو خدمة لكنائسهم ولكنني أودّ مع ذلك جميعه ان اظل بعيداً عنهم سحابة حياتي . غير ان هذا لا يعنى أن الدين لا فائدة منه ، كلاّ ، والف كلاّ ، بل انما يوضح بأجلى بيان ان هنالك كثيراً من الناس ، في الكنيسة وفي خارج الكنيسة ، قلما يدركون من حقيقة الدين ما يدرك كاتب هذه السطور من لغة الصين.

وفوق ذلك فانني لا أقصد البتة بمسيحيتى انى قديس طاهر كما يفهم الناس من القداسة والطهارة . لانى لست من المؤمنين بالعبادات السرية والالفاظ السحرية . فلا اقضى ساعات طويلة في الصلاة . ولا أعتزل العالم اياماً وأسابيع لكي اجتمع بالروح الكلى واحظى بالانشقاق السماوى باتحادى مع روح الله، لانى اعتقد بأنه افضل لى بأن أسعى إلى معرفة ما يريده الله منى بأعمالى وبالقيام بواجباتى اليومية بطريقة تحسن في عينيه تعالى. وانى أذكر ان يسوع قد قال في الانجيل

ما يؤيد رأيي في هذا الموضوع انه في اليوم الاخير سيأتي اليه كثيرون ويقولون له ، « ألم نتنبأ باسمك ، وباسمك ألم نصنع العجائب ؟ » فيجيبهم الرب قائلا ، « لماذا تدعونني يا رب ، يا رب ولا تعملون ما أقوله لكم ؟ أبعدوا عني أيها الملاعين انى لم أعرفكم قط »

على انى قد رأيت فى حياتى من الرُؤى والاعلانات والمظاهر الروحية بمقدار ما رأى أبعد الناس شعوراً وخيالا . ولكن هذا كله لا يستطيع أن يكون لى أساساً راسخا ابنى عليه دعوتى المسيحية ، وقد طالما أثرت في حياتى الدروس والتاثيرات النفسية فعمدت الى درسها وانتقادها والريبة منها ولكننى لا أؤمن بالانذارات السابقة، ولا بالارواح الشريرة والمناجاة والرسالات الروحية. ولا اعتقد بأن الانسان تقوده الارواح في حياته حيثما شاءت بحيث تضيع ارادته ، وذلك بطريقة فائقة الطبيعة . وأعرف انى أحد افراد ابناء الانسان الذين ورثوا الاوهام والخرافات عن اسلافهم المتقدمين على ممر الوف السنين ، وآثار هذه الخرافات ظاهرة في جميع

اعمالهم لكل ذى عينين ولكنني انظر الى ذلك كله نظري الى وسخ أدبى علق بذهن الانسانية. وعليّ كعاقل بصير ان اغسله عن ذهنى ليظل فكري نقياً صافياً. ولذلك فانى اعتقد بان جميع الخرافات القديمة الباقية اثارها وكل ما يخامر نفوسنا بسببها من المخاوف والتخرصات والسحر والرعب أوهام لا شأن لها مع الدين الحقيقي بل هى آثار للبربرية التى نشأ عنها الجنس البشرى

ان مسيحيتي لاتضطرني

إلى اتباع تعاليم يسوع بتذلل والاقتداء بحياته بخنوع

« ان ما اناله من يسوع هو أقصى درجات الحرية »

ان أفضل ما أعبر به عن الحقيقة التى تدفعنى إلى القول بانى مسيحي هو الكلمة البسيطة التى يفهمها كل ذى شعور سليم في العالم انى اجرب ان « اتبع » خطوات المسيح . وهذه الكلمة « اتبع » هي بالحقيقة كلمة جميلة ولذلك أحب مضمونها : فانا لا أجرب ان أقتفى آثار المعلم الصالح بتذلل وجهل مقرونين بعدم الفهم لانني أعتقد بان كل معلم صالح يريد ان جميع المؤمنين به يدركون معنى تعاليمه ويفهمون الغاية من حياته حتى إذا تبعوه عرفوا أين يسيرون . لان يسوع لا يريد أن اتبعه في طريقه صامتاً ، بل يريد ان اتخذ من مبادئه طريقاً خاصة بي اسير عليها حراً طليقاً . فعوضاً عن ان اقول انى اعمل مثل المسيح ، فانى أعتقد بانى أكون تلميذاً أفضل إذا قلت اني أتصرف على وفق طريقتي وانا

باذل قصارى جهدى لجعل هذه الطريقة طبق رغبـة معلمى يسوع . لان الفرق عظيم جداً بين الاقتـداء بالمسيح بذلة وصغارة وبين العمل بتعاليمه عن إدراك حقيقي لفائدتها الخالدة وقـد قال يسوع مرة ، « تعرفون الحق والحق يحرركم » . ولذلك فاني بمعرفتي للحقيقـة المسيحية أحصل على أقصى درجات الحرية

وان من أشرف صفات المعـلم العظيم انه يحررك من عبوديتك ، لانه يقوي وينعش قواك المفكرة للسيادة على مجارى حياتك . ولا يقيد شخصيتك بقيود ثقيلة تربط تعاليمه ومبادئه . لان المبتديء في درس الموسيقى عندما يشرع في تفهم المبادي الاولية والسعي الى تحديها فى عمله يصبح صدى بسيطاً يردد انغاما اردأ مما تعلمه . ولـكنه عنـدما يدرس بيتهوفن وتشوبين فانه يجـد ان افضل ما في نفسـه من الانغام قد استخرج منها من حيث يدري ولايدرى . وانى اعتقدبان وجودى في هذا العالم انما هو واسطة لايضاح حياتى بافضل ما أقدر عليه من التعبير ، ويسرنى أن اسمي نفسى

تلميذاً ليسوع لانه هو الذى يستطيع ان يساعدنى على هذا الايضاح بما لا يساعدنى به معلم سواه .

وعندما أقول أنا مسيحى انما اعنى انى أتخذ مباديء يسوع دليلا لي في حياتى الحرة أكثر مما أعنى انني أتبع جميع وصاياه مرغما . وانا أخص بوصاياه النصائح الخصوصية والارشادات التي كان يعطيها لافراد مخصوصين في ظروف خاصة . واننا عند إعمال الفكرة في درس الانجيل نستطيع ان نميز بين هذه الوصايا الخاصة والمبادىء العمومية التي هى المحور الوحيد لتعاليم المصلح الاكبر ولاعماله على الارض .

ليست المسيحية

في عقيدتي نظام محرّمات ومُقدّسات

« ان إله المحرمات والمقدسات هو دون سواه قد ملأ هذه الارض بالزنادقة والمعطلين لان الاله الذى علمنا يسوع أن نعبده لا يستطيع أحد أن يرفضه أو يكفر به »

انى على أتم الثقة بان كثيرين من قراء هذا الكتاب سيقولون ان مؤلفه لايحق له البتة في أن ينتمى الى دين من الاديان أو ان يدعي بأنه مسيحي من أبناء الايمان . وعندي انأمثال هؤلاء القراء محقون في قولهم الى حد محدود . فانني بالحقيقة كافر في نظر اكثر اديان العالم الحاضرة وفى جملتها اكثر المذاهب والطوائف التى يخيل اليها انها مسيحية . لانى اعتقد بان اكثر مبادئها التى تتمسك بها وثنية صرفة

اما الفرق بين الوثنية والديانة الحقيقية فهو كالفرق بين الوهم الاعمى والايمان الناضج بالمعرفة . فالوثنية تحي بالخوف والزجر عن هذا والنهي عن ذاك من الاعمال . والمبادىء

الوثنية تكاد تكون جميعها نظاماً خرقاء لاستعطاف الله والتفكير لديه . أما طقوسهم واحتفالاتهم فانما يقصدون أن يكفوا بها غضب الالهة عنهم وجميع علومهم وبلاغتهم ومنطقهم موجهة للهرب من انتقام الالهة التي يعبدونها . واما ذبائحهم فلتهدئة حدة غضبها ولتسكين ثائر انتقامها

واني أعتقد بأن كل فرقة من فرق النصرانية تدخل في مسيحيتها شيئاً من هذه الخرافات القديمة تكون وثنية ضالة عن سراط المسيح المستقيم. لانني لا أستطيع ان أتصور البتة ان الله غضوب محب للانتقام . بل أنا أعتقد بالعكس بان الله حليم رؤوف بمخلوقاته التي برأها وهو أب حنون يرحم الخطاة من أبنائه الذين أنا أولهم . فهو يحبنا جميعنا على السواء المرضى والاصحاء ، الاغنياء والفقراء ، الخطاة والقديسين ، والابرار والسفاحين ، ويدير حركة الكون بحكمته لما فيه خيرنا وتقدمنا اجمعين

واعتقد بان الله تعالت حكمته لم يكن قط في حاجة الى ذبائح العجول والتيوس . كلا ، ولم يكن قط وحشاً ضارياً لا يلذ له سوى سفك الدماء البريئة والتلذذ بشربها . وكل مانراه

في العهد القديم من هذه الفظائع التى كان ينسبها العالم الى شخص الله تعالى إنما هو نتيجة لان عقيدتهم بالله لم تكن قد نضجت بعد. وقد جاء يسوع لكي ينقض هذا الرأى الناقص ويقدم للعالم تعليمه الخالد بابوّة الله ومحبته ورحمته الغير المتناهية وقد خلص العالم بتعليمه الذي قاده أخيراً إلى الصليب فقبله طائعا ليؤيد بآلامه عليه جميع تعاليمه الخلاصية

لاجل ذلك سيبقى صليب يسوع إلى الابد أسمى مثال للالوهية المتجسدة على الارض. أما العواطف التى تختلج في قلبى لاكرام الصليب والحقيقة الخالدة التي يمثلها الصليب فهى لا تقل اخلاصا عن عواطف أى كان من خلاصة رجال الطقوس والحروف. ولكننى اعتقد بان هذه العاطفة يجب ان تكون حرة طليقة من قيود الرياء والتصنع

ان الرجل العادي من الناس عندما يقول انهذا الانسان تقي ورع بطبيعته إنما يعنى أولا: انه قد قيّد فكره بقيود عقائد وآراء مقررة، وكثيراً ما تكون في مواضيع لا يعرف عنها شيئا، أو ثانيا: انه تقي في ممارسة الطقوس والاحتفالات، من مثل الذهاب إلى الكنيسة، والسجود

في وقت الصلاة والاماتة بجميع اصولها وفروعها ، والمحافظة على السبت وأمثال ذلك ، أو ثالثا : انه يحظر على نفسه التمتع بملذات معينة ، فانى عند ماكنت صبيا كان على التقى الصالح ألاّ يلعب (بالورق) ، والا يذهب إلى المسارح العمومية وألا يرقص أو يحضر سباق الخيول

وربما نظر الناس في هذا العصر إلى هذه الامور نظرتهم إلى أشياء تافهة ولكن الحقيقة الناصعة ان هذه هي اقدم ديانة في العالم . هي ديانة المحرمات والمقدسات ، ديانة البركات واللعنات . فان الوفا من السنين قد مرت على الدين قبل ان بدأ ينظر إلى تعليم الآداب ، فقد كان في كل ذلك الزمان الطويل منشغلا بتنفيذ النظم والشرائع التى تعلمك ان هذا الشيء مقدس وذلك ملعون مُنجس . ولم يعرف التاريخ أمة من الامم الهمجية التي لم تكن لها محرماتها أو الاشياء المحظورة عنها ، ومقدساتها أو الاشياء المباركة عندها . ولا يزال حتى اليوم كثيرون من الناس ، الذين يخيل اليهم انهم متمدنون ، يحصرون ديانتهم بالمحرمات والمقدسات .

هذا هو جوهر الديانة الفريسية التي ثار عليها يسوع

ليستأصل شأفتها من الارض . وقد انتقده الفريسيون مرة لانه فيما كان يمشي بين الزروع قطف بعض سنابل الحنطة وفركها بين كفيه وأكل حبوبها في يوم السبت . وهذا ما دعا يسوع إلى التصريح بقضائه العادل على ديانة المحرمات والمقدسات بقوله المشهور ، « ان السبت قد جعل لاجل الانسان وليس الانسان لاجل السبت » .

واذا قيل لك ان هذا الرجل كاثوليكي « فاضل » أو ابيسكوبالى « فاضل » أو مسيحى « فاضل » فانما يريد القائل ان يبرهن لك ان هذا الرجل الفاضل هو شديد التعصب في المحافظة على الطقوس المقررة في مذهبه في شأن المحرمات والمقدسات لا ان يوضح لك ان هذا الرجل فاضل لانه ذو روح طيبة محبة للخير والفضيلة

فان اكثر الناس يعتقدون بان الدين هو دعوة الى الحرب فهم اعضاء في هذه الكنيسة كما ان الجنود اعضاء في ذلك الجيش . لانهم ينظرون إلى الدين نظرتهم الغبية إلى الوطنية العمياء التى هى ثمرة من ثمار خرافة تفريق العالم إلي أمم وممالك مختلفة يحارب بعضها بعضا . ولما كانت هذه العاطفة المفرّقة

البشر الى فرق فرقٍ ؛ قديمة العهد ممتلئة من الشر يسهل على الناس الشعور بها، فان الكثيرين من زعماء الكنائس يستلذون نشرها وتعزيزها

اما أنا فلا اعتقد بان الدين واسطة للتفريق . فسواء عندي سميته باباويا أو أسقفيا أو معمدانيا أو مشيخيا أو غير ذلك من الطوائف المتعددة ، فما هو فى عقيدتى الاوثنية حمقاء كالتى نشاهدها بين البرابرة في جزائر سليمان أو في اواسط أفريقيا ، بل هذه هي الديانة الفتيشية (١) بعُجَرها وبُجَرها . واذا كانت هذه هي الديانة الحقيقية فانى سعيد فخورٌ ان اكون كافراً بها وبعبادتها . وكثيراً ما أجد بعض اثارها ما برحت عالقة بفكرى فاشعر بخجل عظيم في أعماق قلبي .

أجل ان يسوع المسيح لم يعلم قط بمثل هـذه الديانة ، ديانة المحرمات والمقدسات . والاله الذي أعبـده بروحي

---

(١) العبادة الفتيشية أحط الاديان الوثنية ، وتوجد باشكال مختلفة عند الامم المتعمقين في الجهالة نظير سودان أفريقيـا . ويراد بالتفتيش الشيء الذي له روح أو خيال عن الروح كالشجرة والصخر والبيض والشوك والحبوب والبلح والقرن وعروق الحشائش وما أشبه ذلك المعرب

وأؤمن به من اعماق قلبي لن يرضى بتة أن أجهد نفسى بالجوع والجلد والتعذيب والاماتة والركوع ساعات طويلة لقهر الذات أو غير ذلك من الطقوس المقاومة للحياة ، بل هو بالعكس يريدنى ان اكون قويا جريئاً وديعاً حليماً ، وان استعمل كل ما عندى من العواطف ، وان افكر بكل ما أوتيت من الفطنة والادراك ، وان أعيش ممتعا بخيرات الارض حراً الى أقصى ما تبلغ اليه الحريه المقدسة ، هـذا هو الاله الذى استطيع ان أعبـده وأؤمن به أما إذا كنت على ضلال في عقيدتى وكان إله المحرمات والمقدسات هو الاله الحقيقى فاننى لأفضل ان اكون بعيداً عنه حائزاً على سُخطه دون رضاه . لاننى بالحقيقـة أوفر صلاحاً من مثل هذا الإله . والإله الحقيقى الذى اريد ان أعبده إنما هو أبو ربنا يسوع المسيح الذى هو افضل منى ومن جميع الناس بما لا قياس ولا حد له

لاجل ذلك اثق بان إله المحرمات والمقدسات هو دون سواه قد ملأ هذه الارض بالزنادقه والملحدين . لان الاله الذى علمنا يسوع ان نعبده لا يستطيع إنسان ان يرفضه أو يفكر به . ولكن الاله الذى ابقت لنا الوثنية عبادته ، الاله

السفاح الغيور ، المنتقم الظالم لاعجب اذا رأينا الناس يثورون عليه . ولولا انتقال فكرة هـذا الاله الظلام المحب لسفك الدماء وقتل الابرياء وسدل الحجب الكثيفة على مبادىء يسوع الشريفة، لما قرأ العالم شيئا من تهكمات فولتير وغيره من المعطلين . ولو عقلت الطوائف التى يشاق بعضها بعضا لعدلت عما ورثته من المسيحية فاستأصلت جميع اعدائها

الجوهر الحقيقى الذى أنظر اليه

في المسيحية

« ان الكنيسة تمثل أفضل ما يستطيع البشر السقماء بافكارهم المتلمسون طرقهم فى ظلمة الحياة ان يفعلوه بوحي عجيب »

ان جوهر المسيحية كائن فى الحق الذى أوضحه يسوع بتعاليمه . هذه هي نفس القضيـة المسيحية ويجب ان يميز الانسان بينها وبين جسدها تمييزاً صادقا . أما جسد المسيحية فهو ممثل بالجمعيات المختلفة التى أنشئت لتأييدها والسيربها إلى الامام . والنظم والعقائد المتعددة لتنظيمها وترتيبها . ولكن هذا الجسد سقيم عليل ، فقد طرأت عليه تغييرات متنوعة على كرور الاجيال التي مرت به وسيظل عرضة للتغييرات الاجتماعية كما ان أجسادنا البشرية تتغير أبداً بشريعـة النمو والانقراض . ولكن النفس تعيش الى الابد ولا تؤثر فيها تقلبات الزمان أو حوادث الايام .

وكم هنالك من ذوي العقول الكبيرة الذين يتركون

السكة السلطانيـة ويرمون ذواتهم في الحفر والاخاديد . لانهم يخلطون بين نفس المسيحية وجسدها . يعني أنهم ينظرون الى الكنيسة نظرهم الى المسيحية

لانه اذا كانت المسيحية عبارة عن الكنيسة لا أكثر ولا أقل فان عليها أن تؤدي جوابا عن الخطايا الكثيرة والجرائم العديدة التي اقترفتها الكنيسة على ممر العصور كجمعية من الجمعيات البشرية . فان ما صدر من بعض زعماء النصرانية من الغلو في التعصب ، والترفض ، والظلم ، والطغيان والطمع والجشع وراء الرئاسة وحب الصدارة لا تتفق البتة مع روح المسيحية النقية الطاهرة الفاتحة قلبها لكل من يقبلهـا أمام وجه الشمس .

ويجب علينا أن نضع نصب أعيننـا ان ما تسميه عامة الناس مسيحية ليس من المسيحية بشيء ، بل هو اكداس مكردسة من التقاليد الموروثة ، والرغبات المحشوة بالحماسة والمخاوف والاوهام المختومة بخاتم المسيحية .

ان الكنيسة تمثل أفضل ما يستطيع البشر السقماء المتلمسون طرقهم في ظلمة الحياة ان يفعلوه بوحي عجيب .

ويلوح لى ان الكنيسة تتقدم في كل يوم بخلع ما ورثته من التقاليد الوثنية الرثة ، ولكنها لا تزال عليها مسحة من صبغة الاجيال المتوسطة السوداء .

ومع كل ذلك فان القوة الكائنة في يسوع والوحي السامى المتدفق من ينابيع تعاليمه عظيم بهذا المقدار حتى ان القليل منه الذى تتمسك به الكنيسة قد كان كافيا لتأييد كل ما نشاهده من الخير والصلاح في أعمال الكنيسة

وانى اقتطف بهذه المناسبة فقرة من أقوال هافلوك اليس الذى قال فيه المستر مانكن ، « لا أشك بتة في ان هافلوك اليس هو اوفر مدنية من جميع الانكليز الاحياء » . وقد اوضح بهذه الفقرة كيف ان الهيام النقي الذى يختلج فى قلب الراغب في درس الدين وتعرف اسراره كثيراً ما تقبض عليه اشباح الماضى وتقيده بطائفة من التقاليد العمياء التي تغل ارادته وتقوده حيثما شاءت وطاب لها الهوى . قال :

« ان نير التقاليد ، والمجامع ، والطوائف ، والعشائر ، قد طالما كان ضربة قاضية على العاطفة الدينية كما على العاطفة العلمية . ولا اجد بى من حاجة الى ايضاح الطريقة التى يقضى

بها ثقل هذا النير على العاطفة الدينية . فان هذه الحقيقة واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار ، لانه عند ما تدبت نبتة العاطفة الدينية في نفس من النفوس الفتية تتراكض غيلان الكنائس من كهوفها فتقبض على الضحية التاعسة للتأثير الالهى في قلبها وتشرع فى التأكيد لها بان ما تشعر به من الهيام الدينى ليس مظهراً من المظاهر الطبيعية الحره كنور الشمس الجوادة كقلب الزهرة ، بل انما قد طبع بطابع القوة الفائقة للطبيعة وقيد الى الابد بقيود العقائد النظرية الميتة وهكذا تقع النفس الفاتحة قلبها لاول مرة لنور الدين فريسة لطمع هيامها فيطبق عليها الفخ وتمسى سجينة بائسة يسير بها دليلها الاعمى الى حيث اراد : فينتف الريش عن جناحيها ويجردها من كل ما فيها من قوة ورفعة حياة ، وهكذا يقضى عليها قضاء مبرما فتظل راسفة في قيودها الى الابد . »

ما هى القوة المجددة في المسيحية

ماذا يغير فكرك من مبادئها ؟

« غاية المسيحية الرفعة لا الاقناع »
اغناطيوس

اذا قلت انك قد غيرت فكرك فانك تعنى اكثر من انك غيرت رأيك أو انك تشعر بخلاف ما كنت تشعر به قبلا. بل انت تقصد اكثر من انك قد بلغت الى رأى جديد غير رأيك القديم. ولكننى لا استطيع ان اعبر عن هذا التغيير الفكرى تعبيراً صحيحا، بيد انى اشعر بانه اعمق واقصر من جميع ما ذكرت من التبديلات .

على انى قلما يهمني ان اقدم اسما علميا لهذا التغيير لاني انما اكتب لقوم يريدون ان يفهموا جوهر موضوعي لا ان يشغلوا اذهانهم بالاصطلاحات الوضعية والتراكيب العلمية .

ولكن كيفما كانت هذه القوة المجددة فى المسيحية فهي قوة تغير فكر الانسان لانها تزيد في ترقيته ونموه ، فينال منها اضعاف ما فيه من الترقب والسهر . فهي والحالة هذه

قوة عظيمة تهدمه ثم تبنيه افضل مما كان .

ومن شر الاوهام السائدة فى العالم ان العقول البشرية تتغير ، أولا بالدليل والبرهان ، ثانياً بالخوف .

ولكن الدليل لا يؤثر بغير العقل . والعقل ليس بالحقيقة سوى مدير للشخصية الانسانية ينظم قوتها ولكنه لا يستطيع أن يجهزها بقوة جديدة .

وانك اذا أعملت الفكر فى حياتك اتضح لك ان افضل ماظهر لك من الحقائق في الوجود انما كان نتيجة للنمو فى القوى الفكرية الداخلية والحصول على خيال أبعد من الصعود الى أعلى ما تبلغ اليه قواك حيثما استطعت ان تبصر أفضل ما في الاصقاع التى أشرفت عليها من المناظر الجميلة .

وكثيراً ما تشعر بتغيير عظيم في فكرك ولكنك لا تعرف كيف حصل ذلك التغيير ولا من هو الذى أحدثه فيك ، لان أعظم ما يطرأ على حياة الانسان من التغيرات الفكرية انما هو تلك التغيرات التى يعجز الانسان عن ادراك أسبابها .

وأما تغيير الفكر الناتج عن الدليل أو البرهان فهو

تغيير محدود . لانك اذا أقنعت رجـلا بادلتك وبراهينك وارغمته على التسليم لك بعقيدتك لانك تستطيع ان تتكلم بصوت أعلى من صوته ولك جلد على الـكلام أكثر منه ، أو لانك أكثر منه دهاء وأوفر حيـلة ومكراً ، وهو بطيء الذهن ضعيف الحجة بالنسبة اليك، فانه ربما يقول لك، «حسن يا صاح ، فأنت محق في أدلتك وبراهينك ، وأنا مخطىء في عقيدتي . ولذلك اسـلم لك . » وربما ذهب الى بيتـه مقتنعاً بصدق رأيك، ولـكنه في الغالب يعود إلى ذاته في الليل ويراجع أقوالك وأقواله فى الموضوع فيتذكر انه كان يجب ان يقدم كذا وكذا من الادلة لنقض أدلتك ولكنه لم يفعل ذلك لانك لم تترك له مجالا . ولذلك تتسرب الريبة الي ذهنه فيعود الى رأيه الاول معتقداً انك مخطىء دونه . ولـكنك إذا طرحت أمامه موضوعاً وطلبت اليه ان ينظر فيه ويقرر خلاصـة ما تبلغ اليه نضاجة عقله فان التغيير الذى يصير اليـه يكون معتدلا ثابتاً ، لانه يعرف اذ ذاك انه قد اقدم بملء اختياره عليه ولم يضطره أحد اليه .

لاجل ذلك لم يحاول يسوع ولم يقدم ادلة او براهين

على ما جاء به من الحقائق فقد اقتصر على تقرير ما كان يريد ان يقوله بقوله « قد سمعتم انه قيل — كذا وكذا ، أما أنا فأقول لكم — كذا وكذا » . هذا كل ما كان يقوله ولم يجرب قط ان يبرهن على صحة قوله . وليس هذا نتيجة لما كان له من السلطان العظيم ، بل هو طريقة المعلم البالغ المعرفة في الشريعة الملائمة لجميع النفوس . فقد عرف ان الاشارة الى الحقيقة افضل من البرهان على صحة الضلال .

لان افضل المعلمين هو ذلك الذى يحمل كيس بذاره ويسير في حقول العقول البشرية زارعاً كيفما سار . فهو يبذر بذاره ، لكى يفرخ وينمو ، ولكنه لا يملأ سلة من التفاح او صهريجا من السوائل لان الفكر الانسانى لا هو بالزنبيل ولا هو بالبرميل . بل هو كائن عضوى حي قابل للنماء .

وكل ما نحتاج اليه في طور تغييرنا ونمائنا ان نفتح عيوننا ونبصر الحق ونجنى من ثماره اليانعات .

اجل ، بل يجب ان نأكله خبزاً حياً ونشربه ماء محيياً ، لكى يجرى مجرى دمائنا في عروقنا ، ويختلط بطبائعنا وافكارنا . لان المعلم الاعظم قال ، انه هو خبز الحياة وماؤها وخمرتها

المنعشة . واما الحقائق المتراكمة بعضها فوق بعض التى نتعلمها عن طريق عقولنا فما هي الا طريقة للنمو في الحق ، كما ان القواعد المسطرة التي يقرأها المبتدىء في تعليم السباحة انما تظهر له كيف يسبح . فالحقائق العقلية لها مركزها ، وقواعد السباحة لها مركزها ، ولكن لا هذه ولا تلك تستطيع ان تأتي بثمرة ما لم تمتزج بدقائق الحياة .

وهذا ما أراد يسوع أن يظهره لنا بقوله ، «يشبه ملكوت السماوات خميرة أخذتها امرأة وخبأتها في ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع .»

فان انتصارات المسيحية كلها انما كانت تجرى على نحو المنوال الذي به تخمر الخميرة الصغيرة العجينة كلها . فقد انتشرت المبادىء المسيحية الاولى فى جميع أنحاء العالم ونمت وتكاثرت بين جميع الامم والشعوب كما تنمو الجرثومة الصغيرة وتنتشر وتتكاثر في جميع دقائق دم الانسان . وهذه هي قوتها التى لا تقاوم .

وقد استعمل يسوع تشبيهاً ثانياً للمسيحية بقوله «انتم نور العالم» لان نمو المسيحية كان أشبه بنمو أشعة الشمس الضئيلة

عند الفجر التى تنير العالم ببطء مبددة ضباب الجهل والغباوة .

وانى أحب ان اتصور يسوع كشجرة ورد مزينة بالورود النضيرة قائمة في وسط بستان التاريخ ، تعطر فكر العالم بعبير زهورها .

وقد أوضح الشهيد اغناطيوس هذه الحقيقة فى رسالته الى المسيحيين في رومية حيث قال ، « ان غاية المسيحية الرفعة لا الاقناع . »

وانى لا احتاج الى برهان لكي اوضح ان الخوف من العقاب والرجاء بالثواب لا أثر لهما في تغيير طبائع الناس . وربما كان لهما بعض التأثير في ادارة اعمال الانسان ولكن لا سلطة لهما على تغيير افكاره .

لذلك يجدر بنا الا نتوقع من الخوف من نار الجحيم او الرجاء بفردوس النعيم ردّ الناس من الضلال الى الحقيقة ، بتبديل طبائعهم ، لان مثل هذه التأثيرات انما تتناول سلوك الانسان دون اخلاقه .

ولم تكن خيبة الانسان في اعماله من اعتماده على الخوف من العقاب والرجاء بالثواب فحسب ، بل هنالك كثير من

القوات التى اعتمد عليها وخاب بها سعيا لان كل هذه القوات كانت وقتية باطلة . وكثير منها كان شريراً اضر بالانسان اكثر مما نفعه . ولذلك اعتقد بان جميع ما اثمره منطق اللاهوتيين من الاثار ، وجميع الاحتفالات الطقسية التقليدية التى ورثتها الكنيسة عن الوثنية ، والكرامات والحمايات الخاصة وجميع العطايا المالية التي نالها رجال الكنيسة من الملوك والامراء ، وجميع المساعدات والحملات الصليبية التي قاموا بها للدفاع عن الايمان قد اقامت عقبات كأداء في طريق انتشار المسيحية اكثر مما ساعدت على نشرها وتعزيز مبادئها . اما انتصار المسيحية الحقيقى فانما كان بنمو شجرة الحق التدريجي في فكر الانسان بقوة لاتقهر . وتقدم الانسانية المطرد الذى لا بد منه ، الذى جاء نتيجة للمبادىء السامية التي بزغت انوارها من حياة يسوع وحكمته في العالم .

اما القوة المجددة في المسيحية فتتألف اولا ، من الاشارة الى الحقيقة دون البرهان عنها . ثانيا ، من التأثير الشخصى ، واعنى به القوات الكائنة في خميرة الحق الذى بشر به يسوع والمحبة التي غرسها في اذهان ابناء الانسان .

ماذا أرجو من مسيحيتي

« اننى لا أريد أن أضمن حياتي بل أود أن أهذبها »

ان ما ارجوه من المسيحية هو نفس ما يرجوه منها العالم بأسره ، وما انا في حاجة اليه منها يحتاج اليه العالم بما لا يقل عن حاجتى ، وأنا لا اعنى بالعالم المسيحيين فحسب ، بل سائر ابناء الانسان قاطبة .

فانا لا ارجو من الايمان الناضج ان اخلص نفسى ، بل انما التمس ان اتعلم كيف اعيش في هذه الحياة كما يليق وينبغى . لاننى لا اريد ان اضمن حياتى بل اودّ ان اهذبها . ولا رغبة لى فى الهرب من الغضب الآتى ، بل انا راغب في الحصول على قوة كافية استطيع بها ان اقوم بالجهاد الحسن في معركة الحياة القائمة حيثما ولدتنى أمى . ولا اطمع من وراء إيمانى بنوال البركة في العالم الآتى بل انما انشد منه ان يساعدنى على الحياة بطمأنينة وقناعة في جميع ادوار وجودي . ولا ارجو ان انجو من عذاب الجحيم واهوال نيرانه بل إنما اتوق الى الخلاص

والنجاة من الفوضى السائدة فى العالم . وبالاجمال فانني آمل من ايماني أن أنمي رغباتي الطبيعية العادلة وأقويها واستثمر قواى الادبية وأحييها لكي أتمكن من ان احيى حياة هادئة معتدلة . لانني لا التمس من مسيحيتي النجاة من شيء ما ، بل انما ارغب فى ان احصل منها على قوة تساعدني فاطبق ذاتي على كل شيء .

فان الفلسفة وحدها لا تكفي لهذه الغاية . ولذلك أنا في حاجة الى الدين . لانني احتاج إلى قوة تنظم غرائزي ، وانفعالاتي النفسية وقواي العقلية . وانني أجد كثيراً من المساعدة في أقوال الحكماء من مثل بنيامين فرانكلين وكونفوشيوس وسقراط وامرسون وغيرهم . ولكنني لا أجد فى أقوال هؤلاء الحكماء ما أجده في يسوع من الوحي النقي لاظهار الحق السامي ، والفهم الكامل لطبيعة القلب البشري والمجتمع الانساني ، والقوة العجيبة النابعة من شخصيته الفريدة فى العالم .

على انني لا اريد أن احقر من قدر التاريخ المسيحي وما فيه من الاختبارات العديدة . فقد كان وراء جميع الاغلاط

والاوهام التي تسلطت على الناس قوة حقيقية مستترة . وقد كانت هذه القوة دليلا للاولاد الصغار من الصبيان والبنات في حداثتهم . وكم بعثت في عزيمة الرجال من غريبة في مغامراتهم وجبرت قلوب النساء وسكبت فيها بلسم التعزية في أوقات الاضطهاد والتجربة

أجل، ان اختبارات المسيحيين في العالم هى مخزن ممتلىء من الكنوز الثمينة . ولا يمكن ان ننسبها كلهـا إلى الاوهام والخرافات . لان تأثيرها في الاخلاق والتهذيب الانساني عظيم بهذا المقدار حتى لا يستطيع أحد على انكاره

ولكنني أعتقد بان هذه القوة كلها قد نبعت من معين الحق الواحد الذى بشر به يسوع، ومن التأثير العجيب الذى أحدثته وتحدثه شخصيته الفريدة في القلوب . ولذلك يجدر بنا ان نميز هذا الحق الخالد وما علق به من الاوهام والخرافات الوثنية على ممرّ الاجيال الماضية

فقد حدث لى ان جاءت الساعة التى اضطررت فيها الى الفصل بين الزوان والحنطة ، والتخلص من الاقذار والقشور والحصى ، المختلطة مع حنطة يسوع النقية . لانى لم أقدر ان

أقدم على ما يفعله الكثيرون غيرى من رفض الحبوب كلها بحجة انها ممزوجة بزوان الوثنيـة وقشورها . وكما اننى لم استطع ان أهضم الفكرة القائلة بوجوب قبول جميع النفاية والسقاط والهذيان والهذر التقليدى المُعنْوَن باسم « المسيحية » الذى يتمسك به الكثيرون من منتحلى اسم المسيحية ويحترمونه .

وبعبارة وجيزة فاننى لم استطع ان اجاهر بالكفر والالحاد ، لاننى لم اقدر ان أميت الايمان الحي في قلبى بأن هنالك حقاً خالداً في المسيحية لا يمكن رفضه . وفى الوقت ذاته لم أقدر ان اكون مسيحياً فريسياً متصنعاً ازدردُ التقاليد والعادات ازدراداً من غير ان أعرف شيئاً أو اسعى إلى معرفة شيء عنها وعن حقيقتها — لم افعل ذلك كله لانى لو فعلته لكنت كاذباً مكاراً

ولذلك نشطت أخيراً واخترت الطريق الصالحة لذاتى وشرعت في التمييز بين الجوهري والعرضى ، بين الادبى الحقيقي وبين النظري الوهمي ، بين الغيرة الأدبية والحنين

المتأجج للفضيلة والجمال الروحى في الجانب الواحد ، وبين مجموعة النظريات والعقائد الخرقاء التي تسوق الناس بالدبابيس والسياط ، المجموعة النصف همجية البعيدة عن الفطنة التى يسميها الواهمون من ابناء الانسان دينا، وما هى عند التحقيق سوى مجموعة مخاوف سوداء من أهوال النواهي والمحرّمات، وخلاصة رغبات عمياء في السعادة الكاذبة الكائنة فى المقدسات والمباركات

المسيحية فى الشرق

« اننى لا أعتقد بان أديان الشرق الاقصى سيكون لها من التأثير القتال على الحقيقة المسيحية البسيطة متى انتشرت بينها ما كان للاديان الوثنيــة في شعوب البحر المتوسط من التاثير الشرير على هذه الديانة الشريفه »

ان ما احدثتــه المسيحية من التأثير في خارج الممالك النصرانية عموماً ، وخصوصا فى بلدان الشرق الاقصى ، قد كان له أجمل وقع على قلبى . واننى اعتقد بانه لو كان في الامكان حصر المسيحية بخلاصة مبادئها الاساسية فان جميع الشعوب الغير المسيحية ما كانت تتردد برهة فى قبولها ديناً لها . لأن المرسلين الذين يرسلون الى العالم الوثنى ينجحون في أعمال بشارتهم بمقدار ما يتناسون ذكر الكنائس التي أرسلتهم . فان الطائفية هي اكبر عقبة تقوم في سبيل جميع سائر الامم الوثنية الى حظيرة المسيح . فالطائفة الرومانية البابا وية والبرسبيتيرية (المشيخيه) والابيسكوبالية (الانكليكانية) والمثوريستية ،

وغيرها من الطوائف المسيحية كلها عقبات كأداء في طريق المسيحية . ولو استطاع العالم المسيحي بأسره أن يتفق على إرسال مبشرين الى البلدان الوثنية يشترط عليهم ألاّ يقولوا كلمة واحدة في خصوصيات الطوائف التي ارسلتهم ، بل أن يحصروا رسالتهم بالبشارة بحياة يسوع المسيح ، ونشر تعاليمه ومبادئه الحكيمة فانه ما كان ينقضى القليل من الزمن حتى نرى المسيحية منتشرة منتصرة في كل مكان تحت الشمس

وانى على أتمّ الثقة بأن الطريقة التى أتكلم بها عن الكنيسة ربما يسيء البعض فهمها فتعرضنى لاقتبال سهام الانتقاد الحادة ، لان اكثر الناس يستحيل عليهم ان ينظروا الى الدين إلا بالنظارات التى يقدمها لهم تعصبهم الاعمى لطائفتهم .

ولكننى لا أبالى والحمد لله ولَنْ أبالى بما سينالنى من سهام الانتقاد الجارحة في سبيل ايضاح الحقيقة التى أؤمن بها بتمام الصراحة .

على ان التنظيم من القضايا الكثيرة التعقيد فى الاجتماع البشرى . ففي بعض الاحيان يخيل الينا انه يقتضى لنشر

حقيقة من الحقائق ان نؤلف لها جمعية تناصرها و نبث الدعوة بها في جميع الجهات والبلاد . وفي اكثر الاحيان نرى ان الجمعية ذاتها التى الفناها لمناصرة الحقيقة المرغوب فى نشرها قد كانت أهم عقبة في سبيل نشر تلك الحقيقة . ومن غريب الامور ان هاتين النتيجتين لا بد منهما في أية جمعية كانت فالجمعية تنصر الحقيقة التى أنشئت لاجل نشرها بين الناس من جهة ولكنها تعوق سيرها من الجهة الاخرى وقد خبرت هذا بنفسى فيما مضى عليَّ من السنين . فقد حصلت على منافع جليلة من الكنيسة ، ولكن الكنيسة قد عوقت في نمو الكثير من مواهبي وأفكارى

على ان الطريقة الوحيـدة التى وجدُتها لحل هذه الاحجية أن اعتقد بأن الكنيسة شجرة مثمرة تنمو وتتكيف مع الزمان . وقد كانت لها منفعتها في العـالم بما اخرجته من الثمار اليانعات. وأما الحقيقة التى نشأت منها فكانت حتى اليوم مبرقعة ببراقع الجمعيات والطائفيات . ولكننى أظن اننا اليوم في دور انحلال هذه الجمعيات والطوائف . بيد اننى لا أدري اذا كنا سنؤلف لنا جمعيات جديدة غيرها . لانه يستحيل

عليّ أن اعتقد بان العقل العادى يستطيع أن يقبل أية حقيقة كانت مجردة عن جمعيـة أو طائفة تعضدها . ولكننى أؤمن من اعماق قلبي بأن قصة يسوع البسيطة السهلة، وتاريخ حياته وتعاليمه يكون لهـا تأثير أشد وأقوى إذا فُصلت عما علقته عليها الطائفيات من الزخارف والبهرجات

وفي عقيدتى أن المسيحية ستصادف انتصاراً أعظم في الشرق مما صادفت في الغرب . ذلك لانها لن يقضى عليها أن تغوص في أوحال المجادلات العقيمة التى غاصت فيها في العالم الغربى . لان جميع هذه الخصومات لا تبلغ الى الشرق الا ضعيفة ممزقة كل ممزّق ، ولكن قصـة يسوع المسيح ، وجمال الحكمة البالغـة والقوة الساميـة التى في أقواله وأعماله تصل الى الشرق بكل ما كان فيها عند حدوثها من القوة والحياة .

لان الفكر البشري يؤلف نصف كل حقيقة يمسك بها . فاذا اخبرتك حقيقـة زرقاء وكان فكرك أصفر اللون فان النتيجة تكون خضراء . وليس في العالم حقيقـة غير قابلة للامتزاج بغيرها، وذلك ينطبق على المسيحية كما ينطبق على

غيرها فقد انتشرت أولا في العالم الرومانى، فامتزجت بالوثنية الاوروبية، وكانت النتيجة مزيجاً من التقاليد والعادات يسميه الغرب اليوم مسيحية

ولكن يسوع كان بالحقيقة شرقياً، ولذلك اذا امتزجت بشارته بالفكر الصيني واليابانى والهندى، فانه سيكون لنا منها شكل جديد لا شك في أنه سيكون افضل من شكلها الحاضر.

وانى لا أعتقد بأن البوذية والكنفوشوسية والبرهمية وغيرها من أديان الشرق الاقصى سيكون لها من التأثير القتال على الحقيقة المسيحية البسيطة ما كان للوثنية المنتشرة بين الشعوب القاطنة على شواطىء البحر المتوسط من التأثير الشرير الذى كاد يقضى على النور النقى المنتشر من رسالة يسوع .

وقد أجاد المستر ألفرد . ي . زِيّمارْنْ حيث قال :

«مَنْ يدرى اذا كانت أسيا وأفريقيا، بمالهما من الحرية الواسعة على استخدام اختراعاتنا والانتفاع بنتائج ابحاثنا

الغربية من غير ان تقف تقاليدنا عقبات في طريقهما، ستقدمان لنا دروساً ابتدائية نستطيع بواسطتها على ادراك حقيقة يسوع وجوهر القوة الكامنة في المسيحية . غير انه يجـدر بنا نحن أبناء الغرب . الورثاء الشرعيين لماضينا ، وقد بلغنا الى وقت أثقلت فيه كواهلنا الوصية التى تركها لنا اجدادنا بالفكر غير الصحيح والشعور الكاذب ، أن نشرع في تنظيف الخرائب الباقية لنا بترو وتمهل »

لماذا أنتمي الى الكنيسة

« لو كانت الكنيسة كاملة لما كنت انتسب اليها بتة ، لانى لا أحسب نفسى أهلا للامتزاج بمن كان كاملا من النـاس ، ولو كان لى ذلك لما كانت لى منه تعزية »

لا شك أن كل من سيطلع على هذا الكتاب سيخطر له أن يسألنى ، ما هي علاقتك بالكنيسة ؟ فقد أوضحت غير واحدة من أغلاط الكنيسة وكنت في بعض الاحيان قاسياً في انتقادى لها مستلفتاً الانظار بنوع خاص الى استقلالى عنها وحريتى الخاصة . ولا ريب في أن هـذا يدعو القارىء الى السؤال هل يخص هـذا الرجل كنيسة من الكنائس ، وان كان كذلك فلماذا ؟ وما هى الكنيسة التى ينتمي اليها ؟

وها أنا أجيب عن السؤال الاخير أولاً . فلا أريد أن أسمى الطائفة التى انتمى اليها الآن ، ليس لانى أستحى بها بل لانى اعرف الطبيعة البشرية معرفة صحيحة . وأعرف انه حالما يعرف القارىء العادى انى برسبيتيري مثلا ، أو رومانى

أو معمدانى ، أو ابيسكوبالى أو من هـذه الطائفة أو تلك ، فانه للحال يدمغنى بطابع تلك الطائفـة ويقيدنى بقيودها وعقائدها ناظراً اني كمن يتكلم بلسان طائفة معينة ، لا كفرد من البشر ذي نفس انسانية عامة حرة مستقلة . فيضع نصب عينيه انني أتمسك بكل العقائد والنظم التي يخيل اليه ان تلك الطائفة تتمسك بها

ولذلك اكتفي بان أقول انني عضو في إحدى الكنائس المسيحية المتفرعة من شجرة كنيسة يسوع المسيح ، وكل ما اكتبه هنا يمكن ان يكون صادراً من أى عضو كان من الاعضاء المنتمين الى جميع الطوائف المسيحية على السواء

غير انني سأعالج هذا الموضوع من الوجهـة التى انظر اليه بها دون سواى من الناس . فلا أريد أن أبذل جهودى للدفاع عن الكنيسة كجمعية ضرورية لا بد منها لحياة الانسانية بل جلّ ما أريد أن أوضح للقراء لماذا أحتاج الى الكنيسة ، ولماذا أحبها وكيف تنفعني

انني لا انتمي إلى الكنيسة لانها كاملة أو معصومة عن الخطأ . فهى ليست كذلك في عقيدتى . والحقيقة التى لا مرية

فيها انها لو كانت كذلك لما كنت أنتمي اليها بتة ، لانني لا أحسب نفسي أهلا للامتزاج بمن كان كاملا من الناس ، ولو كان لي ذلك لما كانت لي منه تعزية قط : فالكنيسة معرضة للخطأ لانها مؤلفة من ابناء آدم وانها وان كانت قد تأسست بقوة فائقة للبشرية ، فانها قد كانت منذ نشأتها وما برحت تدار بافكار البشر ورغباتهم . ولذلك اذا قلت انني انتمي الى الكنيسة فان ذلك لا يعني انني لا أنظر أغلاطها وانتقدها . فان المرأة تنتمي الى زوجها وتحبه وتخلص في وده ، ولكن هذا قلما يمنعها عن تعداد أغلاطه وانتقادها . وأنا انتمي الى بلادي ، ولكنني اعتقد بانني أظل أمينا في وطنيتي واخلاصي لبلادي عند ما انتقد بعض الاعمال التي تصدر من حكام بلادي ومشترعيها لانها مخطئة في عقيدتي . ودخول الانسان في عضوية أي جمعية كانت من الجمعيات لا يدل على أن كل ما تفعله تلك الجمعية حق لا غبار عليه . بل ان ذلك يساعده على الظن بان حياته قد أصبحت اكثر قيمة من ذي قبل وانه يقوم بواجباته كعضو في تلك الجمعية افضل مما لو كان خارجا من عضويتها .

إذن ، ما هي الاسباب التي تدعوني الى الانخراط في عضوية الكنيسة ؟

ان اول هذه الاسباب اعتقادي بان الكنيسة جمعية غايتها تعزيز أفضل الاراء وغرس أشرف المبادىء البالغة الاهمية في بستان العالم. واني لا أعرف كنيسة مسيحية ما لا تقف بجانب الفضيلة ، والنظام ، وعبادة الله ، والعمل بالمبادىء الانسانية الشاملة التي علم بها يسوع المسيح . فعوضاً عن أن انتظر حتى أجد كنيسة تتفق عقيدتها مع أفكاري وتلائم احتفالاتها وطقوسها ذوقي ومشاربي ، فانني استطيع أن ادخل أول كنيسة أجدها في طريقي فأجد هنالك جماعة من الناس ينشدون الحق لينير عليهم مسالك حياتهم ، ويبحثون ما هو خير ليعملوا به وما هو شر ليبتعدوا عنه ، وهذه أعظم قضية من قضايا الحياة الهامة . لانه لو عزمت ألا اتخذ عائلة لنفسي حتى أجد عائلة من الناس تعيش على وفق المثال الاسمى الذي رسمته في ذهني للحياة العائلية ، وان لا انتمي إلى مملكة من الممالك حتى أجد المملكة التي طالما حلمت بها ، التي تسودها العدالة الحقيقيــة ، وان لا اتخذ لي صديقا ما لم أجد الرجل

الذى يبكي لبكائي ويرقص لفرحى ، فالاجدر بى حينئذ أن اركض مسرعا والقي بذاتى في اعماق البحيرة فان هذا العالم لا يصلح لمن كان على هذه الشاكلة من الاخلاق

ثانياً : أنتمي الى الكنيسة لاني أحبها واحب الناس الذين يذهبون الى الكنيسة. ولاشك انهم معرضون للخطأ كما ان كل إنسان غيرهم معرض للخطأ، بل ربما كان بينهم من لا تستطيع ان تعاشره أو تتفق معه ساعة . ولكنهم بالاجمال ليسوا من الخبثاء القساة الظالمين الشهوانيين الخاملين . لانه ربما كان في أعضاء الكنيسة الواحدة بعض من الاردياء ، ولكن اكثر المنافقين المتعرجين على الجانبين ومتعدى الشريعة ، وزد اليهم جماعات المتفلسفين والمتشائمين ونُفاية الادباء وخشارتهم هم خارج الكنيسة ، ولا أنكر أن في الكنيسة بعض التعصب والفريسية والرياء بين الناس الذين يدعون ذواتهم مسيحيين لانني بالحقيقة قد وجدت كثيراً من ذلك ، ولكنني قد وجدت تعصباً ورداءة وحقداً اكثر من ذلك بألف مرة بين الجماعات الخشنة الاخلاق التى تجتمع خارج الكنيسة وتهر على نوافذها المنيرة هرير الكلاب على شاهقات السحاب

وكل من يريد ان يختار لذاته كنيسة ينتمى اليها يجدر به ان ينظر الى الجماعة وليس الى الافراد ، وان يتخذ الاكثرية قاعدة لاحكامه ولا ينخدع بما يشاهده مما يصدر من هذا أو ذلك الرجل في ظروف وأحوال خاصة . فان هنالك بعضاً ممن هم شمامسة في الكنيسة ولكنهم يضعون رملا في السكر، وغيرهم ممن هم كفرة معطلون ولكنهم لطفاء ذوو أخلاق راقية وافكار شريفة ، ولكن ذلك لا يغير الحقيقة الواحدة ان من يفتش عن الرجل الشريف ليقدر ان يجده فى الكنيسة المسيحية قبل أن يجده في خارجها، وان من يفتش عن الغدار المنافق يقدر أن يجد الفاً مثله في اسواق المدينة ومخازنها قبل أن يجد واحداً بين اعضاء الكنيسة

ومن الاسباب التى تدعونى الى محبة الكنيسة انها أقدم جمعية فى العالم ، وفي القديم على الغالب جمال يجذب النفس اليه اكثر من الحديث . فانا أحب الصخرة المغطاة بالطحلب اكثر من الصخرة المجردة العادية ، وأحب ما يرافق التقاليد القديمة من الورع والتقوى بل ومن الاساطير والخرافات . واعتقد بأن اكثر الناس يؤثر فيهم القديم مثلى وأزود . فان

ما تبعثه فينا بقايا الهياكل القديمة والآثار الرثة الباقيـة من كنائس الازمان الغـابرة من التأملات والرغبة في الدرس والعبرة بتقلبات الزمان لا يمكن ان نحصل عليـه من أعظم القصور الحديثة والكنائس الجديدة الشاهقة

غير انى عند ما أقول ان الكنيسة هى أقدم جمعية في في العالم فانا لا أخص بذلك كنيسة الطائفة التى أنتمي اليها ، كلا ولا أعنى بذلك كنيسة رومية، أو جامع المسلمين، أو هيكل البوذيين، بل أنا أعنى تلك الجمعية العظمى التى تضم في عضويتها العالم أجمع وما هذه الكنائس المختلفة سوى مظاهر متعددة لوحدتها . لانى أقصد بالكنيسة هنا كل جماعة من الناس يجتمعون معاً للافتكار بالخالق العظيم ، والحيـاة الثانية ، وبضرورة القيام بالواجب ، وبالقضية الخالدة في ما هو الخير وما هو الشر. أما الكنيسة التى انتمي اليها اليوم فهي واحدة من موكب طويل من الجمعيات التى بنيت على المبدأ الواحد الذى بنيت عليه كنيستى، الموكب الذى اجتاز بجميع الاجيال المتوسطة ، وسار في ممالك اليونان ومصر وبابل ، ووجد في كل صقع من اصقاع الارض التى عرفت فيها الانسانية معنى

المدنية ، الموكب الذي تستطيع أن ترى نيران مذابحه كصف مستقيم من مصابيح الشوارع يمتد في الماضي حتى ينتهي أخيراً في الضباب الذى كان كفناً للجنس البشرى. ولذلك فانني عند ما أذهب الى الكنيسة أشعر انني قد دخلت في هذه الجمعية العظيمة التي هي أوفر الجمعيات الانسانية شرفاً ووقاراً وجمالا

أجل ، انني انتمي الى الكنيسة لانني اعتقد بأنها ، بصفتها جمعية عظيمة ، تبعث بمادة الحياة الى جميع القوات الضرورية جداً للرقي الانساني . لان الكنيسة هي الينبوع الذى تفيض منه جميع الجداول النقية للفكر البشرى الصحيح . ففي الكنيسة قد نشأت الفكرة الاساسية لجميع الحركات الاصلاحية في العالم . فالكنيسة بما فيها من التعليم الآمر بالاخوة والمساواة بين الناس قد سلحت الذين عملوا على نقض العبودية في العالم ودك حصونها الى الحضيض ، والكنيسة هي التى جرأت الانسان على الوقوف في تيار التقاليد البلهاء وصد سهام الهزء والسخرية ، ومنع الغازات السامة والمشروبات الروحية في هذه البلاد (الولايات المتحدة الاميركية) ، والكنيسة هي بالحقيقة أم حنون للمدارس العامة والكليات

والجامعات العلميـة ، واذا كانت الحرب ، وهى البؤرة التي تجتمع فيها جميع قوات الشر والتخريب ، الحرب التي هى آخر زعيم قذف به الجحيم ليحرق هذه الارض بنيرانه الشيطانية ، الحرب التى هي أفظع ماورثته البشرية الحاضرة عن الهمجية والحيوانية الماضية ، اذا كانت هذه الحرب الشريرة ستزول يوماً ما من العالم فسيكون ذلك نتيجـة للجهود العديدة والثورات المتواصلة التى أثارتها الكنيسة عليها .

واننى أحترم الكنيسة ليس فقط لما تفعله في العـالم مباشرةً ، او لما تقوم به من تقرير نظم السلوك وبذل العطايا في سبيل الخير والاحسان ، بل أنا أحترمها بنوع خاص لانها تحي بطقوسها وصلواتها وأناشيدها وتعاليمها مبادىء يسوع المسيح وتعاليمه وتأثيره الشخصى في حياة العالم .

هذا بعض من كل مما يدفعنى الى الانتماء الى الكنيسة ومحبتها واحترامها بالرغم من انى أنتقدها . واننى سأظل عضواً فيها مابرح فرعٌ من فروعها يقبلنى في عضويته .

أنا هو لا تخافوا

« من هو هذا الآتي من أدوم ، وحمرة
ثيابه من فوصور ؟ »

أشعيا

ما من أحد يعلم كم انقضى على سكنى الانسان في هذه الارض من الالوف أو الملايين من السنين .

فان الحيوان البشري منذ انتصب على قدميه وبدأ يحيا ليفكر خامرته الظنون بان هنالك كائنا غيره مفكراً مثله في هذا الوجود .

ولما كان الانسان يعيش في هـذا الكيان والاخطار محيقة به من كل جهـة ، لان الحياة والخطر اختان توأمان ، ولما كانت حياته أرقى من حياة جميع المخلوقات ، فقد زاد ذلك في الاخطار التي تتهـدده ، ولذلك خطرت له للمرة الأولى العقيدة بان الكائن المفكر الاعلى هو عدوه اللدود .

ومما خطر له في تلك الازمنة السحيقة ان هذا الكائن

الأعلى الغير المنظور الذى تحيط الاسرار بوجوده هو اعظم وأسمى منه . ولاشك انه بالغ الذكاء حتى يستطيع ان يحتجب عنه بكل هذا التحفظ .

وعلى هذه الاوهام بنى الانسان ديانته الاولى ليطيب نفس هذا الاله بالتقادم والهدايا المتنوعة . واننا نرى نيران المذابح مشتعله في الماضى بمقدار ما استطاع المؤرخون أن يظهروا لنا عن قدمية العالم. فكان الانسان أولا يحرق مواشيه وثمار أرضه ليخفف حدة غضب عدوه الغير المنظور

فاخترع جميع انواع الطقوس والاحتفالات يقيمها لاسترضاء هذا الكائن الجبار والحصول على رضاه . ولاتزال اثار هذه الطقوس ظاهرة حتى يومنا هذا

ومع ان الانسان كان يعرف أن صفقته خاسرة كيفما تقلبت الظروف، فكان يروغ من عدوه ويتزلف اليه وهو عارف ان هذا العدو العظيم سيقبض روحه عاجلا أو آجلا

لذلك كانت الحياة بطبيعتها فاجعة مؤلمة . وأفضل ما في تواريخ الآداب الماضية فواجع ينسحق لها القلب مرارة وحزناً .

وليس التاريخ القديم بالحقيقة سوى سلسلة مرعبة من الفظائع والحروب الهائلة التي كان هذا العدد الغير المعلوم يثيرها على أبناء الانسان.

وقد عرف الانسان النار لاول مرة من البراكين المشتعلة، فخيل اليه ان الرعود المتصاعدة منها دليل على غضب ربه الجبار وان مقذوفات تلك البراكين انما هى حجارة يضربه بها.

غير أن الانسان تعلم على ممر الزمان كيف يستخرج النار لنفسه من الصوان والخشب وغيرهما وقد خطا بذلك خطوته الاولى في سبيل التقدم باجتيازه من الارتعاد أمام نار البركان الى طبخ مآكله على نيران المواقد

وقد رأى الكهرباء لاول مرة في وميض البرق فكانت تهدم منازله وتقتل أولاده، ولكنه تعلم أخيراً كيف يستخدم هذه القوة التي كان عدوه المجهول يحتكرها لنفسه فيما مضى من الزمان ، وصار ينقل صوته بهذه القوة من بلاد الى بلاد فوق الجبال والاودية والبحار والانهار ، واستخدمها لحمل اثقاله ، وتنوير المساكن والمدن التي يعيش فيها إلى غير ذلك

مما لا يحصى من الاعمال .

وقد ظل عدو الانسان الاول قاطنا في البحار البعيدة مرعبا لجميع الناظرين الى البحر حتى جاء كولومبوس

وهذا العدو بعينه هو الذى حوط الاحراش بسياج من المخاوف والاوهام حتى خيل الى الانسان ان الاحراش ممتلئة من العفاريت والجان

غير ان الخوف قد أوجد لهذا العدو الجبار جيوشاً لاتحصى من الندماء والخلان . فكم قام باسمه من الذين ادعوا بأن في طوقهم تأييد السعادة البشرية من السحرة والعفاريت والجان والارواح الشريرة والابالسة والهة الاحراج والبحار وغيرهم من الارواح الخبيثة ، أجل ان حياة الانسان من بطن أمه الى بطن الارض كانت جهاداً واحداً مستمراً للنجاة من العدو العظيم الذى كان يطارده ليأخذ بخناقه ولم يستطع ابن امراة أن ينجو منه .

فكان يُنزل الملوك عن عروشهم ، ويُخرس أصوات المنتصرين في أجمل ساعات انتصاراتهم ، ويخطف الطفل الرضيع عن ثدى أمه ويفصل العروس من جانب عروسها في

أول يوم من قرانهما ، ويثير في النـاس من حين الى حين نيران الشر والبغضاء فيذبحهم فى الحروب مئـات وألوفاً ألوفاً .

ولا بدع اذا رأينا الناس يستعطفونه ويقضون اعمارهم في الاماتة والصلاة للهرب من سخطه ، بل ليس بالغريب أن يُحمّق الانسـان فكره وفطنته ويؤمن بما يرى الاولاد الصغار بطله ومافيه من الخرافة ويصدق جميع العقائد الوحشية بل ويعمل كل مافي طاقته ليرد عنه غضب هذا العدو الحقود المحب للانتقام .

غير ان هذا الكائن الغير المنظور قد تجسد أخيراً وظهر للانسان . ولكنه كان غريباً جداً عما عرف الانسان عنه من ذى قبل حتى انه لم يعرفه . « الى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله . »

وبعد أن فارق العالم شرع الانسان في بناء القصور الشاهقة من التقاليد الوثنية حول ذكره ، مما جعل اتباعه واقتفاء خطواته صعبا عسيراً .

لان بساطة رسالته وحياته كانت مما لايحيط به وصف ،

وقد قضت على تقاليد عشرة آلاف سنة هازئة بها .

وقد عاش ذلك الكائن المفكر الاعلى فى هذا العالم فاعلاً خيراً لجميع الناس ، وكان يأخذ الاولاد الصغار ويضعهم في حضنه ويباركهم ، وكان يشفي المرضى ، ويعزي الحزانى ، ويخاطب المضطربين بما يزيل اضطرابهم ، ويفتح عيون العميان ، وينطق بما لم ولن تسمع بمثله الانسانية من آيات الحكمة والبلاغة .

وكل ماقاله عند ما أظهر للناس وجهه الجميل فخافوا لانهم لم يعرفوه ، كل ماقاله ذلك العدو الذى كانت ترتعد من مجرد ذكره فرائص الانسانية على ممر الاجيال السابقة لمجيئه هذه الكلمات القليلة :

« أنا هو لاتخافوا ... »

إنتهى الكتاب

هل نموت؟

محاضرة ألقاها معرب الكتاب في عاصمة الجمهورية المكسيكية

في مساء الجمعة الواقع فى ٢١ أوغسطوس سنة ١٩٢٥

في مثل هذا اليوم الحادى والعشرين من شهر أوغسطوس (آب) سنة ١٩٢٢ كانت الباخرة مجاستيك تمخر بنا عباب البحر مقتربة من شواطىء العالم الجديد. فى مثل هذا اليوم منذ ثلاث سنوات كاملات كانت أمواج الاتلانتيك تحمل بنا الى مدينة المدنية، الى عاصمة العواصم، الى نيويورك، أعجوبة العمران وعروس العلم والعرفان.

في مثل هذا اليوم، منذ ثلاثة أعوام، كانت تتنازع قلبي عاطفتان قويتان عميقتان: الواحدة تجذب به الى الشرق فتذكره بالاهل والاوطان والثانية تجذب به الى الغرب فتثير فيه محبة الاطلاع والرغبة فى المعرفة. وتحت تأثيرات هاتين العاطفتين كنت أصعد بين البرهة والاخرى الى سطح الباخرة الجبارة فانظر تارة الى الشرق وطوراً الى الغرب لعلى

أخفف من حدة ما بي من الحنين الى الوطن الذى فارقت ، والشوق الى الوطن الذي سألقى . وفي مثل هذه الحالة من الحنين الشديد والشوق البعيد نظرت فاذا بي أرى صروحا تناطح الجو ارتفاعاً ، تخيل الىّ انها جبال ارتفعت من البحر لتحدثنا بعظمة رافعها وجلال صانعها . وفيما أنا أمعن النظر فيها رأيت واذا بملاك منير قائم فى أعلى قُنُنها ، يهتف بصوت يتدفق حلاوة وينبعُ حياة قائلا : « أيها الغافلون أفيقوا من غفلتكم ! أيها المستعبدون تحرروا من عبوديتكم ! أيها المقيدون حطموا قيودكم وكسروا اغلالكم وهلموا الىّ ، فانا رسول رب العالمين اليكم أبشركم بالحرية وبالعتق من العبودية ! أيها الحزانى على أوطانكم ، أيها الراثون والنادبون كفوا عن احزانكم ومراثيكم فقد اكتمل دور شقائكم وآن لكم أن تنالوا قسطكم من الحياة امام وجه الشمس ! انهضوا ! أفيقوا ! لماذا تكونون عبيداً وقد برأكم الله أحراراً لكم ما لمستعبديكم وعليكم ما عليهم أمام وجه القيوم ؟ هلموا الىّ فاعطيكم ماء حياً يكون لكم اذا شربتموه كل ما تريدون . أجل ، تعالوا فاعطيكم ماء المعرفة الخالدة الذي اذا شربتم منه تبرد غلتكم ، التى أوقد الجهل نيرانها

في أعماقكم ، ولا تعطشون الى الابد ! » .

سمعتُ كل هذا باذني، بل بعقلي وقلبي، فقلت في سري :
« مَنْ ترى يكون هذا المنادى السماوي والرسول الالهي ؟ »
ثم نظرت حوالي واذا بشيخ جليل من رفقاء السفرة قد استرسلت لحيته البيضاء على صدره فزادته هيبة ووقاراً ، دنا مني وقال لي ، « مهلا ولا تدهشْ أيها الرفيق ! فقد رأيتَ ما لم ترَ وسمعتَ مالم تسمع ، وما أغرب ما رأيت وما سمعت عما عرفته وألفتهُ ! أفلا تزال تذكر الكلمات الاخيرة التي سمعتها وأنت تفارق أرض أبائك وأجدادك والدموع تذرف سخينة من عينيك ؟ »

فقلت ، « نعم ، نعم ، لا أزال اذكرها ولا استطيع أن أنساها ! لانه من ذا يستطيع ان ينسى جراحه أو يغفل عن ذكر قيوده التي تحرر منها ؟ واني لا ازال اذكر ذلك الطاغية رسول الشراهة والعبودية والطمع والجشع يتخطر في الشرق من أقاصيه الى أقاصيه وهو يزأر بصوته كالوحش الضاري قائلا : « ويلٌ للاحرار ! ويل للمتمردين على الظلم ! فان حبالي كثيرة ، وجيوشي غفيرة ، وثروتي وفيرة وعدتي بالغة ! أبعدوا أنوار

المعرفة ! اسدلوا ستائر الجهل والظلمة ! اشتروا الوجدان ! اقتلوا الشبان ! شتتوا الشيوخ ! احرقوا زروع الوطنية وابذروا في حقولها بذار العبودية حتى لا تبقى في هذه الارض من بقية ! فالارض للسيف واصحاب السيوف يجب أن يرثوها ! »

وما فرغت من كلامي حتى خارت قواى فسقطت على قدمى الشيخ وتضرعت اليه قائلا ، « بربك قل لى أيها الشيخ الرفيق ، مَنْ هو هذا الصارخ الذي ينادي بالعتق من العبودية ؟ » .

فاجاب وقال ، « ان هذا الصارخ هو رسول الحرية والمعرفة الذى انقذ أمةً هى أرقى أمم الارض من عبودية مرة كانت تقاسي أهوالها سنين عديدة » .

فقلت له ، « وما هذه الناطحات السحاب التى أراها أمامى ، وما هذه الصروح والقباب البالغة الهندسة والاتقان ؟ » .

فاجاب وقال ، « ان ما تراه ياصاح هو ثمار يانعة أخرجتها شجرة المعرفة التى غرستها يدا هذا الرسول فى ارض هذه

الامة الصالحة ولا تنال أمة من امم الارض قسطها من الحياة ما لم تتذوق ثمار هذه الشجرة »

فقلت ، « وهل في طوق هذا الرسول ان يغرس مثل هذه الشجرة في بلادنا فينقذ أمتنا من ذلك الطاغية الجبار رسول الجهل والغباوة بعد أن اذلها وسلبها انفتها وثروتها فأمست على شفير هاوية الموت ؟ » .

فقال ، « لا تخف من الذى يقتل الجسد واما الروح فلا يقدر ان يقتلها . فان الامة كالفرد، لها جسد معرض للشقاء والاخطار كما ان لها روحا لا يمسها ضرٌ ولا فساد . ولذلك لا تموت ولن تموت روح أمتكم وان خيل اليكم ان جسدها مشرفٌ على الموت . كما ان أرواحكم تظل حية وان ظهر لكم ان أجسادكم تصير الى الفناء » .

قال هذا وتركني مودعاً لان الباخرة وصلت في تلك الساعة الى مينائها فنزل الى البرّ مع النازلين وهو يردد بصوته اللطيف قائلا ، « نحن لا نموت ، نحن لا نموت ، كلا ولا تموت بلادنا ! »

ويسرني بعد مرور ثلاث سنوات كاملات على فراق

هذا الشيخ الحكيم أن أتخذ من عبارته الاخيرة — نحن لانموت — موضوعا للدرس الذى رغبت في أن ندرسه معاً في هذه الليلة . وقد رأيت أن يكون بشكل محاورة بينى وبين شيخ آخر تيمُّناً بذكر شيخى القديم الذى أزاح أثخن غشاوة من أغشية الجهل عن عينى لاني أعتقد بأن المحاورة بين اثنين في موضوع واحد يتخذ كل منهما طريقاً يطرقها للبلوغ الى مايريد تناقض طريق رفيقه لمما يسهل فهم الموضوع على السامعين ويساعدهم على التمسك بالرأي الذي يرون صوابه. «فان أحسنت وفيه منتهى جهدي فذلك من حسنات الاجتهاد وإلا فحسبي أن أفتحه باباً يَلِجهُ من وفَّقه الله الى سبيل السداد» راجياً أن تحوز هذه الخدمة الحقيرة قبولكم أيها الاحباء فتثبت ايمانكم على صخرة الحق التى هى أساس خالد لجميع الاديان والاوطان :

هل نموت ؟[1]

جلس جماعةٌ من الاصدقاء الى مائدة العشاء في أحد الامساء ، وشرعوا يتحدثون في آداب الشبان والشابات في

---

(١) الموضوع ملخص عن الانكليزية .

القرن العشرين . فقالت سيدةٌ من الحضور ، انها تحبذ العادات الحديثة التي يسير عليها الاحداث وتعتقد بملاءمتها لروح العصر الحاضر . وكان الجالسون الى مائدة الطعام يترددون في تصديق مايسمعونه في كل يوم عن تطرف الشبان والشابات في علاقاتهم الحديثة بعضهم مع بعض وفي سائر اجتماعاتهم . ولذلك نظرت هذه السيدة الى وجه كل منهم وقالت لهم ، « ان ماتسمعونه من هذا القبيل حقيقي لاريب فيه وربما كان بعضاً من كل مما هو جارٍ بين أحداث اليوم . »

ثم نهضت متحمسةً وقالت ، « انني لاأجد أقل غرابة في ما أراه من تصرفات الشبان والشابات في هذه الايام ، بل أحبذ من أعماق قلبي كل مايفعلون . ففي الايام القديمة عند ما كنا بعدُ صغاراً كان الصبيان الذين من عمرنا يتمتعون بما يشاؤون من طيبات الحياة ، أما البنات فلم يكن يؤذن لهن أن يشاركن الصبيان في شيء من دواعي المسرات والافراح ، بل كثيراً ما كان يحظَر عليهن مشاهدة ما كان يجريه الصبيان في ألعابهم وملاهيهم . أما اليوم فكل مايجوز لهذا الجنس

يجوز لذلك . وما الروايات المختلفة التي نسمعها عن تطرف البنات فى سلوكهن سوى تخرصات باطلة وأوهام فارغة ، لان الحقيقة التى لامريّة فيها هى هذه : ان فريسية الانسان القديم قد تقوّض بنيانها وتهدّمت أركانها وزالت بزوالها المظالم البربرية التى ألحقتها همجية الأجيال الغابرة بالمرأة . ولذلك فأنا أعتقد اليوم بأن لابنتي ملء الحق أن تفعل كل مايفعله أخوها من غير أقل نقصان اذا كانت في ذلك ارادتها ومسرتها . بيد انى ولاشك أرجو ان يكون كلٌّ منهما معتدلا في عمله كائناً ما كان عمله . »

وما فرغت تلك السيدة من كلامها حتى ظهرت ملامح التسليم على وجه كل من الحاضرين من غير أن يعارضها احدٌ من الجالسين الى المائدة . غير انى وقد انحل عقد المنتظمين في المجلس سرت مُطرقاً بعينى الى الارض مفكراً بما فاهت به تلك السيدة حتى بلغت الى زاوية في دار الكتب فوجدت الطبيبَ صديقى قد سبقنى الى تلك الزاوية وجلس على مقعد خشبي أمام الموقد يصطلى ، فقعدت الى جانبه ، ثم سألته رأيه في الموضوع ، لانه كان في السابعة والستين من عمره وقد

رأى وسمع وقرأ كثيراً من الآراء الحديثة المتنوعة في شأن الاحداث والشيوخ وعرف خطأها من صوابها، وخبر الحياة بجميع مظاهرها من المهد الى اللحد. وقد كان جالساً الى المائدة مع الجالسين غير أنه لم يعارض المرأة عند ما صرحت برأيها، ولذلك شرع قبل كل شيء يوضح لي السبب الذي دعاه الى السكوت، فقال:

« انني لم أعترض على كلام المرأة لثقتي بأن اعتراضي كان يفتح الباب لمجادلة طويلة بين الجمهور، والمجادلات بين الجماهير لا فائدة منها، بل كثيراً ما تثبت كلا من المتجادلين في رأيه صواباً كان أم خطأ. وأما ما سمعناه من هذه المرأة فربما ظهر لك جديداً لأول وهلة لانه ينحصر بما ياتي: « ان الشبان يتمتعون بملذات الحياة، ويشبعون حواسهم من اللهو والخلاعة، فلماذا يكون هذا محظوراً على الشابات؟ »، ولكن هذا ليس بالجديد أيها الصديق، بل هو تعبير آخر للقول المشهور، « كل ما يجوز للديك يجوز للدجاجة ». وقد بني هذا القول على قول آخر أقدم كثيراً منه — القول الذي نراه سائداً في جميع أدوار التاريخ، في ازمنة الرخاء كما في

أزمنة الخراب على السواء . »

فسألته قائلا ، « وأى قول تعني ؟ »

فأجاب وقال ، « انما أعنى أقدم ما أخذناه عن العالم القديم ونقلناه عن فلسفته المادية ، وهو ايضاح أبعد يأس ورثته المدنية الحديثة من مدنية الاجيال الغابرة ، بيد اننا سمعناه الليلة من سيدة تعيش فى القرن العشرين وتحسب انه فلسفة جديدة هبطت لأول مرة على فكرها وتجسد بها خيالها . أجل ، بل هو اعتراف صريح من الانسان ان حياته ليست في نظره سوى لحظة من اليقظة بين لانهايتين من الظلمة الخالدة . هو الآية القائلة ، « فلنأكل ، ولنشرب ، ولنفرح ، لاننا غداً سنموت ! » أفليس هذا نفس ماقالته هذه السيدة ولكن بعبارة مختلفة عن عباراتها ؟ »

فقلت له ، « بلى ، انه نفس موضوعها ، وانى لعلى رأيك . ولكن تُرى هل نحن في زمن عاد فيه هذا اليأس القديم الى الظهور ثانيةً ؟ هل هذه هي روح المدنية الحديثة ؟ »

فأجاب قائلا ، « انني لاأتطرف الى الظن بأن روح هذا العصر كلها تميل الى العمل بهذا الرأي . بيد انى أعتقد

بأن الساعين وراء الملذات الجسدية على أنواعها العديدة هم أكثر في هذا العصر منهم في أى عصر كان من العصور في تاريخ العالم . »

فقلت له ، « انك محق فيما تقول . ولكنني أعتقد بأن الساعين وراء المعرفة والراغبين في تفهم هذه القضية العظمى وادراك كنهها اليوم هم أكثر من جميع من سبقهم الى ذلك من ذى قبل . »

فقال ، « وماذا تعنى بقولك ، (القضية العظمى) ؟ »

فأجبته قائلا ، انما أعنى (بالقضية العظمى) ما استطيع أن أعبر لك عنه بما يأتي : « ولماذا لايجب أن نأكل ونشرب ونفرح في حين اننا غداً سنموت ؟ » فان العلم اليوم يلتمس البرهان على صحة الايمان الذي علمته الاديان في مختلف الزمان والمكان . لان الانسان لايستطيع بعد تعرُّف القليل من أسرار الطبيعة أن يصدق بأى إيمان كان كما كان يفعل آباؤه وأجداده الاولون . فان العلم قد اكثر من اللا أدريين والغنوسطيين ولذلك نرى الحيرة قد استولت على الاكثرين غير أن بعض الطوائف قد شعرت مؤخراً بما تسرب الى

قلوب الناس من الشك والاضطراب فرغبت في مساعدتهم على إدراك الحقيقة التي يسعون وراءها، فقام فريق من رؤسائها وزعمائها يناقضون حرفية الشريعة ويسايرون الناس في شكوكهم، ويفسرون ويؤلون بما ربما أقنع بعض المتعلقين باذيال الحرف والمادة دون الروح والحق. بيد أن هذا التساهل من رجال الدين لم ينزع حيرة الناس من صدورهم بل كثيراً ما زاد في الطين بلة وعمل على تكاثر الشكوك والاوهام

« وأما السيدة التي سمعناها تصرح بما صرحت على المائدة فانما هي تنطق بفم الكثيرين من الذين يعتقدون بان البرهان على صحة وجوب الايمان مستحيل على ابناء الانسان ولذلك صرحت بلسان الاكثرين ان لكل بشري على الارض ملء الحق ان يعمل كل ما يرى لذاته لذة في عمله. فهل لديك أيها الصديق الحكيم، وقد جاوزت السابعة والستين، ورأيت من الاختبارات الالوف والملايين، هل لديك أن تأتيني ببرهان صريح يزيل حيرتي ويوضح لي ما أشكل علي فهمه في هذا الموضوع الخطير؟»

وما فرغت من كلامي حتى أغرب صديقي في الضحك،

ثم نظر الىّ وقال ، « ان سؤالك يا صاح ، لماذا لا يجب ان نأكل ونشرب ونفرح في حين اننا غداً سنموت ؟ » سؤال أجيبك عنه بجواب بسيط هو سؤال آخر : « ولكن هب أنك لا تموت ؟ فان البرهان الذى يسعى اليه العالم من هذا القبيل ماهو الا تثبيت لهذا الغرض الذى جعلته جواباً عن سؤالك فان الانسان يريد أن يعرف هل وراء حياته هذه حياة أخري خالدة ؟ وهل يوجد إله خالق بالحقيقة كما تنص الكتب المقدسة ؟ فان وجد جوابا ايجابياً عن واحد من هذين السؤالين حسبه جوابا عن السؤالين معاً . ومتى عرف ان الموت ليس عند التحقيق سوى تغيير بسيط في مظاهر الحياة الدائمة فانه يدرك في الحال انه لابد من وجود الاله الخالق . وما اغرب أن الانسان عرف منذ البدء تمام المعرفة ان الموت تغييرٌ يطرأ على الحياة ويحولها من حالة الى حالة وليس انقراضاً يُودى بحياته كأن لم تكن بيد انه اليوم يشكك بهذه الحقيقة ! »

فسألته قائلا ، « وماذا تعنى بقولك منذ البدءِ ؟ أفهل أنت تشير الى كتاب التكوين ؟ »

فأجاب وقال ، « كلا لم أقصد ذلك يا صاح ! بل انما أعنى

الانسان في بدء حياته المظلمة قبل ان دخل فى طور المدنية : الانسان المتوحش الذى لا يخطر له مثل هذا الشك بل هو يشعر في اعماق قلبه بأن في كيانه ذاتاً باقية لا ولن تموت وان مات جسده . لان الانسان يخامره الشك حتى يرغب في حصر كل ما فى الحياة والوجود بقيود فكره المحدود . فيعمد الى تعرّف أسرار الطبيعة كلها بفكره الضيق ولكن الامتحان يظهر له عجزه بصورة واضحة ، بيد انه بما فطر عليه من الانانية والكبرياء لا يقرّ بعجزه وقصوره ولذلك يعمد الى الانكار والالحاد والشكوك . ثم لا تلبث مثل هذه الحالة المضطربة ان تقوده الى العزم على ان يأكل ويشرب ويفرح لان عقله المقيد بقيود الانانية والخيلاء لا يفقه للحياة من معنى أسمى وأبقى من هذا . ولكي أوضح لك عقيدة المتوحشين أودّ ان أورد لك قصة أعرفها ، فهل لك اعتراض على ذلك ؟ » .

فقلت له ، « عفوك يا سيدى ، قل ما بدا لك »

فاستوى في مجلسه وقال لي ، « حدثنى صديق لي قال : كان لي من بضع سنوات صديق عزيز سافر الى الكونغو في

أفريقيا مع رفيق له . وبعد قليل من الزمن رجع رفيقه وبقى لوحده في بقعة من مجاهل تلك الاحراج . وكان فى تلك الناحية عدد من المزارع الصغيرة الممتدة على شواطىء النهر . ولم يكن في تلك النواحي رجل أبيض غيره . ولذلك كان عليه ان يحسن التصرف مع سكان البلاد الاصليين خوفا على حياته فلم يكن يجسر قط على التدخل فى أمر أية عادة من العادات المرعية هناك . وحدث مرة أنْ مات زعيم القبيلة التي كان يعيش بينها فشرع أصحابه وذووه في الاستعداد للقيام بحفلة جنازته وفي جملتها ان يحرقوا عدداً كبيراً من نسائه وعبيده وهم احياء . فلم يجرأ على مباحثتهم أو منعهم عن الاقدام على مثل هذا العمل الفظيع . ولكنه اضطرب وعرته قشعريرة الرهبة والخوف، بيد انه لم يكن له من القوة ما يحول به دون تلك الفعلة الشنعاء وقد همّ بالانصراف من ذلك المكان لئلا يرى كوَم الوقيد تُعدّ لتلك الذبيحة الوحشية ، ولكنه لم يقدر على ذلك لان قوة خفية مزعجة كانت تمسك به وتضطره إلى البقاء لكى يرى ما سيكون

« وقبل غروب الشمس جاء القوم بالضحايا من النساء والعبيد ووضعوهم جميعهم على أكوام الوقيد ، فاختلج قلبه فى صدره إذ رأى ذلك ، ولكنه عبثاً حاول أن يهرب لان محبة الاطلاع على مايجهله الانسان كانت تمسك به فلم يستطع الى الهرب سبيلا . وقد أسف بنوع خاص على رئيس عبيد المتوفى لان القوم بذلوا عناية خاصة في تهيئة الكومة التي خُصِّصت له .

« وفيما الناس يحدقون بذلك المنظر المريع والنيران تتحفز للشبوب لتلتهم الاكوام وماعليها من الضحايا التعسة تقدم زعيم القبيلة الذي خلف المتوفى ، وكان ابن أخت له ، وجاء الى حيث كان رئيس العبيد على أهبة الاحتراق وأدنى فمه من أذنه وأسر فيها بضع كلمات لم يسمعها أحدٌ قط . وكان هذا آخر مارآه الرجل الابيض لانه لم يستطع بعده أن ينظر الى ذلك المنظر المفتت الأكباد فأدار ظهره عنه وسار في طريقه راكضاً الى حيث لايرى أحداً من أولئك البرابرة المتوحشين ولايسمع صوتاً من أصواتهم المرعبة . وقضى تلك

الليلة بين الاحراج حزيناً متألماً مما رأى وسمع ، بعيداً عن القرية وضوضائها .

« وفي صباح اليوم التالى رجع الى كوخه في القرية وهو يتذكر مامرّ به ، وقد أخبرنى ان الأمر الذى لم يقدر على فهمه بل لم يستطع أن يقف عن التفكير به انما هو العمل الذي أقدم عليه الزعيم الجديد عند ما دنا من رئيس العبيد وخاطبه وهو على أهبة الاحتراق بعد بضع دقائق ، وكان يفكر في ذاته قائلا ، . ما الفائدة التى يرجوها هذا الزعيم الفتى من مخاطبة عبد سيقضى حرقاً وتندثر حياته كأنه لم يكن ؟ »

«وقد زاد هذا الأمر في اضطرابه حتى اضطر أن يحضر بذاته الي دار الزعيم الجديد للفحص عن القضية . وعند ماوصل الى غرفته سأله قائلا ، « هل لك أن تخبرنى بما قلته لرئيس عبيد خالك الميت وقد أُوقدتْ النار تحته وأمسى على شفير هاوية الموت ؟ »

فأجاب الزعيم الجديد وقال له ، « ليس في ماقلته له كبير أهمية . فقد طلبت اليـه أن يخبر خالى ان الزورق

الذى تركه لى رثٌّ بالٍ . وكان أولى به ألاّ يولينى منةً بمثله . »

وبعد أن فرغ الطبيب من سرد هذه الحكاية أشار إلىّ بيدى إشارة أدركت منها انه يحيلنى الى ذاتي لكى أستخرج مقصوده منها بنفسى ، فأجبته قائلا ، « انى فهمت ماتعنى . ان رئيس العبيد الذي كان يحترق كان مزمعاً على الاجتماع بالزعيم المتوفى في بضع دقائق ولذلك أرسل ابن أخته الرسالة المرقومة لكي يوصلها اليه . وبعبارة أخرى ان ذلك الرئيس المتوحش البربرى كان يظن هكذا . »

فأجاب الطبيب وقال لى ، « كلا ، انه لم يفكر بذلك تفكيراً ، بل وثق به من أعماق قلبه وعرفه كما يعرف كل انسان مايعرفه في حياته . عرف ذلك على البديه من غير بحث ولا تنقيب ولا تعليل ولا استنتاج . لان المتوحشين الذين يعيشون على الفطرة يعتقدون بالحياة بعد الموت كما يعتقدون بالحياة ذاتها . ولذلك نراهم يحرقون نساء الميت معه عند موته لكي يجتمع بهم فى الحياة الثانيــة كما انهم يقبرون أسلحته معه ويضعون الطعام والشراب في قبره . »

فهم لاينشئون نظرية يبحثون صحتها في الحياة بعـد

الموت ، بل انما يشعرون شعوراً طبيعياً انهم سيظلون احياء وان ماتت اجسادهم وفي اعماق كل واحد من ابناء الانسان على اختلاف طبقاتهم شعور مثل هذا الشعور ولكنه قد قبر مع غيره من مئات الانواع من طبقات الشعور الطبيعى التى ورثناها عن جدودنا القدماء . وقد ادرك افلاطون ان في اعماق حياته مثل هذا الشعور ولذلك صرح به على رؤوس الاشهاد ، فقال انه لم يكن واثقاً اذا كان غيره من الناس خالداً . بيد انه كان على أتم الثقة بأنه هو ذاته كان خالداً . »

فأجبته قائلا : « ولكن افلاطون لم يكن من عامة الناس ، واذا كان في جميع الناس مثل هذا الشعور المختفي الضائع فى ذواتهم كما تقول ، فانى اخاف أن يصعب علينا الحفر لاستخراجه من اعماقه . وفوق ذلك فقد قرأت لاحدهم رأياً رشيداً في هذا الموضوع يرجع فيه هذه الوراثة الي وهم أحد الجدود السالفين بأن له ذاتين ، وذلك انما نشأ فيه من الاحلام التى قادته الى الاعتقاد بأنه شخصان : شخص يراه في الاحلام وشخص يلبسه جسده فى اليقظة . فهل في هذا ايضاح لهذه القضية ؟ »

فهز رأسه وقال ، (كلا ، ليس هذا بالايضاح الذى نذشده ياصاح ، لانه لايوضح لنا شيئاً . بل ربما كان زيادة في التضليل على الباحثين . واما الذات التي نراها فى الاحلام فربما كانت نتيجة لشعور ذات غير متجسدة تحل بكياننا بصورة غير منظورة . وانني أسلم بأن معرفتنا الخفية لحياتنا بعد موتنا يصعب ان نظهرها من أعماقها . وقد دعا المشككون والملحدون والماديون هذا الشعور العميق القديم فى حياة الانسان — تقليداً ووهماً لاحقيقة دونهما . وقالوا ان الناس الفوا الايمان بأن لهم نفوسا — هى اجزاء روحية من ذواتهم تظل حية وان ماتت الاجزاء المادية التي يتألفون منها . ولكن هذا الايمان مع غيره من المعتقدات الاخرى التى لم يؤيدها العقل والعلم قد زالت وانقرضت كما يخيل الى الملحدين . اليس الحال على هذا المنوال ايها الصديق ؟ »

فقلت له ، « بلى ، وان هذا نفس ما طالما عرضته عليك اننا نريد برهانا ينطبق على العقل ويؤيده العلم والاخبار »

فأجاب وقال ، « اذن فلنجرب البرهان العقلى انرى اذا كان يصدقنا أم لا . وليس شك ان هنالك كثيراً من

البراهين الاخرى التي يسلم بها علماءُ النفس والقائلون بمناجاة الارواح ، ولعلهم على حق فيما يقولون ، ولكن في مثل هذه القضايا يجدر بكل إنسان ان يرجع إلى اختباراته الشخصية اما أنا فلم تقنعني اختباراتي .فقد رأيت وسمعت اموراً كثيرة لا يمكن ايضاحها لشديد غرابتها في مناجاة الارواح والتنويم المغنطيسي . بيد انني لم أجد برهانا قط استطيع ان أوضح به انني قد تخابرت مع الاموات أو ناجيت ارواحهم — بطريقة يسلم بها العقل الصحيح . ولذلك عمدت الى فكري اقرأه واستجليه . لانني مثلك أيها الرفيق لستُ بافلاطون وليست لي حكمته وعاطفته»

فسألته قائلا ، « وهل وجدت في العقل ضالتك المنشودة ؟ » .

فقال ، « فلننظر معاً لنرى إذا كنت أنت تعتقد بذلك فقبل كل شيء أودّ أن أعلم هل في كياني شيء يبقى ويضمحل عند ما يموت جسدي ؟ ذلك سؤال سهل جداً . لاننا نعرف ان الحياة التي في جسد الانسان لا تفنى بل تتحول إلى اشكال تختلف عن الاشكال التي تحل فيها الآن ، فاذا تركت جسدي

في جوانب التلال فان الحياة التى فيه لا يضيع منها شيء . واما المادة التى يتألف منها الجسد فكنا نعرف اليوم انها لا يعتريها فناءٌ أو اضمحلال بل هى تتغير وتتحول من لحم وعظم الى دود وتراب ثم لا تلبث أن تصير نباتاً فحيوانا فانسانا

« فان كنتَ مادياً فأنت تعتقد باننى مركب من قوة أو مادة ، وبما أن القوة أو المادة التى يتركب منها جسدي لا تفنى بل تتحول وتتغير من شكل إلى شكل فوجب عليك والحالة هذه ان تؤمن باننى غير قابل للفناء . وبعبارة أخرى ، انك تستطيع أن تفرّق بين الدقائق التى يتألف منها كيانى ولكنك لا تستطيع ان تذهب بوجودى . وعند ما أموت فانا لا أفنى من الوجود بل أتغير إلى عناصر أخرى . فان قليلا من ماء البحر تحوله حرارة الشمس إلى بخار فينفصل عن البحر ولكنه لا يلبث أن يتحول إلى نقط من المطر تتساقط ثانية إلى حيث كانت في البحر . وكذلك جسدى يموت فيتحول الى العناصر المختلفة التى تألف منها ولا يبقى له وجود كجسد بشرى ، غير انك لا تستطيع أن تقول انه قد فني واضمحل ، لان كل ذرة من ذراته المتفرقة في الارض

يظل لها وجود بذاتها . وهذه حقيقة ثابتة لا يختلف فيها عالمان اليوم » .

فقلت له ، « انى من المعتقدين بهذه الحقيقة ، وارى أن المعارضين لك في صحتها أقل من القليلين في هذا القرن »

فاستأنف الكلام وقال ، « قد اضطرنا البحث للوصول إلى نتيجة غريبة بذاتها ولكنها ضرورية بما سيترتب عليها من الفوائد . فقد ظهر لنا مما سبق ان الجزء المادى من الانسان لا يفنى ، ولذلك فان كان في كيانه جزء يفنى فلا شك ان هذا الجزء غير مادى . لاننا رأينا بالبرهان العقلى المؤيد بالعلم والاختبار ان الجزء المادى فينا يتغير ويتحول ولكنه لا يفنى فاذا كان للانسان روحٌ وكان لا بد أن يكون فيه جزءٌ فانّ هذا الجزءَ هو الروح بعينها . ولذلك وجب على المادى أن يسلم بان جسده خالدٌ لا يفنى وان الحياة التي في جسده خالدة باقية ، ولكن نفسه يجب أن تكون زائلة فانية . ولا تنس انى سبقت فقلت ان البحث قد أرغمنا للوصول إلى نتيجة غريبة ، وهل هنالك أغرب من هذه النتيجة ؟

فقلت له ، « رويدك أيها الصديق ، ان المادي لا يسلم

بتة ان له نفساً — أو روحاً مستقلة عن المادة »

فأجاب وقال ، « حسنٌ ما تقول ، فان كان المادي لا يسلم بان له نفساً مستقلة عن المادة فهو ولا شك يسلم بان له نفسا غير منفصلة عن المادة . وهو يؤيد بتسليمه هذا ان هذه النفس المتصلة بالمادة هي خالدة بخلود المادة المتحدة بها. وانني اصارحك القول ايها الصديق أن في رأى الماديين من الغرابة اضعاف ما في رأى الروحيين . فالمادى يخيل اليه أن ليس له نفس كما يعتقد الناس بل انما له دماغ مادى يموت بموت جسده ، فهو يحسب ان دماغه هو ذاته الخفية التى يسميها (أنا) . وهل سبق لك ان رأيت دماغاً مصبراً بالكحول ؟ » .

فقلت له ، « نعم ، ولماذا ؟ »

فأجابني قائلا ، « انما سألتك هـذا السؤال لأرى اذا كنت تعتقد بأن هـذه التلافيف هي التى أوجدت البخار والكهرباء والتلغراف اللاسلكي وهي التى كتبت الياذة هوميروس وفلسفة سقراط وأشعار شكسبير وملتون ودانتى والمعري وهيغو وغيرهم من أئمة الفكر الانساني . فان كنت

كذلك فانى أود أن أمعن النظر في وجهك وفي عينيك ! »

فقلت ، « وهل تريد ان تنظر إلى وجهي وعيني لترى اذا كان دماغى مختلاً ؟ » فأجاب على الفور قائلا ، « نعم ! » فخيل اليّ إذ ذاك انى انتصرت عليه . فقلت له ، « وهل نستطيع ان نفكر صوابا اذا كانت أدمغتنا مختلة ؟ أم هل كان في وسع هوميروس أو غيره من النابغين أن يكتبوا كتبهم لو كانوا مصابين بمس في ادمغتهم ؟ »

فأجاب قائلا ، « كلا ! ولم يكن لباغانيني [1] أن يؤلف موسيقاه الخالدة بقيثارة مكسورة أو رباب مقطع الاوتار . ولكن باغانيني وان انكسرت قيثارته أو ربابه يظل موسيقياً من غير أن يتغير . لان القيثارة لاتصنع الموسيقى كما ان الجبة لاتصنع الكاهن . ولنبحث برهة عن هذا الرجل باغانيني كيف صار موسيقياً عظيما في العالم . أفهل صار موسيقياً عظيما لان أصابعه كانت مرنة تعرف الضرب على القيثارة بسرعة ومهارة ؟ كلا ! بل انما كان عليه أن يمرن أصابعه ولم يكن له

(١) هو نقولا باغانيني الايطالى أشهر مشاهير الضاربين على الرباب ، ولد فى سنة ١٧٨٤ وتوفي سنة ١٨٤٠ ، وقد ظهرت عبقريته في فن الموسيقى وهو لم يتجاوز التاسعة من عمره ولم تفارقه كآبة الحياة .

ذلك إلا بعد جهاد طويل . يعني انه كان يجب عليه أن يعلم أصابعه ويدربها بما في دماغه من القوة . وربما خيل إلى المادى هنا انه قد فاز في ميـدان المناظرة ، لان دماغ باغانيني هو الذى هذّب أصابعـه في فن الموسيقى ! ولـكن ذلك خطأ فاضح لان دماغه ذاته يجب أن يُدرَّب ويتمرن قبـل أن يصير قادراً على تدريب أصابعه . فان عليه أن يعلم دماغه علوماً عديدة ويدرسه دروساً كثيرة قبل أن يصير موسيقياً . وماهو هذا الذى أثر في باغانيني فجعل دماغه يميل الى درس الموسيقى وتعلمها ؟ أليس هو باغانيني نفسه ؟ ولذلك فان وراء دماغه قوة مستقلة لها السيادة على الدماغ ، أليس كذلك ؟ »

فقلت له ، « يمكن أن يكون هنالك ما تقول . ولـكن كثيرين من الناس يقولون ان الوراثة الطبيعية تفعل ذلك وان ضغطَ هذه الوراثة أو قوتها الكائنة في جزء من أجزاء دماغه قد جعله يميل الى الموسيقى ويتعلم دقائقها وأسرارها . »

فقال ، « وأي دماغ تعنى ؟ »

فأجبته قائلا ، « دماغ باغانيني . »

فقال ، « اذن كان لباغانيني دماغ ، وكان له تأثير وراثة

راسخة في قسم من دماغه تعمل على تهذيب سائر الاقسام الاخرى في فن الموسيقى ؟ »

فقلت له ، « كلا ! فانني اذا سلمت انه كان لباغانيني دماغ فانما أخسر بذلك دعوى المادى التى أدافع عنها ، لانه يجب علي والحالة هذه أن أسلم بوجود المالك الشخصى الذي يملك هذا الدماغ . فالمادى لايسلم بوجود هذا الشخص بتةً . فهو يقول انه لم يوجد قط شخص باسم باغانيني مستقل عن دماغه لان دماغه كان إياه كما انه هو كان عبارة عن دماغه فقط . وإن قسما من هذا الدماغ كان يحتوى على قوة وراثية هذبت الاقسام الاخرى في الموسيقى »

فسألنى قائلا ، « ولكن من هو منشيء هذه القوة الوراثية ؟ وماهو اصلها ؟ »

فأجبته ، « لاشك ان اصلها ميلٌ قديم للموسيقى في بعض جدود باغانيني . وقد اتصل اليه بالوراثة من جيل الى جيل . »

فقال ، « حسنٌ ماتقول . ولكن فلنذهب الى ذلك الجد القديم الذي ورث عنه باغانيني ميله الى الموسيقى ، من

اين جاء ذلك الجد الاول بميله الى الموسيقى ؟ كيف حصل على هذه الهبة ؟ »

فقلت له ، « يستحيل ان تكون هذه هبة في الاصل . فان اول جد من جدود باغانيني انما مال الى الموسيقى بتأثير المحيط ، بل ربما كان ذلك بطريق الصدفة. ومن يدري ما إذا كان قد خسر رجلا من رجليه فاضطر ان يلتمس معاشه من الضرب على القيثارة . »

فقال ، « لنفرض انه خسر رجلا من رجليه كما تقول ، وانه لم يجد طريقاً لتحصيل معاشه بغير الضرب على القيثارة ، في حين انه لم يكن له اقل معرفة بذلك العمل قط . فان قسماً من دماغه ، في مثل هذه الحالة ، يجب ان يقول للقسم الآخر ، أصغى الى ايها الرفيق ، انك مائت اذا لم تتعلم الضرب على القيثارة ، فابذل في ذلك منتهى جهدك والا كنت من الخاسرين. فما هو الذى جعل القسم الآخر الآمر من الدماغ يخاطب القسم الثانى بمثل هذا ؟ فانت تقول انه لم يكن في دماغ ذلك الجد الاول اقل أثر للوراثة ، فكيف استطاع القسم الآمر من الدماغ ان يصدر مثل هذه الاوامر ؟ »

فقلت له ، « ان هـذا القسم الآمر كان قادراً على الاستنتاج بقوة العقل . »

فقال ، « ومن اين حصل على هذه القوة ؟ »

فقلت له ، « انه ورثها ممن قبله . »

فقال ، « حسن ماتقول ، فان هـذا يعود بنا الى حيث كنا . ان باغانيني كان موسيقياً لانه ورث في جزء من دماغه قوة من احد جدوده القدماء الذى كان موسيقيا ، وان هذا الجد كان موسيقيا لانه ورث عمن تقدمه القوة على الاستنتاج بالادلة العقلية . ولكن هذا الجد الاول الذى كان عارفا بالمقدمات والنتائج العقلية ولم يكن فى دماغه اقل أثر للوراثة ، من اين حصل على هذه القوة؟ »

فقلت له ، « لا أعرف ، ولا أظن ان أحداً في العالم يعرف هذا ! » .

فقال لى ، « وهل تعتقد بان ذلك سرٌ غامض ؟ »

فأجبته قائلا ، « هكذا يظهر لى . بيد انى اقدر ان اقول ان جد باغانيني الاول الذى كان قادراً على الاستنتاج قد نشأت فيه هذه القوة من ضغط المحيط على حياته ، ولكن هذا يعيدنا

الى بداءة النشوء والارتقاء واصل بذرة الحياة، وهنالك يقوم أمامنا السر الغامض ثانية كما يقوم ههنا

فقال لى، « وكأنى بك تريد ان تقول إن مذهب الماديين مبنى على الاسرار شأن سائر المذاهب والنظريات الاخرى. يعنى ان المادية سرٌّ غامض كجميع النظريات الاخرى. أليس كذلك ؟ ».

فقلت له « ان هذا نفس ما أريد ان أقوله »

فاجابنى قائلا، « إذن، فالمادي شخص مخير بين افتراضات متعددة. ينظر الى دماغ مصبر بالكحول فيقرر في ذهنه بان هنالك في ذلك الوعاء الصغير الموضوع أمامه، بقطع النظر عن الدورة الدموية، يرى ذات بولس الرسول او اسحق نيوتن او ابا العلاء المعرى او أيوبا أو محمداً او اشعيا. وان هذا الدماغ هو الذي يفكر دون صاحبه. »

« ان فريقا من القدماء كان يعتقد بان الكليتين مركز الفكر، وغيرهم قالوا بالعكس من ذلك ان الكبد مركز الفكر، وذهب غيرهم الى ان القلب هو بالحقيقة مركز الفكر دون غيره. بيدانهم قد اقتصروا في عقائدهم المختلفة على ان الكليتين

او الكبد او القلب انما كانت مراكز للفكر فقط، ولم يقل احد قط انها كانت عبارة عن الناس انفسهم ! فلم يخلطوا قط بين سقراط وكليتيه او الاسكندر وكبده او شارلمان وقلبه .

« ولكن العلم المقرون بالاختبار المتواصل قد اظهر ان الدماغ هو مركز العقل دون سائر الاعضاء . وانك تستطيع ان تغير الطريقة التي يفكر بها الرجل العادى من الناس بان تغرس ابرة في هذا او ذلك الجزء من دماغه . وكل ما نعرفه عن الدماغ انه المركز الوحيد للعقل والادرك . فدماغى هو جزء من جسدي واقع فى ملكيتى أملكه كما املك قلبى وكبدي وسائر اعضاء جسمى . وانى اسلم بانه لو تعطل أى عضو في جسدى تعذر عليّ قضاء حوائجى كما لو لم يتعطل ذلك العضو ولكن لا دماغى ولا كبدى ولا أى جزء اخر من جسدى هو ذاتى. »

فقلت له ، « ولكن لا تنس انه اذا مس دماغك اقل ضرر تتغير طبيعتك بكاملها . »

فاجاب وقال ، « حسنا تقول انه اذا اصيب دماغى بضرر تغيرت مجاري حياتي وعجزت عن القيام بامور كنت

أقوم بها لو ظلت لدماغى سلامته الاولى . ولا يضاح ذلك جيداً نعود الى صديقنا باغانينى فلنفرض انه جلس أمامنا يضرب على قيثارته ونحن نستلذ أنغامها . فاذا حللنا وتراً من اوتار القيثارة فان ذلك ولو قلل من جمال الانغام فانه لا يبرهن على ان باغانينى غير موسيقى . بل اذا حللنا سائر الاوتار وتراً وتراً وحطمنا القيثارة تحطيما فان باغانينى لا يتغير شىء من فنه البتة بل يظل كما هو . وهكذا الحال معى ، فان مرض دماغى اظل انا ذاتى ، وان مرض قلبى او أى عضو اخر أظل كما انا الى ان تنحل جميع اعضاء جسدى فتظل الذات التى كانت هذه الاعضاء آلات لها تديرها كيف شاءت تظل حية الى الابد .

« فان باغانينى ليس بالقيثارة التى يستخدمها فكره لاستخراج الانغام ولذلك يظل كما هو ، ويظل فنه على حرمته ولو تكسرت قيثارته ، وأنا لستُ بدماغي الذي هو آلة فكرة ، ولذلك فانى لن أموت ولو مات دماغي وكل جسدي . »

فقلت له ، « انى أتمنى لك من صميم قلبى أن تنال رغبتك ولكن أليس في الامكان اقناع الملحد بالبراهين العقلية ؟ »

فضحك وقال ، « ان ذلك بسيط جداً ياصاح ، ولكن الملحد ينكر العقل وكل ماياتي به العقل من الادلة والبراهين . ومع انه قليل المعرفة فهو شديد التعصب لجهله فلا يسلم إلا بما تقع عليه حواسه وتصل اليه معرفته القاصرة .

« فان الانسان على هذه الارض أشبه بطالب العلم في مدرسته . لايستطيع أن ينال من المعرفة إلا مايستطيع على ادراكه . ولو رجعت بفكرك الى الانسان فى جميع أدوار التاريخ لرأيت انه لم يستطع أن يتعلم الا ما كان فى طوقه أن يدركه . أجل ، ان الانسان طالب علم ، يأخذ فروع المعرفة الكائنة في العالم شيئاً فشيئاً . فيدرس الحساب أولا ومتى أتم دراسته انتقل الى الجبر لانه يصير قادراً على ادراك قضاياه ومسائله .

« وفى عقيدتى ان أنصع حقيقة في تاريخ تقدم الانسان انه يحصل على المعرفة في حياته بنفس الطريقة التى يتلقى فيها تلميذ المدرسة علومه . لان المعرفة انما ينالها الناس بالنسبة الى مقدرتهم علي فهمها وادراكها . ولايضاح ذلك نمثل بمعرفتنا لفن الطيران : فقد كان الرجل الذى يعتقد بالطيران في السنين

الماضية يحسب مجنوناً خيالياً . وكان الناس في ذلك العهد يعتقدون بأن سكك الحديد والتلغراف هي آخر مابلغت اليه مقدرة الانسان وان الاعتقاد بالطيران وهمٌ من الاوهام .

« ولاشك ان كل انسان كان يودّ لو ان في امكانه أن يحلق فوق الارض ولو قليلا ، ولكن لم يكن قط من رجل يحلم بأن في طوق الانسان أن يسابق الطير في جريها . ومن الناس مَنْ قالوا ، (اننا لم نخلق لنطير) ومنهم مَنْ قال ، (ان الطيران مستحيل علمياً بل هو خطيئة في عينى الله .) وكان الناس ينظرون الى من يشتغل بآلة من آلات الطيران نظرهم الى مجنون قدأضاع رشده . ولم يُصرّح أحدٌ بتصديقه لمثل هذه الهرطقة إلا وكان يُهزأ به ويُتهكم عليه كانما هو يؤمن بالجن والعفاريت . ومع كل ذلك فان نفراً قليلا من الناس كانوا يعتقدون بأن الطيران غير مستحيل فعمدوا الى تحقيقه بالفعل لانهم اعتقدوا بأنه حقيقة كائنة في الوجود منذ الأزل لم يهتد اليها أحدٌ من أبناء الانسان لانهم لم يكونوا إذ ذاك قد بلغوا الى المستوى الذي يدركون به جوهرها ، وأدركوا انها لاتزال تنتظر مَنْ يظهرها للناس لكي

يستخدموها في ما يعود عليهم بالخير والفلاح . وقد ظلت هذه الحقيقة في الوجود تنتظر الانسان حتى يتم له قدر كاف من المعرفة للبلوغ اليها .

« وقد تشوق النـاس الى الطيران ألوفاً من السنين ، وتاقت نفوسهم الى تعرُّف حرية الجو . وقد كان شوقهم عظيما ولّدَ في قلوبهم آمالا كباراً . ومع كل ذلك كانوا يضحكون من نفوسهم لانهم كانوا يعللون ذواتهم بمثل هذا الوهم الفارغ وكانوا ينظرون الى الطيران نظرتهم الى اكثر الاحلام خمولا ، والاحلام رفيقة الخياليين ولا تليق برجال الجد والعمل

« وعند ما ظهر هذا الحلم الى حيز الحقيقة وطار الانسان للمرة الاولى فرح الناس بتحقيق حلمهم القـديم وصاروا ينظرون الى الطيران كعمل عادي لا يحتاج الى كبير اجهاد في الفكرة للتصديق به . وبعد أن كان البشر يعتقدون بأنه حلمٌ غريب صاروا يثقون اليوم بأنه حقيقة ناصعة . ولكن لماذا لم نعرف هذه الحقيقة قبلا ؟

« اننا لم نعرف هذه الحقيقة قبل ذلك الحين لاننا لم يكن لنا من الادراك ما كنا نستطيع به ان نتفهم ماهيتها

وجوهرها. ولكن عندما نما ادراكنا وازدادت معرفتنا صار المستحيل عندنا ممكنا والغريب المستهجن عاديًا مألوفًا

« أجل، ان الانسان تلميذ مدرسة ذاهب الى مدرسته، وهو كالتلميذ شديد التعصب لما يعرفه . فقد كان يعرف قبلا أن الارض مسطحة وكان شديد الثقة بمعرفته . وكان العلم قد قرر وقتئذ ان الارض مسطحة وكان كل انسان يسلم بصحة هذه الحقيقة ما عدا نفرًا من الروحانيين الغرباء عن زمانهم . أما الماديون فلا يصدقون بشيء لا تقع عليه حواسهم الخمس أو يؤيده الحساب المبنى على هذه الحواس الخمس، والحواس تقودك الى الاعتقاد بان الارض مسطحة لانك هكذا تراها بعينيك ولذلك لم يخطر للماديين غير هذا قط فاضطهدوا كل من خالفهم في عقيدتهم هذه !

« وفي صدر التاريخ رأى الانسان الشمس في كبد السماء فخيل اليه انها إلهه واثبتت له حواسه صدق خياله . وكان يعتقد بان الشمس إذا رضيت عنه تنبتُ زروعه وتكثر الخيرات في أرضه . وكان الانسان في ذلك العهد سعيدًا بأنوار إلهه وما يبعثه اليه من الاشعة والحرارة . وكان يعتقد بان هذا

الاله اذا غضب يقنع وجهه بقناع أسود ويحجب النور عن الانسان فتحل به المصائب والاحزان . ومن فى تلك الايام استطاع ان ينكر ان الشمس هي إله السماء والارض ؟ ومن الصوفيين من تجرأ في ذلك الحين فقال ان الشمس لا تفرق بشيء عن النـار . وانه لا بد من وجود إله عظيم يدير هذا الكون ، وهذه الشمس هي آلة بيد الله يستخدمها لمنفعة ابناء العالم . غير أن أمثال هؤلاء كانوا يضطهدون ويقتلون لانهم احتقروا الاله المنظور الذى كان جميع الماديين يؤمنون به . فالصوفيون الحكماء الذين يخضعون لسلطان العقل الداخلى كانوا في جميع ادوار التاريخ يعارضون الماديين الذين لا يؤمنون الا بما يعرفون وبما تقع عليه حواسهم الخمس . أفليس عجيباً والحالة هـذه ان المادى المتكل على حواسه الخمس في تفهم أسرار الطبيعة كان في كل زمان ومكان مخطئاً في احكامه في حقيقة الانسان ، والمادة والوجود ؟ »

فسألته قائلا ، « وهل كان الماديون مخطئين في جميع أحكامهم على السواء ؟ »

فأجاب والحدة ظاهرة فى كلامه ، « نعم ، نعم ، انهم

كانوا وما زالوا بعيدين عن الحقيقة بعد السماء عن الارض . فقد اعتقدوا بأن الشمس إله . وان الارض مسطحة . وانه يستحيل على الانسان أن يطير عن الارض ، وان الكبد مركز الشعور ، واليوم يصرحون بعقيدة جديدة هي أغرب من جميع ما تقدمها من العقائد وخلاصتها ان توماس اديسون هو عبارة عن بضعة دراهم من اللحم تستطيع أن تضعها في قنينة صغيرة . وهم يقولون أيضاً ان دماغ الانسان هو ذات الانسان ، وان لا وجود حقيقياً له على الارض ، بل لا رجاء له بالوجود إلا إذا كان دماغه يتحرك ويعمل ، فان مات دماغه مات هو أيضا وانقطع من الارض ذكره . غير انني أعتقد من صميم روحي بانهم بعد ان خطئوا في جميع معتقداتهم التى عرفناها قبلاً صار يستحيل على فكرى ان يصدقهم في عقيدتهم هذه لا سيما وهي أعظم جميع العقائد »

فقلت له ، « إذن من هو فى جانب الحق ؟ وما هو الحق ؟ . »

فأجاب قائلا ، « يجدر بى قبل الجواب عن سؤالك هذا أن أعود بك إلى السؤال الاول . فانه لما كانت الحياة الكائنة

فينا ستظل حية الى الابد ، ولما كان كل شيء فينا سيظل فى الوجود غير قابل للفنـاء بل يتحول من شكل الى شكل ، فيجدر بنا ان نحصر القضية بهذا السؤال : هل في الانسان جوهر روحى أو شعور مستقل هو غير دماغه وجسده ؟ فاذا كان له مثل هذا الجوهر الروحي فانه سيظل حيا وان تفرقت دقائق الجسد الى عناصرها الاولى وتحولت الحياة التي فيه الى حياة غيرها في كائنات أخرى. وقد انقسم الناس فى الجواب عن هـذا السؤال الى ثلاث طبقات : الماديون واللاأدريون والصوفيون . فالماديون في الطرف الواحـد عباد الدماغ يجيبون بصراحة، كلاّ وألف كلاّ، ليس للانسان مثل هذا الجوهر الروحي! واللاأدريون في الوسط يواظبون على حيادهم وجهلهم لكل شيء فيجيبون اننا لا نعرف شيئا . أما الصوفيون فيجيبون بكل ثقة قائلين ، نعم ، نعم ، ان هذه القوة كائنة في الانسان وهى هي دون اللحم والعظم تمثل ذات الانسان .

« أما اللاأدريون الذين لا يدرون بشيء ولا جواب عندهم سوى « لانعلم » فهم احياء أموات يحيون ولا يريدون

أن يعرفوا من الحياة شيئاً . وأما الماديون الذين يجيبون «بالنفي الصريح» فقد أوضحنا قبلا انهم منذ البدء اتخذوا لنفوسهم هذه الصفة ، وأظهرنا انهم كانوا مخطئين فى جميع آرائهم . ولكن ترى من هم الصوفيون الذين يجيبون بالاثبات والايجاب ؟ ألا انهم أبناء الطبيعة الساذجون الذين يعيشون على الفطرة وقد تعلموا من الطبيعة الشعور بدوام البقاء — الشعور بالخلود الشخصى الذى دفع زعيم القبيلة الجديد أن يحمّل العبد المرتجف فوق النيران والسائر الى الموت رسالة الى خاله الميت لانه كان يؤمن بأن العبد ماض الى سيده . هم الروحيون وجماعات العلماء المتزايدة كل يوم الذين اظهرت لهم المعرفة الحقيقية والاختبارات المتواصلة حقيقة النفس والخلود . هم الانبياء الذين نبغوا في جميع الاديان . ورجال الدين والفضيلة في كل زمان ومكان واتباعهم الذين ماتوا والذين هم في قيد الحياة الى الآن — وجميع الملايين وملايين الملايين من الناس الذين آمنوا بهذه الاديان ويؤمنون بها حتى اليوم . هم جميع الذين يعتقدون كما اعتقد افلاطون بان الانسان لا يموت وان تحول دماغه ولحمه وعظمه الى عناصر أخرى . وبعبارة وجيزة

هم جميع الذين أدركوا قيمة النظام والحكمة البالغة التى تدير هذا الوجود » .

فقلت ، « وهل تعتقد بأن وجود النظام في الوجود — النظام الذي لايستطيع رجل عليه مسحة من التهذيب أو العلم أن ينكره متى عرف شيئا قليلا عن مسير السيارات ونظام القبة الزرقاء — ان هذا النظام العجيب يدل دلالة واضحة على الحقيقة الواحدة التى تشير اليها ؟ »

فأجاب وقال ، « ان هذا نفس ما أردت أن أوضحه . وأخص بالذكر النظام الذي أظهرنا ثمراته النافعة فى أثناء حديثنا ، النظام المتناهى في الكمال الذى يمنح الانسان من المعرفة على مقدار مايستطيع أن يبلغ اليه فهمه وإدراكه . فهل تعتقد بأن هذا النظام صدفة عمياء ؟ كلا والف كلا ! فانه كما ان نظام النجوم الذى يُسيّر كلا منها في دائرته بملء الدقة بعيدٌ عن الصدفة كذلك لاشىء من الصدفة والاتفاق فى هذا النظام الكامل .

« وحيثما يوجد نظام أو ترتيب أو هندسة فلا أثر هنالك للصدفة أو الاتفاق . لان النظام يحتاج الى المنظم

والترتيب الى المرتب والهندسة الى المهندس . ولذلك عند ماترى الهندسة تدرك للحال انها عمل أو اختراع شخص حكيم اقتضى لعملها فكرٌ أو قصد – ولا يمكن أن نتصور غير ذلك – ونحن واثقون بأن الرجاء بدوام البقاء المغروس في أعماق الملايين العديدة من مخلوقات المهندس الأعظم انما هو جزءٌ من التدبير السامى الذى رسمه المهندس الحكيم في هندسته ولكن بشكل متناه في البساطة . ولو كان هذا الرجاء بعدم الموت بلا معنى مقصود لما رأيناه منتشراً فى جميع أنحاء الوجود . فالرجاء بالطيران مثلا كان حقيقة كائنة في العالم ولكنه كان حقيراً جداً بالنسبة الى هذا الرجاء العظيم ، بيد انه تحقق عند ما حان وقت تحقيقه . وهكذا ستأتى ساعة نعرف فيها جميعنا اننا لا ولن نموت عند مايحين الوقت لمعرفة ذلك ورؤيته رأى العين . فان المهندس الاعظم لايخيب آمال الناس ، لانه هو نفسه غرس هذه الآمال في صدورهم لكي يحققها . ولذلك فانى لا أوافق حضرة السيدة على ماصرحت به في هذه العشية واعتقد بأنها قد أخطأت في كل كلمة من كلامها . »

فسألته قائلا ، « وأي سيدة تعني ؟ لان الموضوع أنساني حديث العشاء . »

فقال ، وقد وقف وهم بالخروج ، « انما أعني السيدة التي كانت جالسة الى مائدة العشاء معنا . فاني أؤمن من أعماق قلبي بأن الآية ، « فلنأكل ولنشرب ولنفرح لاننا غداً سنموت ، » محفوفة بالاخطار مملوءة بالاضرار . لانه من يكفل لك ان الاستسلام للاكل والشرب والفرح لايكون ضرراً عليك بعد أن تموت ؟ فأنا أؤكد لك انه سيكون كذلك اذا فرطت به . »

فسألته ، « وماهي الآية التي تشير عليّ أن أتخذها دستوراً لحياتي بدلا من هذه ؟

وكان إذْ ذاك قد بلغ الى باب المكتبة وهم بالخروج ، فلما سمع سؤالي وقف ، وأطرق يفكر برهة ثم قال ، « انه لايوجد اليوم قاعدة أو آية فتأخذ محل هذه القاعدة الوثنية الممتلئة يأساً وضلالا . ولذلك فهي ستظل شريعة نافذة في العالم الى أن يحين الزمان لانقراضها وزوالها فتلقى في سلة المهملات . حينئذ ينظر اليها الانسان نظرته الى الرأى القائل

بعدم حركة الارض أو بألوهية الشمس أو بعدم الطيران ! »

فقلت له ، « ومتى يكون ذلك ؟ »

فقال ، « ربما يكون في السنة القادمة أو في الجيل القادم . لان المعرفة تأتى في أية ساعة شاءت . ومتى ظهرت يقبلها جميع الناس على السواء ، بيد انى لاأعرف الساعة التى تأتى فيها لان المعرفة قد أبقت هذا لذاتها ولا تبوح به لأحد غيرها . ثم أغرب في الضحك وخرج وهو يقول فى ذاته « انى لم أعرف قط متى كان الانسان مزمعاً أن يطير بل لم يخطر لى مثل هذا بتة ولكنه بعد أن حدث عرفته وصرت أعتقد بأنه حقيقة راهنة . »

ثم أشار إلىّ بيده مودعا وسار في طريقه وكنت اسمعه يردّد في ذاته قائلا ، « أجل ، قد تعلم الانسان فن الطيران عند ما آن الاوان. »

أما أنا فرجعت الى مقعدى أمام الموقد وماشعرت الا وقد قادنى فكري الى جمجمة رأيتها مرة فى احد الأديار وقيل لى حينئذ انها جمجمة قديس . ثم مالبثت ان تذكرت ماقاله صديقى الحكيم عن ادمغة الرجال العظام المحفوظة في

الكحول نخامرنى الشك ان تلك الجمجمة يستحيل أن تكون محتوية على القديس في داخلها ، فقداخبرنى المكلفون بالمحافظة عليها ان القديس مقيم في الفردوس. وسواء كان في الفردوس أم لا فانه لا بد ان يكون في مكان ما من الوجود . ولما كان كل جزء من الاجزاء التي تركب منهـا جسده لا يزال في الوجود ولكن بشكل آخر وعنصر آخر لذلك لم يبق في قلبى أقل ريبة في أنه هو ذاته أيضاً لا يزال خالداً كما أن مادة جسده خالدة . فهو ذاته ولا شك كان أعظم جزء من كيانه المحدود ، واما الاجزاء الاخرى فلم تكن سوى مقتنيات خاصة به لوقت معين تخدم الجزء الاهم الذي هو ذاته. وبعد ان فكرت برهة رجعت الى نفسى وقلت في سرى ، « ألا ان الاعتقاد بان المادة الحقـيرة في الانسان الخادمة لذاته العظمى المتسلطة عليها ، هذه المادة الحقيرة تكون خالدة باقية والذات أو الروح أو النفس تكون معرضة للفنـاء هو أشبه بالاعتقاد بان رداء الانسان دو زرجليـه يحتوى على الحياة ويمشى من مكان الى مكان »

أجل ، إن هذا الرأى بعيد عن فكرتى، إذ كيف يمكن أن يكون الرداء هو الذي يمشى دون الساقين — كلاّ ولا استطيع ان أصدق أن القديس الذى رأيت جمجمته هو الآن عصارة في الياف شجرة السرو النابتة على قبره . أما الذين يصدقون مثل هذه الغرائب فلمثل هؤلاء أقول ، « لكم دينكم ولي دين ! » .

انتهى

230:C89LA6:c.1
كراين ،فرانك
لماذا انا مسيحي
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01000397

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

[redacted]

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY